كتاب اليوم

نجوم العصر الذهبى لدولة التلاوة

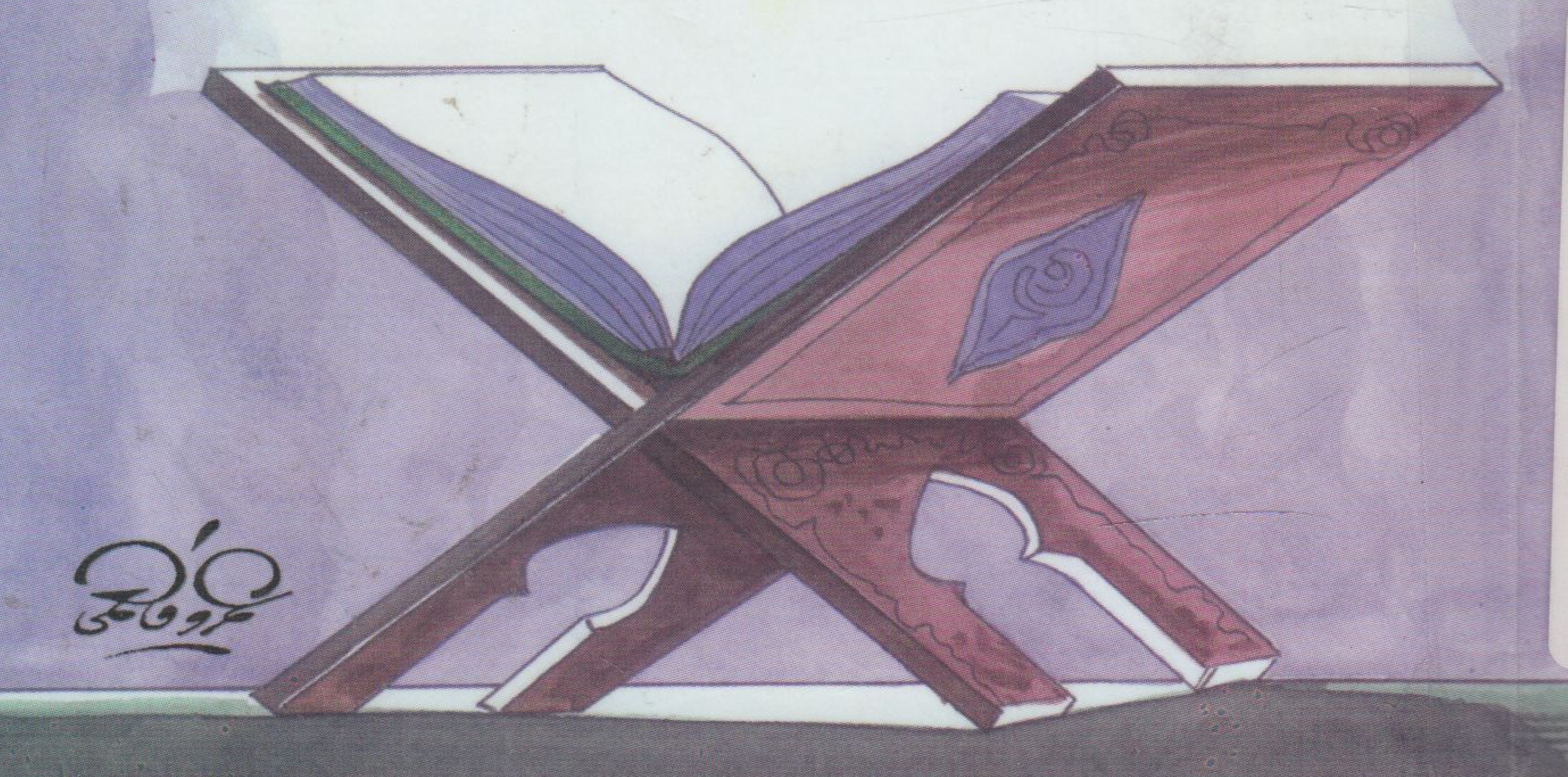
د. نبيل حنفى

عبد الباسط عبد الصمد — محمد صديق المنشاوى

أحمد ندا — محمد رفعت — محمد الصيفى — على محمود — البهتيمى

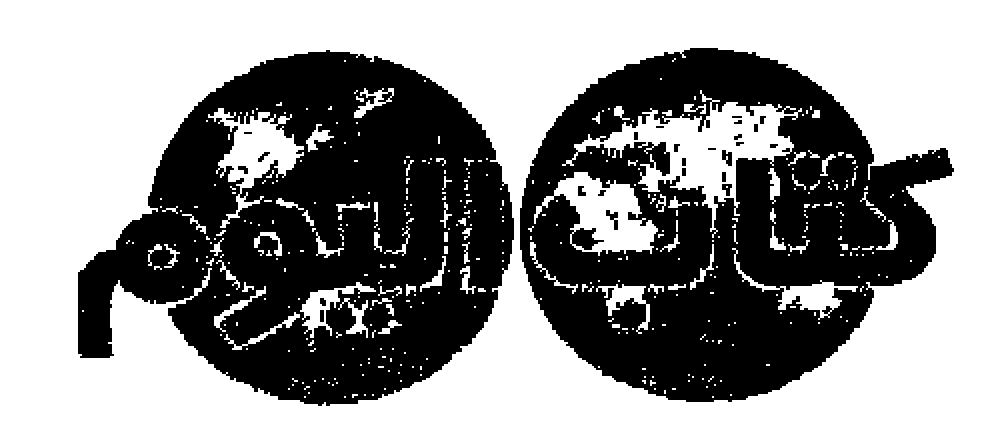
عبد الفتاح الشعشاعى — منصور الشامى الدمنهورى — عبد العظيم زاهر — محمود على البنا

محمد فريد السنديونى — أبو العينين شعيشع — محمود خليل الحصرى — مصطفى اسماعيل





La Pomme Western and Oriental Sweets
لابوم
La Pomme
حلويات شرقية وغربية
مفاجأة لابوم
تورتة كنافة
بالأيس كريم



رئيس مجلس الإدارة

محمد بركات

رئيس التحرير

نوال مصطفى

العدد رقم ٥٦١
اغسطس ٢٠١١
يصدر كل شهر
عن
دار أخبار اليوم
٦ شارع الصحافة
القاهرة
ت: ٢٥٩٤٨٢٢٣
تليفاكس: ٢٥٧٨٤٤٤٤

الغلاف
عمرو فهمى
تحرير
نادر مصطفى
عمرو أبوالسعود

تخفيض ١٠٪
من قيمة الاشتراك
لطلبة المدارس
والجامعات المصرية

أسعار البيع خارج مصر

سوريا ١٥٠ ل.س - لبنان ٥٠٠٠ ل.ل - الأردن ٢ دينار الكويت ١ دينار - السعودية ١٢ ريال - البحرين ١,٢ دينار قطر ١٢ ريال - الإمارات ١٢ درهم - سلطنة عمان ١,٢ ريال تونس ٣ دينار - المغرب ٣٥ درهم - اليمن ٥٠ ريال فلسطين ٢,٥ دولار - لندن ٢,٥ ج ك - أمريكا ٥ دولار - أستراليا ٥ دولار استرالى - سويسرا ٥ فرنك سويسرى.

الاشتراك السنوى

داخل مصر	٧٢ جنيها
الدول العربية	٣٣ دولاراً أمريكياً
اتحاد البريد الافريقى وأوروبا	٤١ دولاراً أمريكياً
أمريكا وكندا	٤٧ دولاراً أمريكياً
باقى دول العالم	٦٢ دولاراً أمريكياً

العنوان على الإنترنت

www.akhbarelyom.org.eg/ketab

البريد الاليكترونى

ketabelyom@akhbarelyom.org

نجوم العصر الذهبى
لدولة التلاوة

د. نبيل حنفى

قبل أن تقرأ..

فى سماء القاهرة مدينة الألف مئذنة تصدح كل يوم عند موعد كل صلاة ، وعلى كل مئذنة أصوات تتلألأ وتصدح بكلمات الأذان العذبة ، لتعلن موعداً جديداً للقيا الله ، وفى كل ركن وزاوية تجد القرآن الكريم أنيساً ودوداً له حضور مهيب وراحة نفسية لا توصف تبدأ مع بسم الله الرحمن الرحيم ولا تنتهى عند صدق الله العظيم.

وكمصريين لا ننسى أبداً صوت الشيخ محمد رفعت وقراءته العذبة للقرآن كل صباح فى الإذاعة المصرية والتى نبدأ يومنا معها ومع سور القرآن وآياته ورفعه للأذان فى رمضان عند موعد الإفطار .. وجهاز الراديو فى حقل الفلاح البسيط وفى السيارات العادية والفارهة وفى المحلات وعلى أجهزة الكمبيوتر وعلى الهواتف المحمولة وشاشات التليفزيون كلها يخرج منها أصوات أعظم من قرأوا القرآن فى مصر.

والقرآن الكريم هو جزء من الحياة اليومية للإنسان المصرى استماعاً أو قراءة ، فمع ساعات الصباح الأولى لا يكاد يخلو شارع مصرى أو حارة أو دكان أو سيارة من أصوات أشهر المقرئين المصريين ، فصوت الشيخ المنشاوى والحصرى وعبدالباسط عبد الصمد والبهتيمى ومحمود على البنا ومصطفى اسماعيل حفرت لها فى الوجدان الشعبى مكاناً أثيراً.

ومن حيث اتباع قواعد الترتيل والتلاوة من ترقيق وتفخيم وإضغام وغُنّ ومد فهؤلاء القراء أسسوا مدرسة فى إتقان بل وجمال التلاوات بمختلف رواياتها.

وفى هذا الكتاب "نجوم العصر الذهبى لدولة التلاوة" الذى أقدمه لكل قراء سلسلة "كتاب اليوم" بمناسبة حلول شهر رمضان الفضيل لنتذكر

معاً أصواتاً تسكن فى وجداننا وذاكرتنا ورحلتهم مع القرآن الكريم ، وجال فى هذه الرحلة د.نبيل حنفى محمود بين أعلام التلاوة الذين أسسوا هذه الدولة بقوة وحلاوة أصواتهم وقدراتهم الصوتية الفائقة التى جعلت لكل منهم شيئا بين الأرض والسماء.

وكحال معظم شعائرنا الدينية يقول د.نبيل إن الاهتمام بقراءة القرآن وتأسيس دولة التلاوة فى مصر جاء مع الدولة الفاطمية التى اهتم خلفاؤها بقراءة القرآن بالألحان فى المناسبات المختلفة مثل المولد النبوى الشريف وهلال شهر رمضان ولياليه واستمدت الدولة قوتها من الكتاتيب التى انتشرت فى كل قرية ومدينة فى مصر تعلم القرآن وتلاوته لتخرج نشئا يرتبط منذ الصغر بكلمات الله وآياته ، وأنا شخصياً اعتبر أن ما أسس لها فى العصر الحديث أو على الأدق ما كتب لها الاستمرار بنفس القوة والنهوض هى إذاعة القرآن الكريم التى يصل لها الانسان بكل سهولة وتقدم للمستمع آيات الله آناء الليل وأطراف النهار.

أترككم مع سيرة القراء ورحلة مع ترتيل كلمات كتاب الله وإبداع لا ينتهى بانتهاء أصحابه بل يدوم لآخر الأبد لأن الله أنزل القرآن ويحفظه .. فاقرأوا واستمتعوا..

نوال مصطفى

أغسطس ٢٠١١



مقدمة

نشأت وبى ولع شديد لسماع القرآن مجودا، وهو ولع اغتذى من عاملين ، أولهما أن مصر-وبفضل أزهرها وإذاعتها وقرائها وعبر تاريخها- قد دانت لها سدة إقراء القرآن وقراءته ، وثانيهما أن نشأتى كانت بقوص فى صعيد مصر ، وقوص التى كانت عاصمة الصعيد أثناء دولتى المماليك ، احتضنت عبر تاريخها مدارس بلغ عددها إبان تألق المدينة فى تاريخ مصر: ست عشرة مدرسة ، وهى مدارس قامت بتدريس علوم الدين الإسلامى ومن بينها علم القراءات ، فشكل ذلك رافداً أو تراثا لأجيال من القراء يترجم الإدفوى فى كتابه الشهير : " الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد" لجمهرة منهم ، ومن هؤلاء نذكر الأسماء التالية: إبراهيم بن محمد الثعلبى وإسماعيل بن أحمد بن إسماعيل القوصى وعثمان بن محاسن بن يحيى ومحمد بن على بن الحسن القوصى وغيرهم كثير ، لقد امتد تأثير تلك المدارس وأشع على ربوع صعيد مصر منذ العصر المملوكى وحتى يومنا هذا ، تشهد على ذلك أسماء من سمعنا عبر الإذاعة من مشاهير القراء من أبناء الصعيد ، مثل الشيوخ: عبد الباسط محمد عبد الصمد-محمد صديق المنشاوى-محمود عبد الحكم-أحمد الرزيقى ومحمود صديق المنشاوى.

فجر دولة التلاوة

بدأ التغنى بالقرآن-أو قراءته بالألحان-على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد ورد فى صحيحى البخارى ومسلم عن

أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ما أذن الله لشئ كإذنه لنبى يتغنى بالقرآن ويجهر به" ، وضرب الرسول الكريم صلوات ربى وسلامه عليه المثل على مفهومه للتغنى بالقرآن، ففى حديث أثبته البخارى فى "كتاب المغازى" وأدرجه مسلم فى "كتاب الصلاة"، عن معاوية بن قرّة قال : "سمعت عبد الله بن مغفّل المُزنى يقول: قرأ النبى صلى الله عليه وسلم عام الفتح فى مسير له سورة الفتح على راحلته فرجّع فى قراءته" ، قال معاوية :"لولا أنى أخاف أن يجتمع على الناس لحكيت لكم قراءته" ، وقد حكى عبد الله بن مغفّل أن ترجيعه عليه الصلاة والسلام كان بمدّ الصوت فى القراءة على نحو آ...آ...آ (صحيح مسلم: الجزء الثانى ، كتاب الصلاة ، ص ١٩٢-١٩٣)، فانطلق المسلمون من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأون القرآن بالألحان أو يتغنون به، والتغنى بالقرآن أو تجويده لا يعنى الغناء بمفهوم عصرنا الحالى ، وإنما يعنى إعطاء الحروف حقها من إشباع المدّ وتحقيق الهمز وإتمام الحركات وتوفية الغُنّات وتفكيك الحروف وذلك فى إطار إيقاع خفىّ يتولد من النغمة التى يقرأ بها القارئ ، ويقول بعض الكتّاب أن أول من قرأ القرآن بالألحان أو بالتنغيم هو الهيثم العلاف، حيث قرأ الآية رقم (٧٩) من سورة "الكهف" والتى نصها كما يلى: "أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا" ، قرأها الهيثم العلاف على لحن بيت الشعر التالى:

أما القطاة فإنى سوف أنعتها

نعتاً يوافق منها بعض ما فيها

وبيت الشعر هذا هو مطلع قصيدة-من بحر البسيط-كثر

مدّعوها ، وإن كان أبو على القالى قد أسندها-على رأى البعض- فى كتاب "الأمالى" إلى عُليل بن الحجاج الهُجيمى ، هذا وقد قال بعض الكتاب أيضا أن أول من قرأ القرآن بالألحان هو عبيد الله بن أبى بكرة ابن أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمير سجستان (وهى حالياً أفغانستان وما يجاورها من باكستان وإيران) ، وقد توفى ابن أبى بكرة سنة ٧٩ هـ (٦٩٨م) فى سجستان كما ذكر شمس الدين الذهبى فى كتاب "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام" (جزء ٢، ص ٦٠٥)، وأيا ما كانت صحة القول بأول من قرأ القرآن بالألحان ، فإن كتب التاريخ والأدب تحفظ أسماء لكثرة من القراء جاءوا بعد ابنى العلاف وأبى بكرة وجملوا أصواتهم بقراءة القرآن منغما ، ومن هؤلاء القراء محمد بن سعيد الذى كان معاصراً للمطرب والملحن الكبير مخارق (توفى فى سنة ٢٣٠هـ/٨٤٥م) ، فقد ذكر أبو الفرج الأصفهانى فى كتابه الشهير "الأغانى" ما يلى : "سمع محمد بن سعيد القارئ مهديّة جارية يعقوب بن الساحر تغنى صوتا (أى لحنا) لمخارق بحضرته، وقد كانت أخذته عنه وهو:

ما لقلبى يزداد فى اللهو غيّا
والليالى قد أنضجتنى كيّا
سهُلتْ بعدك الحوادث حتى
لست أخشى ولا أحاذر شيّا

فأحسنت فيه ما شاءت ، وانصرف محمد بن سعيد ، وقرأ على لحنه (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) (الأغانى: المجلد الثامن عشر ، ص ٢٧٠)، والآية التى قرأها محمد بن سعيد بلحن مخارق للأبيات السابقة هى الآية رقم (١٢) من سورة "مريم" ، وفيما بين محمد بن سعيد وإبنىّ العلاف وأبى بكرة تتردد فى كتب التاريخ

أسماء قراء نذكر منهم: صالح بن بشير المُرّى (توفى سنة ١٧٦هـ/ ٧٩٢م)-أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوى اليزيدى (توفى سنة ٢٠٢هـ/٨١٧-٨١٨م)-خلف بن هشام البزّار (توفى سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٤م) وأبو أيوب سليمان بن داود بن بشر المقرئ البصرىّ المعروف بالشاذكونى (توفى فى سنة ٢٣٤هـ/٨٤٩م) ، ولقد عاشوا جميعا وذاعت شهرتهم فى مدن وحواضر الدولتين الأموية والعباسية بالعراق وما يليها من مدن المشرق ، وبما يوحى للمتأمل بأن فجر دولة التلاوة قد أشرق من التخوم الشرقية لدولتى الأمويين والعباسيين .

ضحى دولة التلاوة

عندما تأسس الجامع الأزهر بالقاهرة فى سنة ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م على يد القائد جوهر الصقلى مولى الخليفة أبو تميم معد المعزّ لدين الله أول خلفاء الفاطميين بمصر ، شهدت مصر اهتماماً عظيما من الخلفاء الفاطميين بقراءة القرآن بالألحان ، وهو ما جاء فى وصف المقريزى لوقائع صلاة الجمعة الثانية من شهر رمضان على أيام الخلفاء الفاطميين بالقاهرة ، حيث قال المقريزى عن ذلك : "فيأتى الخليفة فى هيئة موقرة من الطبل والبوق، وحوالى ركابه-خارج أصحاب الركاب-القرّاء ، وهم قرّاء الحضرة ، من الجانبين ، يطربون بالقراءة نوبة بعد نوبة (تقى الدين أحمد بن على المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء الثالث ، ص ١٧٠) ، لقد كان اهتمام الفاطميين بتلاوة القرآن فى المناسبات المختلفة عظيما ، حتى أن الاحتفال بالمولد النبوى الشريف وبهلال شهر رمضان ولياليه ، كان يجرى بقيام مجموعة من القراء بتلاوة القرآن فى القلعة (محمد بن أحمد ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، ١/ ٢ ، ص

٤٩٤-تقى الدين أحمد بن على المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء الثانى ، ص ٣٨٧) ، لذا كان ظهور أسماء كبار القراء فى وفيات أعلام ذلك العهد-مما حفلت به كتب التاريخ والتراجم-إيذاناً ببدء ضحى دولة التلاوة التى انتقلت إلى مصر، ففى الكتاب الذائع الصيت : "بدائع الزهور فى وقائع الدهور" لابن إياس ، تتوالى أخبار وفيات مشاهير القراء التى تترى فى سياق أخبار وفيات الأعلام ، ففى وفيات شهر ذى الحجة من سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٧م، يذكر ابن إياس وفاة (المقرئ) فتح الدين عبد المعطى ، ويقول عنه : "كان علامة فى عصره ، أخذ القراءات عن الشيخ أثير الدين أبى حيان" (جزء ١/ ٢ ، ص ٣٨٢) ، ويثبت إبن إياس الآتى فى وفيات ربيع الآخر من سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م: "وتوفى الشيخ جمال الدين السكسكونى المقرئ المالكى ، وكان علامة فى القرآن ، وتوفى المقرئ على بن أحمد بن بيبرس ، الحاجب ، وكان علامة " (جزء ١ /٢ ، ص ٥١٥).

إجتمع لمصر من القراء منذ ابتداء دولة الفاطميين بها ما لا مثيل له فى أى من بلاد الإسلام ، حيث يكشف التقليب فى كتب التاريخ والتراجم أن ظهور الأعلام من القراء لم ينقطع بأرض مصر فيما توالى عليها من دول بعد دولة الفاطميين ، وبالرغم من أن دولة تلاوة القرآن كادت أن تنقطع بمصر بعد الاحتلال العثمانى لها فى سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م، وإثر الاحتلال الفرنسى لها فى سنة ١٢١٣ هـ/١٧٩٨م، وذلك لخروج كثير من قرائها إلى حاضرة الدولة العثمانية ، ولما لحق بالأزهر والأوقاف على يد الفرنسيين من هجوم وتضييق ، لكن ذلك لم يقف حائلا دون ظهور أسماء البعض من القراء ممن خلد ذكرهم فى حوليات ذلك العهد وتواريخه ، ويكفى للتدليل على ذلك أن نذكر أن بين من

أعدموا جراء اغتيال كليبر : قائد الحملة الفرنسية بعد رحيل نابليون بونابرت عن مصر ، إثنان من مقرئى الأزهر الشريف هما محمد الغُزّى وعبد القادر الغُزّى (عبد الرحمن الجبرتى: عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، الجزء الخامس ، ص ٢١٧).

العناصر المؤسسة

لم يكن ظهور تلك الأعداد من مشاهير القراء بمصر وليد صدفة أو ضربة حظ ، ولكنه كان نتاجا لمنظومة متكاملة ، منظومة ضمت مكاتب (كتاتيب) تنهض بتلقين الأطفال آيات القرآن الكريم منذ الصغر ، ومدارس لعلم القراءات تقوم بصقل مواهب المتميزين من صغار المكاتب ، واحتفالات قوامها قراءة القرآن فى شتى المناسبات دينيه كانت أو مدنية ، كانت الكتاتيب أو المكاتب بمثابة الأساس أو المدخل لنظام التعليم السائد بمصر فى معظم الحقبة الإسلامية من تاريخها ، وقد ساعد انتشارها بالمدن والقرى على حفظ أعداد لا حصر لها من الأطفال للقرآن ، وذلك بالإضافة الى تقويم نطقهم للحروف والكلمات منذ نعومة أظافرهم ، ثم عمل انتشار مدارس علم القراءات ببعض المدن الكبرى مثل القاهرة والإسكندرية وطنطا وقوص على إعداد الموهوبين من صغار الكتاتيب لاحتراف التلاوة ، حيث عكف أئمة فى علوم القراءات على تلقين مزيد من القراء على مر السنين أحكام التلاوة وفنون التجويد ، حتى أنه يمكن القول بعد تأمل تواريخ وفيات علماء القراءات ومشاهير القراء ، أن هناك ثمة ارتباطا بين وجود هؤلاء العلماء وظهور مشاهير القراء، ويأتى اعتماد تلاوة القرآن فى مختلف المناسبات والاحتفالات ليكون ثالث أضلاع المنظومة التى أفرزت الأعداد الكبيرة من مشاهير القراء بمصر ، ففى المآتم.. كان القرآن يتردد فى أيام المأتم

الثلاثة (والخمسة عند البعض) وفى كل خميس وحتى اليوم المتمم للأربعين بعد الوفاة ، وكانت قراءة القرآن فى سرادق عند حلول الذكرى السنوية من الأمور المعتادة عند كثير من الناس ، ويعد شهر رمضان أهم المناسبات الأخرى التى قد تتضمن الاحتفال بالزواج أو الختان وإحياء موالد الصالحين والأولياء، حيث دأب الكثير من الوجهاء والأسر المقتدرة من الطبقة الوسطى على إحياء ليالى رمضان بتلاوات قرآنية من مشاهير القراء ، مما أوجد رواجا للموهوبين من القراء ، إن تلك العناصر الثلاثة التى تحقق بها قيام دولة التلاوة فى العراق أو فى مصر ، لم تكن تكفى وحدها لتكوّن قارئاً متميزا، وإنما يحتاج ذلك إلى عنصر رابع يشبه الإكسير الذى كان الأقدمون يزعمون أنه يحول المعدن الرخيص إلى ذهب ، إن ذلك الإكسير يتمثل فى التأثير المتبادل بين فنىّ الغناء والتجويد ، وهو تأثير لا يقوم إلا فى وجود مطربين وملحنين من أمثال مخارق وإبراهيم الموصلى ، وقد كانا معاصرين لبدايات دولة التلاوة فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) .

كادت دولة التلاوة أن تنقطع بمصر بعد الاحتلال العثمانى لها فى سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) ، وذلك إثر خروج الكثير من علمائها وقرائها إلى حاضرة الدولة العثمانية ، غير أن رياح النهضة التى هبت على مصر فى عهد محمد على ومع الثورة العرابية ، عملت على بعث روح الريادة من جديد فى دولة التلاوة بمصر ، فكان ظهور علماء فى القراءات من أمثال محمد مكى نصر الجريسى (المتوفى بعد سنة ١٣٠٨هـ ١٨٩٠م) إيذانا ببعث جديد لدولة التلاوة بمصر ، مما أثمر ظهور مجموعة من القراء فتحت بتلاواتها الطريق أمام عصر جديد ، ومن هؤلاء القراء–بل

وأهمـهـم على الإطـلاق-الشـيـخ حنفى بـرعـى ، الذى أثبت الكـاتب والأديب عـبـد العـزيـز البـشـرى دوره الرائد فى بعث دولة التـلاوة بقوله: "وإذا كان فن التنغيم بآى القـرآن الكريم قد بلغ اليوم أوجه ، فلا شك فى أن نهضته الحـاضرة مـدينة للمـرحوم الشـيـخ حنفى برعى ، فـهـو الذى استن هذه الطـريقـة الحـديثـة ، فكانت جـمـهـرة القـارئين له فـيها تبـعـاً" (عـبـد العـزيز البـشـرى : المخـتـار ، الجـزء الثـانى ، ص ٤٤) ، لقـد ضـمـت تلك الجـمـهـرة قـراء مثل : الشـيـخ حسين الصـواف-الشـيـخ أحـمـد نـدا-الشـيـخ على مـحـمـود والشـيـخ محمد رفعت.

العصر الذهبى للتلاوة

كـان ظهـور الشـيـخ حنفى برعـى وصـحـبـه إيذانا ببـدء عـصـر الإحياء لدولة التـلاوة بمصـر ، والذى جـاء فى عقبـه-وبعـد قليل-العـصـر الذهبى لتلك الدولة ، وقـد امـتـد العـصـر الذهبـى لدولة التـلاوة فيمـا بين ثلاثينيـات وسبعينيـات القـرن العشرين المنصـرم، فى تلك الفترة توافرت العناصـر الثلاثة الأساسية اللازمة لازدهار دولة التـلاوة ، وهـى الاهتمـام بحـفظ الصـغـار للقـرآن فـى المكاتب والاعـتناء بتدريس علوم القـراءات فى الجـامع الأزهـر ومـا يمـاثله من مـعـاقل علميـة وتصـدر القـراء لكل مناسـبـات الـدولة الدينيـة والمدنيـة ، وتحـقق أيضـا وجـود الإكسـيـر اللازم لإفـراز المواهب والعبـاقـرة ، فـقـد تزامن العـصـر الذهبـى لدولة التـلاوة مع العـصـر الذهبى للغناء العربى والمصرى ، وشهد العـصران انطلاق إبداعات فـحـول الملحنين والمطربين من أمـثـال الشـيخ مـحـمـد عـبـد الرحـيم المسلوب-الشيخ أبـو العـلا محـمـد-محـمـد عثمـان-عـبده الحـامولى-كامل الخلعى-سيد درويش وزكريا أحـمـد ، مما أثمـر إثراء الفنيين من خلال التأثيرات المتبادلة بينهما.

زها العصر الذهبى لدولة التلاوة فى مصر بعشرات من القراء الموهوبين ، ولما كان أوج ذلك العصر قد تزامن مع بداية عصر الإرسال الإذاعى بمصر ، فإن ذلك عمل على تقسيم الموهوبين من القراء إلى قسمين ، ضم أولهما كبار القراء ممن ظهروا قبل عصر الإرسال الإذاعى من أمثال الشيوخ : حنفى برعى-حسين الصواف-أحمد ندا-محمد القهاوى-منصور بدّار-على محمود-محمد رفعت-عبد الفتاح الشعشاعى ومحمد الصيفى ، بينما ازدان القسم الثانى بكوكبة من القراء اشتهرت وذاعت مواهبها عبر أثير الإذاعة ، ومن القسم الثانى نذكر الشيوخ: محمد فريد السنديونى-منصور الشامى الدمنهورى-عبد العظيم زاهر-أبو العينين شعيشع-مصطفى إسماعيل-كامل يوسف البهتيمى-محمود خليل الحصرى-محمود على البنا-عبد الباسط محمد عبد الصمد ومحمد صديق المنشاوى، لقد ساهم الإرسال الإذاعى فى إطلاق أسماء كبار القراء عبر جميع الأرض المصرية ووصل بهم الى أطراف الأمة الإسلامية ، حتى بلغ تأثير طريقة أداء القراء المصريين فى قراء الدول الأخرى حد المحاكاة والتقليد ، مما جعل البعض من أهل العلم يقولون: "القرآن الكريم نزل بمكة وقرئ فى مصر وكتب فى استانبول"ا.

أسباب الانهيار

إن ما تحقق لقراء الإذاعة من مجد قد فاق بكثير ما تحقق لقراء ما قبل عصر الإذاعة من شهرة ، ومن هنا.. فإن الإذاعة دخلت-منذ إنشائها- لتصبح أيضا عنصرا فاعلا فى ازدهار دولة التلاوة ، وتمثل دور الإذاعة فى ازدهار دولة التلاوة فيما كانت تقدمه من تلاوات تذاع من قاعات البث الإذاعى بالقاهرة والإسكندرية أو تنقله من تلاوات تقدم فى احتفالات دينية ، مما

ترتب عليه تدافع القراء الجدد للانضمام إلى ركب المشاهير من قراء الإذاعة ، وهو ما دفع إدارة الإذاعة لاستحداث ما أسمته "لجنة اختبار القراء" ، شكلت إدارة الإذاعة تلك اللجنة فى الأعوام الأولى التى أعقبت بدء الإرسال الإذاعى ، وهو ما يستدل عليه من تفاصيل تراجم بعض كبار القراء ، وقد طبعت البساطة تكوين تلك اللجنة فى تشكيلاتها الأولى ، حيث ضمت فى البداية كلا من المديرين الإنجليزى والمصرى للإذاعة ، بالإضافة إلى بعض كبار الإذاعيين ، ولكن ... وبكرّ الأعوام وتزايد أعداد المتقدمين للالتحاق بالإذاعة من القراء الجدد ، زادت الإذاعة من عدد أعضاء اللجنة ، ليبلغ هذا العدد فى أوائل عام ١٩٥٣م تسعة أعضاء، ولما كان أكثر من نصف أعضاء اللجنة دوماً من رجال الإذاعة ، مما جعل الكلمة الأولى فى إجازة القراء الجدد بأيديهم ، فإن ذلك فتح باب الإذاعة على مصراعيه أمام قراء لاترقى بهم مواهبهم للقراءة فى جهاز إعلامى رائد كالإذاعة (وفى التليفزيون من بعد ذلك) ، ناهينا عن مقارنة من أجازتهم تشكيلات اللجنة المختلفة بجيل الموهوبين من الرواد ، مما دفع كاتبا كبيراً كالراحل محمود السعدنى ليصرخ فى كتابه الرائد "ألحان السماء" قائلا: "والآن.. لا أحد يدرى إلى أين نسير؟! بعد أن أصبحت التلاوة بالواسطة"! (ص ٢٩).

لم تكن لجنة اختبار القراء وحدها المسئولة عما ألمّ بدولة التلاوة من انهيار، ولكنها كانت كرأس جبل الثلج العائم ، تخفى وتتحمل أوزار عوامل أخرى ، منها-بل أهمها-ما لحق بنظام التعليم من تغيير جراء سياسات عدة ، مما ترتب عليه إلغاء نظام المكاتب التى كانت تضع اللبنة الأولى فى تكوين أى قارئ ، ثم جاء بعد ذلك ما لحق بالأزهر من تغيير-أسماه البعض تطويرا-

ليعصف باللبنة الثانية فى تكوين القارئ ، وهى الإلمام بعلوم القراءات وأحكامها ، حتى لم نعد نسمع الآن باسم لعالم كبير فى القراءات من أمثال الشيوخ عبد الفتاح القاضى وعامر السيد عثمان ورزق خليل حبة ، وفيما يتصل بإكسير التلاوة وهو التأثير المتبادل بين فنىّ التلاوة والغناء ، فقد عمل الهجوم المتواصل منذ منتصف السبعينيات من مختلف الجماعات الدينية على فن الغناء حتى حد تحريمه ، عمل ذلك على إغلاق الباب أمام تجميل أصوات القراء بالأنغام والألحان ، وإن كان تأثير الغناء قد تضاءل ثم انمحى بما أصاب دولة الغناء من خراب بعد رحيل الكبار وانقراض المواهب منذ منتصف سبعينيات القرن الماضى، فإذا ما أضفنا لذلك أربعة عوامل مهمة أخرى ، أولها ما لحق بنظام التعليم من عجمة شملت الصغار والكبار، فمن (الكيه جى) فى مرحلة الحضانة ومرورا بمدارس اللغات والمدارس الأجنبية فى مراحل التعليم العام ووصولا إلى البرامج الخاصة فى الجامعات الحكومية والجامعات الأجنبية التى انتشرت كالوباء فى طول البلاد وعرضها ، يبدو حفظ القرآن كضرب من المحال ناهينا عن تجويده ، وأما العامل الثانى فقد تمثل فى انتشار شركات للصوتيات لا يعرف لها سياسة أو رسالة سوى جمع المال فى أقل زمن ممكن وبأى وسيلة ، مما أتاح لقراء متوسطى أو منعدمى الموهبة من القاهرة ومدن شتى ، أن يغرقوا سيارات الميكروباص ومقاهى الأحياء الشعبية ومتاجرها بتسجيلات لتلاوات تبعث الحسرة فى النفس على زمن عباقرة التلاوة الذى ولى وراح ، وقد انضمت الى تلك الشركات مؤخرا فضائيات تروج لقراء من المتباكين ، وهم لا يبكون خشوعاً وإنما يبكون لستر عيوب أصواتهم وفقر مواهبهم ، هذا وقد جاء العامل الثالث من خارج

الحدود فى صورة طرق للتلاوة تعبر عن مجتمعات أخرى ومواقف مخالفة من تجويد القرآن ، فأقبل على تلك الطرق البعض من القراء الجدد وصغار الأئمة فى مساجد (بئر السلم) التى تنتشر بالأحياء الشعبية فى ربوع المحروسة من الإسكندرية إلى أسوان ، حتى أصبحت الأجيال الجديدة من مستمعى القرآن تعتقد فى أن ما جاء من الخارج هو الشرعى ، وأما ما عداه فهو باطل وغير شرعى ، مما جعل ما استنه نجوم دولة التلاوة فى عصرها الذهبى من فن يوشك على الزوال، بينما خرج العامل الرابع من ثنايا دولة التلاوة نفسها، ويتمثل هذا العامل فى دور جمهور المستمعين إلى التلاوات القرآنية فى المساجد وأماكن المناسبات المختلفة ، وقد أجمع كثير من الكتاب والقراء على أهمية ذلك الجمهور الذى يشار إليه دائماً بكلمة " السمّيعة " ، ولعل قولهم هذا يكون صحيحاً فى زمن شهد " سمّيعة " من أمثال محمد خميس بك والمنصتين للشيخ محمد رفعت في مسجد فاضل باشا بدرب الجماميز، ولكن القول بأن : " هؤلاء (السمّيعة) دورهم مهم جداً ، لأنهم يشحذون الهمم والعزائم للتجويد والتألق ، كى يقدم (القارئ)أفضل ما عنده ، وهو ما يقول به الشيخ محمد محمود الطبلاوى وآخرون من القراء والكتاب (صلاح البيلى : محنة دولة القراءة ، المصور ، العدد ٤٤٧٩، ٢٠١٠/٨/١١م، ص ٢٦-٢٧) ، يعد قياساً فى غير محله ، لأنه لا مجال الآن لمقارنة مستمعى اليوم بجمهور الشيخ محمد رفعت الذى كان يحتشد لسماعه فى خشوع وكأن علي رءوسهم الطير، فمستمعو اليوم لا هم لهم سوى الجلبة والصياح وإثارة الصخب ، ولا يفهم معظمهم معنى ما يستمعون إليه من آيات ، وإلا ما كانوا ليهللوا عندما يستمعون لآيات الوعيد والعذاب .

ألا من عودة؟

قد لا يجد المرء فيما خط عن دولة التلاوة من أدبيات خيرا مما قاله الكاتب الراحل محمود السعدنى فى وصف ما آل اليه حال تلك الدولة عندما أصدر فى مطلع عام ١٩٩٦م الطبعة الثانية من كتابه "ألحان السماء" ، فقد وصف-رحمه الله-أصوات نجوم العصر الذهبى للتلاوة بقوله : "وكانوا مثل الأشجار المثمرة فى جنة فواكه" ، بينما قال عن أصوات الموجودين-حال إصدار طبعة كتابه الثانية-من قراء: "إنهم جميعا لهم رائحة النبق والدوم والجميز والتين الشوكى"!! (ص ١٢٦)، ولا يعرف أحد كالفلاح الفرق بين روائح التفاح والعنب البناتى والرمان والخوخ والكمثرى وغيرها مما وصف به السعدنى أصوات النجوم وروائح النبق والجميز وغيرهما مما شبه به أصوات قراء التسعينيات ، وبالرغم من قسوة نقد الأستاذ السعدنى-رحمه الله-فى تشبيهاته السابقة، إلا أن ذلك لا يحول دون أن يساءل المرء نفسه :ألا من عودة لعصر دولة التلاوة الذهبى؟.

هذا الكتاب

يتضمن هذا الكتاب تراجم لخمسة عشر نجما من نجوم دولة التلاوة فى عصرها الذهبى ، والنجم هنا من ظهر وانتشر وتميز وكان علما فى دولة التلاوة ، ونحسب أن هناك البعض من القراء الموهوبين والمتميزين ممن عاصروا هؤلاء النجوم ولم يترجم لهم هذا الكتاب، وذلك لأن ما جاءوا به قد ظهر وبصورة أفضل فى إبداع أحد أو بعض من اخترنا هنا من نجوم، ومن نافلة القول أيضا أن نثبت هنا أن أحدا من القراء الجدد لا يحق أن يطلق عليه لقب نجم ، وذلك طبقا لما يظهر هنا من معايير للنجومية لا تنطبق إلا على من ترجم لهم هذا الكتاب.

يتبع هذا الكتاب المعايير الأكاديمية فى البحث عن الحقائق وتدقيق المعلومات، ويتم إثبات مصادره فى سياق متنه من أجل التخفيف على قارئه من مشقة الرجوع الى ثبت منفصل لتلك المصادر ، لقد تم التحقق من جميع ما أثبت هنا من تواريخ وعلى الأخص ما يتصل منها بالأحداث المهمة كالظهور فى الإذاعة والوفاة أو ما يرتبط منها بحدث مهم، ومن المهم أن نذكر هنا أن ترتيب نجوم هذا الكتاب ، جاء وفقاً للسياق التاريخى ثم تبعاً لسبق الظهور ببرامج الإذاعة ، إن ما جلاه هذا الكتاب من حقائق وما صححه من أخطاء يعد أدنى ما يستحقه هؤلاء النجوم من تقدير وتكريم ، كذلك فإن ما بذل فيه من جهد ووقت إنما كان لوجه الله عز وجل وحبا لرسوله و لكتابه الكريم.

شبين الكوم : الأربعاء غرة رمضان ١٤٣١هـ (١١/٨/٢٠١٠م)

الفصل الأول



أحمد ندا

مؤسس دوله التلاوه الحديثة

جاء ظهور دولة التلاوة الحديثة كما ذكرنا فى مقدمة هذا الكتاب - مواكبا لما أحدثه كل من عصر محمد على وخلفائه والثورة العرابية فى المجتمع المصرى من إحياء لروح الريادة فى شتى المجالات ، مما أثمر بعد ذلك ظهور دولة التلاوة الحديثة فى أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين ، تلك الدولة التى تأسست بإبداعات تلاوات الشيخ أحمد ندا، ثم تبعه الرعيل الأول من القراء العظام من أمثال الشيوخ : على محمود ومحمد رفعت ، ليكون ذلك إيذانا ببزوغ فجر العصر الذهبى لدولة تلاوة القرآن الكريم فى مصر.

البداية

ولد أحمد أحمد عبد السلام الشهير بالشيخ أحمد ندا بالقاهرة حوالى عام ١٨٦٨م، كان والده: الشيخ أحمد عبد السلام والمعروف بالشيخ أحمد ندا أيضا ...... مؤذنا فى مسجد السيدة زينب رضى الله عنها ، وقد أثر عن الشيخ أحمد ندا الأب قوة صوته وجهارته ، وهو ما ورثه عنه الابن أحمد وشقيقه الأكبر حامد ، وعندما مات الشيخ أحمد ندا الأب قرابة مطلع القرن العشرين ، استقر ابنه البكر : الشيخ حامد فى وظيفة المؤذن بمسجد السيدة زينب رضى الله عنها ، بينما كان شقيقه الصغير : الشيخ أحمد ندا والذى تلقى قدرا من التعليم الأزهرى بعد إتمام حفظ القرآن ..... قد اتجه لقراءة القرآن فى سرادقات العزاء والأفراح وغيرها من المناسبات (عبد العزيز البشرى :

المختار، دار المعارف، الجزء الثانى ، ص١١١) .

عندما احترف الشيخ أحمد ندا تلاوة القرآن فى مطلع القرن العشرين ، كانت دولة التلاوة بمصر تتكون من طبقتين ، تضم الأولى منهما ثلاثة قراء ..... هم الأشهر بين قراء العصر ، كان الثلاثة هم الشيوخ : محمود القيسونى وحسين الصواف وحنفى برعى ، بينما ضمت الطبقة الثانية عامة القراء ممن يقرأون فى المآتم وفى مناسبات عامة الناس ، وقد كان أول الثلاثة من قراء الطبقة الأولى ...... وهو الشيخ محمود القيسونى ، محجوبا عن عامة الشعب لكونه المؤذن والقارئ الخاص لملك البلاد : الخديو عباس الثانى ، لذلك انحصر التنافس بين الشيخين حسين الصواف وحنفى برعى على اكتساب حب الجماهير فى المساجد والمناسبات ، وعندما انضم الشيخ أحمد ندا لوقائع المنافسة بين الشيخين حسين الصواف وحنفى برعى ، كانت أيام الشيخ الصواف مع تلاوة القرآن قد قاربت على الانتهاء ، وسرعان ما خلا الميدان للشيخ حنفى برعى والقارئ الصاعد الشيخ أحمد ندا ، يجملان صوتيهما بآيات الذكر الحكيم فى كل مناسبة تعرض بالقاهرة ، انتظارا لحكم الجمهور فيمن آلت له زعامة دولة التلاوة بمصر(عبد العزيز البشرى: المصدر السابق، ص١١٢-١١٣).

أصوات ذلك الزمان

لما كانت أصوات قراء ذلك الزمان قد ضاعت ولم يصل إلينا منها ولو أقل القليل، لأن عصرهم كان سابقا لعصر الإذاعة وتقنيات تسجيل الصوت المتطورة ، فإن الرجوع الى كتابات المعاصرين لهم حول خصائص تلاوتهم ، يعد هو الوسيلة الوحيدة المتاحة أمام من يريد الآن أن يعرف كنه تلك الأصوات ، ومن هذه

الكتابات مقال للأديب الراحل الشيخ عبد العزيز البشرى أفرده للحديث عن الشيخ أحمد ندا ، وقد نشر الشيخ البشرى المقال أولا بالصفحتين الأولى والثانية فى عدد الجمعة ٥ أغسطس سنه١٩٣٢م من صحيفة "الأهرام" ، ثم ضمه بعد ذلك الى الجزء الثانى من كتابه الشهير : " المختار" ، أفرد الشيخ البشرى جزءا من مقاله عن الشيخ أحمد ندا للحديث عن صوتى الشيخين حنفى برعى وأحمد ندا ، فيصف الشيخ البشرى صوت الشيخ حنفى برعى قائلا : " وكان على هذا حلو الصوت دقيقه ، أشبه ما يكون بصوت العود يتلاعب بأوتاره الحاذق الحسان ، وكان الى هذا على حظ من الفن العظيم ، يقرأ على طريقته التى ابتكرها هو ابتكارا واحتذاها بعده كثيرون"، أما صوت الشيخ أحمد ندا .... فإن الشيخ البشرى يتحدث واصفا إياه فيقول : " لم يكن صوت الشيخ ندا حلوا بالمعنى الذى يدرك من أصوات مثل المرحومين الشيخ يوسف المنيلاوى وعبد الحى أفندى حلمى " ، ثم يضيف البشرى ليكشف لقارئه مواطن الجمال فى صوت الشيخ ندا فيقول : " ولكن له جمالا من نوع خاص ، فلقد كان قويا شديد القوة ، يرتفع الى ما تتقطع دونه علائق غيره من الأصوات ،وكان مع هذا عريضا بعيد العرض "، ويستطرد الشيخ البشرى بعد ذلك الى مزيد من الوصف لصوت الشيخ ندا ، فيقول الشيخ البشرى إن قرار صوت الشيخ ندا كان مقفرا واضح الإقفار ، ولكن ثروة الشيخ ندا الصوتية فيما يقرر الشيخ البشرى تكمن فى الطبقات الوسطى وطبقة الجواب لصوته ، فيقول الشيخ البشرى عن ذلك :" فكان لهذا دائم الاتكاء عليهما (يعنى الطبقات الوسطى وطبقة الجواب) فى ترجيعه عامة ليله ، فلا يتنزل الى قراره إلا ليصيب راحة ضئيلة يستجم فيها" (عبد

العزيز البشرى: المصدر السابق، ص١١٢-١١٣).

ولان كان ما قاله الشيخ عبد العزيز البشرى عن صوت الشيخ أحمد ندا هو ما أجمعت عليه فعلا كتابات كل من تحدثوا عن هذا الصوت ، فإن ذلك يعنى أن مساحة صوت الشيخ تقترب من ثلاثة دواوين كاملة أى أربعة وعشرين مقاما!، ومن أسباب ذلك أن صوتا كصوت الشيخ محمود صبح ، وهو أحد الأصوات المعاصرة لصوت الشيخ ندا، كانت مساحته - أى صوت الشيخ صبح - تتجاوز جواب الجواب لنغمة الهفتكاة والذى يقدر بواحد وعشرين مقاما (كمال النجمى : الغناء المصرى..مطربون ومستمعون،دار الهلال، القاهرة ، ١٩٩٣م ، ص١١٥) ، ومما يؤكد ذلك ما ذكره شيخ الصحفيين الأستاذ حافظ محمود - رحمه الله - فى مقدمة كتاب " ألحان السماء " للأستاذ محمود السعدنى ، حيث ذكر الأستاذ حافظ محمود أنه كان يستمع الى صوت الشيخ أحمد وهو يقرأ القرآن فى مسجد السيدة زينب رضى الله عنها ، بينما كان الأستاذ حافظ محمود فى منزل أسرته الذى يبعد قرابة التسعين مترا عن المسجد ، وذلك بالرغم من عدم وجود مكبرات الصوت التى لم تكن قد عرفت بعد ! (شكرى القاضى : عباقرة التلاوة، ص١٦-١٧).

مشوار الشهرة

كان أداء الشيخ أحمد ندا فى بداية مشواره مع الشهرة مقاربا لأداء الشيخ حنفى برعى ، ولكنه سرعان ما طور ذلك الأداء معتمدا على موهبته الفذة وما حذقه فى مرحلة التلقى والتعليم من روايات للتلاوة وفنون للتجويد ، وهو ما عبر عنه الشيخ عبد العزيز البشرى وأجاد فى قوله عن الشيخ : " كان الشيخ ندا رجلا صائدا لا يخطئ سهمه ما سنحت له الرمية " (عبد العزيز

البشرى:المصدر السابق،ص١١٤-١١٥). ، لم تكن موهبة الشيخ الصوتية أو إلمامه بعلوم القراءات والتجويد محلا لاختلاف أو موضعا لمناقشة ، ولكن هناك ثمة خلاف حول حصيلته من فنون الموسيقى اللازمة والضرورية للانتقالات النغمية ، وقد ثار ذلك الخلاف بين الشيخ عبد العزيز البشرى والأستاذ التفتازانى على صفحات "الأهرام" ، فبينما كان من رأى الأستاذ التفتازانى : " أن الشيخ ندا كان على عرق عظيم من العلم بفن الموسيقى " (عبد العزيز البشرى: المصدر السابق، ص١١٢-١١٣). ، فإن الشيخ البشرى كان يقول بأن :" أحمد ندا لم يكن عالما قط بالموسيقى ، وإنما كان فنانا حق الفنان" (عبد العزيز البشرى:المصدر السابق،ص١١٤-١١٥) وبالرغم من ذلك فإن الشيخ ندا والحديث للشيخ البشرى كان : " لا يأخذ فى قراءته سمتا واحدا ، بل ما يبرح يترجح بين فنون النغم "، إن ذلك لا يفهم منه سوى أن الشيخ ندا كان على دراية عالية بالانتقالات المقامية التى لا يحسنها سوى العباقرة من القراء ، مما جعل الشيخ البشرى يسلم بأن الشيخ ندا قد :" أبدع فى فن ترتيل القرآن بدعا لا عهد للناس بها من أول الزمان ، ولن يزال يترسمها القارئون الى بعيد من الزمان " (عبد العزيز البشرى:المصدر السابق،ص١١٤-١١٥).

أقبلت الدنيا على الشيخ أحمد ندا عندما ذاع صيته واشتهر ، فانعكس ذلك فيما وصل اليه أجر الشيخ ، وهو ما سجله محمود السعدنى فى كتابه " ألحان السماء" بقوله :" كان الشيخ ندا يتقاضى جنيها كاملا فى كل ليلة ، كان ذلك عام ١٩١٥ م ، والحرب العظمى ناشبة، وموجة الإفلاس تدمر بيوت تجار القطن وملاك الأرض " (محمود السعدنى:ألحان السماء ، ١٩٩٦م ، ص ٣٣)، ويضيف الأستاذ السعدنى الى ذلك مسجلا أجر الشيخ ندا

عندما بلغ ذروة شهرته بقوله:" وظل يرتفع أجره بعد ذلك الى أن بلغ مائة جنيه عن الليلة الواحدة" (محمود السعدنى: المصدر السابق ، ص ١٠٨) .

لم يكن أجر الشيخ أحمد ندا هو ما ارتفع فقط فى ذلك الوقت، وإنما ارتفعت مكانته الاجتماعية بتحلق نخبة من كبار رجالات العصر حوله ، فقد جعل من منزله القريب من مسجد السيدة زينب رضى الله عنها حيث يقرأ السورة منتدى فكريا وثقافيا تتحاور فيه أصوات حافظ إبراهيم وعبد العزيز البشرى وأم كلثوم ومحمد عبد الوهاب والشيوخ على محمود ومحمد رفعت وزكريا أحمد ، وذلك فيما أثبته الكاتب والصحفى شكرى القاضى فى كتابه " عباقرة التلاوة" (شكرى القاضى :المصدر السابق) ، حتى لقد بلغ الأمر بالشيخ عبد العزيز البشرى أن قال عنه إنه كان: "عنصرا كبيرا مما تتسق به الحياة فى مصر وما تنتظم به ثروتها الأدبية"، ولم يكن الشيخ ندا ليبلغ ما بلغه إلا باقتران علو المكانة وطيب الشمائل والأخلاق ، وهو ما أثبته الشيخ البشرى أيضا فى مقال بصحيفة "الأهرام" بقوله : " وكان ، أثابه الله ، كأمثاله العظماء بالحق ، جم التواضع ، وافر الأدب ، لا يذكر الناس ، إن هو ذكرهم ، إلا بالخير ، عظيم التوافى لمن يعرفهم ، طلاعا عليهم ما اعتراهم المكروه" (الأهرام : ١٩٣٢/٨/٥م ، ص ١-٢) ، لذلك يمكن القول بأن دولة التلاوة بمصر قد دخلت على يد أحمد ندا عصرها الحديث ، وهو عصر شهد تنامى جماهير المستمعين الى قراء القرآن الكريم ، إضافة الى ظهور مجموعة من القراء هم الأجمل صوتا والأكثر موهبة على طول تاريخ دولة التلاوة فى مصر .

مفاجأة الرحيل

كان الشيخ أحمد ندا رحمه الله رجلا وسيما ..... ربعة فى قوامه...... مكتنزا فى جسمه ، وبصفة عامة ..... كان الشيخ بادى التأنق فى ثيابه وفى عمامته التى كان يلفها بشكل مميز ، مما جعله محط أنظار المجتمع بعامة والقراء بوجه خاص ، حتى أن قراء ذلك الزمان كان يقلدون الشيخ فى زيه ولف عمامته .

رجت القاهرة فى صباح الخميس ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٥١هـ الموافق ٢١ يوليه ١٩٣٢م بنعى مزدوج ، فقد خرجت صحف صباح ذلك اليوم تنعى للمصريين مؤسس دولة التلاوة الحديثة : الشيخ أحمد ندا ، الذى وفاه الأجل فى مساء الأربعاء ، وحملت صحيفة "الأهرام" فى الصفحة الثامنة من عددها الصادر صباح ذلك اليوم النعى التالى الذى نشرته أسرة الشيخ:" انتقل الى الدار الباقية مساء الأربعاء ٢٠ يوليه سنة ١٩٣٢م المقرئ الشهير الشيخ أحمد ندا ، والد كل من الأفندية أحمد ومحمد ومحمود ندا ، وستشيع الجنازة فى الساعة العاشرة صباح اليوم (الخميس) من مسجد السيدة زينب ، وسيقتصر على إحياء ليلة المأتم بشارع الناول ، طيب الله ثراه" ، لم يكن أسف الناس على رحيل الشيخ أحمد ندا قد بلغ مداه ، حتى روعت القاهرة وقبل أن تشيع جنازة الشيخ أحمد ندا بنبأ وفاة شاعر النيل : حافظ إبراهيم فى الخامسة من صباح نفس اليوم (الخميس) ، اى أن الفاصل بين رحيل الرجلين كان بضع ساعات مثلت سواد الليل ، كان المشهد بالقاهرة فى ذلك النهار مهيبا بل مروعا ، فقد تحركت جنازة الشيخ أحمد ندا قبل ظهر الخميس ٢١ يوليه من مسجد السيدة زينب ، تتقدمها جموع المشيعين من بسطاء الناس وكبار رجال الدولة ،وفى السادسة مساء .. انتقلت نفس جموع المشيعين

ومعهم المزيد من رجال الدولة والأدب ، لتشارك تلك الجموع فى جنازة شاعر النيل التى تحركت من كوبرى الليمون الى مسجد الكخيا المطل على ميدان الأوبرا (الأهرام : الجمعة ١٨ ربيع الأول ١٣٥١هـ الموافق ١٩٣٢/٧/٢٢م ، ص ١) ، وعندما ورى جثمان شاعر النيل بعد الصلاة عليه فى مسجد الكخيا ، كانت القاهرة قد شهدت يوما قل أن يجد المرء له مثيلا فى أيامها ، إذ ليس من طبيعة الأمور أن تشيع البلاد علمين من أعلامها فى نهار يوم واحد من أيامها التى لا تنسى.

الفصل الثاني



محمد رفعت

بلبل الفردوس

لم أكن قد أتممت بعد العام الأول من عمرى ، حين رحل عن عالمنا فى يوم الثلاثاء التاسع من شهر مايو عام ١٩٥٠ م المرحوم الشيخ محمد رفعت ، فعم الحزن على رحيله مصر والعالم الإسلامى وسكن قلبى جانب كبير من هذا الحزن عليه ، وهو حزن زرعته وروته أحاديث والدتى رحمها اللهعن سحر تلاوته ، وعندما كنت أشير أمامها الى ما يكتنف تسجيلاته المذاعة من عوار ، كانت رحمها الله تفسر ذلك ببدائية وسائل تسجيل الصوت ، وتتبع ذلك بقولها بأسى كبير : لقد كان صوته هبة سماوية .

ابتلاء وتحصيل

ولد الشيخ محمد رفعت بحى المغربلين فى يوم الاثنين التاسع من شهر مايو فى عام ١٨٨٢م ، كان أبوه محمود رفعت ضابطا للشرطة بقسم الخليفة ، وجاء ترتيبه الرابع بين أخوته (طارق خليل : القرآن الكريم ومشاهير القراء ، دار التحرير ، ١٩٩٤م ، ص ١١) ، وقد فقد الشيخ بصره وهو بعد فى الثانية من عمره ، عندما دهم المرض عينيه وأخطأ طبيب فى علاجهما ، مما حدا بالأب بعد ذلك أن يوجه الابن المبتلى فى بصره لحفظ القرآن وهو بعد ابن الخامسة (طارق خليل : المصدر السابق، ص ١٢) ، وعندما أتم الصبى حفظ القرآن فى العام التاسع من عمره ، وكانت مواهبه الصوتية قد تبدت ، فانه اتجه لتعلم القراءات القرآنية وإتقان طرق أداء القرآن أو ما يعرف بعلم التجويد ،

فتلقى دروسا فى القراءات السبع على يد الشيخ عبد الفتاح هندى ، وتعلم فنون التجويد القرآنى على الشيخين محمد البغدادى والسمالوطى (المصدر السابق) ، ولم تكن لتكتمل للقارئ الجديد أدواته بدون دراسة الموسيقى والإلمام بقواعدها وطبع صوته بسحرها ، فأكب على تعلم قواعد الموسيقى من خلال العزف على العود وحفظ الكثير من إبداعات كبار ملحنى عصره من أمثال الشيخ محمد عبد الرحيم المسلوب وعبده الحامولى ومحمد عثمان ،حتى أن هناك من الباحثين من يذكر أن من استمعوا الى الشيخ وهو يردد بعض القصائد مثل : "أراك عصى الدمع " و " وحقك أنت المنى والطلب " و " سلوا قلبى " ، قد أخذوا واستولى عليهم الذهول من فرط الطرب (د. خيرى عامر : مشايخ فى محراب الفن ، ص ١١٨-١١٩) وأضاف الشيخ محمد رفعت الى ذلك المئات من الابتهالات والتواشيح الدينية التى برع فيها كوكبة من شيوخ ذلك العصر من أمثال يوسف المنيلاوى و محمود سكر (د. محمد رجب البيومى : المقرئ محمد رفعت .. بلبل الفردوس ، الهلال ، سبتمبر ١٩٦٠م ، ص ١١٣-١١٦) ، ولكن ذلك لم يكن كافيا لإشباع تعطشه لمزيد من العلم بالموسيقى ،فأكب على اسطوانات الموسيقى الغربية ينهل منها مزيداً من العلم بأسرار الموسيقى ، حتى أنه وبعد وفاته وجد بين ما خلف من مقتنيات اسطوانات لكبار الموسيقيين من أمثال بيتهوفن وباخ وموتسارت وليست ، بالإضافة الى عدة اسطوانات لعازف الكمان الإيطالى الشهير : نيقولا باجانينى ، هكذا استكمل الموهوب الصغير مؤهلاته ، وأصبح فى مقدوره قبل أن يكتمل العقد الثانى من القرن العشرين أن يتبوأ ما يستحق من مكانة فى دولة التلاوة .

فى رحاب مسجد فاضل باشا

عندما توفى محمود رفعت : والد الشيخ محمد ، وكان الشيخ فى أول مدارج الشباب ، فأنه لم يجد حلاً لإعالة أمه وأخوته سوى أن يعمل بقراءة القرآن فى سرادقات العزاء ، ولينطلق من هناك الحديث عن سحر صوته ، مما حدا بالمسئولين عن مسجد الأمير مصطفى فاضل باشا بدرب الجماميز (شارع بور سعيد حالياً) للتعاقد معه قرابة عام ١٩١٨م ليكون قارئا للسورة بالمسجد، ومن هذا المسجد الصغير المجاور للرحاب الطاهرة للسيدة زينب رضى الله عنها ، انطلق صوت الشيخ محمد رفعت بآيات سورة " الكهف " التى دأب قراء عصره على تلاوتها فى المساجد وقبل كل جمعة ، فغزا بصوته الملائكى الأسماع وسحر القلوب ، ليضيق المسجد الصغير بالساعين لتشنيف آذانهم وإضاءة قلوبهم بآى الذكر الحكيم وهى تتدفق من فم الشيخ كدرٍّ منضود ، فتفرش الطرقات حول المسجد الصغير بالابسطة لاستيعاب المزيد من الساعين ليملأوا صدورهم بريح الجنة وليقرعوا أسماعهم بآيات الوعيد والعذاب ، بينما تتخذ مجموعات من الأجانب الذين اجتذبهم أداء الشيخ المعجز أماكنها فى شرفه علوية بالمسجد (أحمد البلك : أشهر من قرأ القرآن في العصر الحديث، ص١٥)، وليتشكل بذلك جمهور من مستمعى القرآن الكريم لم يشهد تاريخ دولة تلاوة القرآن له مثيلا من قبل أو من بعد !.

عمت شهرة الشيخ محمد رفعت البلاد وطبقت الآفاق ، ورفعه حب الناس والتفافهم حول صوته ليصبح القارئ الأول فى مصر ، وعندما شهدت مصر بدايات الإرسال الإذاعى فى عام ١٩٢٣م ، والتى تطورت فيما بعد وخرجت منها محطات الإذاعات الأهلية ،

دأبت تلك المحطات فى افتتاح برامجها بآيات القرآن الكريم يتلوها بعض قراء ذلك العهد، ولسنا نعلم الآن هل كان الشيخ محمد رفعت من بين قراء الإذاعات الأهلية أم لا ؟ ، ولكن المعروف والثابت لدينا هو أن صوت الشيخ انطلق يتلو عند افتتاح محطة الإذاعة الحكومية فى ١٩٣٤/٥/٣١م ما يتيسر له من سورة "الفتح" ، فكان بذلك أول من تلا القرآن فى تاريخ الإذاعة الحكومية الذى بدأ بصوت الشيخ محمد رفعت.

لم يعرف العصر الذى شاعت فيه شهرة الشيخ محمد رفعت ما ألفه عصرنا من تقنيات فائقة لحفظ الصوت والصورة ، مما نتج عنه انه لم يصل إلينا ولو شريط مصور واحد لإحدى تلاوات الشيخ ، ناهينا عن أن صوت الشيخ لم يجتذب شركات الاسطوانات أو الإذاعات الأهلية - الغارقة جميعها فى الترويج لغنائيات هابطة - لتحفظ للمستمعين وللتاريخ ثروة من قراءات الشيخ فى بداياته الثرية ، حتى أن ما يتداوله الناس الآن من تسجيلات قليلة لتلاوات الشيخ محمد رفعت إنما هو نتاج جهد بعض عشاق صوته ، ومن هؤلاء زكريا باشا مهران ومحمد خميس بك، اللذان وفقهما الله لتسجيل بعض تلاوات الشيخ علي اسطوانات من الشمع (شكري القاضي: عباقرة التلاوة، ص ٢٦- ٢٧)، فكان من جراء ذلك أن تلفت أجزاء قليلة من هذه التسجيلات بعد سنوات قلائل من رحيله ، مما حدا بالمسئولين عن الإذاعة للاستعانة بالشيخ أبو العينين شعيشع - وهو اقرب الأصوات لصوت الشيخ محمد رفعت - لترميم تلك التسجيلات.وبالرغم من ذلك ... تتحمل الإذاعة وإدارتها أمام التاريخ مسئولية إضاعة فرصة حفظ إبداعات الشيخ فى أوج تألقه وقبل إصابته بمرض الفواق ، حيث اكتشف بعد رحيل

الشيخ ، ومن خلال مساجلات جرت بين أبنائه ومسئولى الإذاعة على صفحات أعداد صحيفة " الأهرام " التى صدرت فى الأيام الأخيرة من شهر مايو ١٩٥٠م ، أن ثمة اتفاقا عقد بين الشيخ وهيئتى الإذاعتين المصرية والبريطانية لتسجيل بعض التلاوات على عدد من الأشرطة ، وقد تم الاتفاق على أن يتقاضى الشيخ مائة جنيه من الإذاعة المصرية ومثلها من الإذاعة البريطانية كمقابل للشريط الواحد ولكن الإذاعة ممثلة فى مديرها محمد سعيد لطفى باشا تراجعت بعد حين عن اتفاقها ، وطلبت من الشيخ محمد رفعت خفض المقابل المادى للشريط الواحد الى خمسة وسبعين جنيهاً من كل من الإذاعتين : المصرية والبريطانية ، مما أغضب الشيخ وجعله يصرف النظر تماماً عن ذلك الاتفاق.

وبالرغم من ذلك فإن فيما وصل إلينا من كتابات تصف تلاوة الشيخ العبقرية ما يسد ذلك النقص ولو جزئياً ، نذكر من تلك الكتابات ما أثبته الناقد والشاعر الراحل كمال النجمى فى سياق مقالة " أعظم صوت تغنى بالقرآن " واصفاً إحدى تلاوات الشيخ فى مسجد مصطفى فاضل باشا ، قال الأستاذ النجمى : " واعتدل الشيخ فى مجلسه وتنحنح ، فأصغى الناس اليه وأرهفوا الأسماع ، كأنه إذا تنحنح هيأ القلوب للوجد أو فتحها للطرب ، ثم إنسابت النبرات الموسيقية الدقيقة الدافئة ، تمتد من حجرته الوهاجة الى الجالسين حوله ... امتداد أشعة الشمس اليهم فى رحاب المسجد». (كمال النجمى : "أعظم صوت تغنى بالقرآن " ، فصل من كتاب "أصوات وألحان عربية " ، ، ص ١٦٤-١٦٥).

صوت لا يتكرر

كثيرة هى أوجه الإعجاز فى تلاوة الشيخ محمد رفعت لآيات القرآن الكريم، ولكنه يمكن القول بأن الأهم بل والنادر من تلك

الأوجه يتبلور فى وجهين يتمثل أولهما فى نفاسة الصوت..بينما يجئ ثانيهما من فهم الشيخ لما يقرأ من آيات الذكر الحكيم ، وقد أسهب كثير من الباحثين والنقاد فى وصف جانب الإعجاز الصوتى لدى الشيخ ، ويمكن القول بأن المقلب فيما كتب عن صوت الشيخ لن يجد خيرا مما تحدث به كل من د. مهدى علام : أستاذ الأدب بجامعة إبراهيم باشا (جامعة عين شمس حاليا) و كمال النجمى للإحاطة بالأطراف المترامية لمظاهر الإعجاز فى صوت الشيخ ، انصب وصف د. مهدى علام على الجانب الموسيقى فى صوت الشيخ فقال : " أما الصوت نفسه فأخص مميزاته أنه عذب رخيم ، لا تتعاصى عليه النغمات ،لا فى طبقاتها العالية الحادة المدوية ،ولا فى قرارها القوى الرصين، ولذلك نجد أنه ينفذ الى أنحاء النفس يوقظ من نبراتها الروحية ويثير أحاسيسها العاطفية ، فهو تارة فى نغمة البياتى الوقورة الهادئة ، وآونة فى ألوان من النغمات العاطفية الرقيقة كالصبا والحجاز ، وطورا يتنقل متغنياً فى نغمات أخرى تتجلى فيها الرقة الرصينة الحافزة كالجهاركاه وغيرها ، مما ينم عن قلب حساس رقيق ...وطبع هادئ وقور... ونفس راضية مطمئنة"، (د. مهدى علام : الشيخ محمد رفعت ... المقرئ الموهوب ، الإذاعة المصرية ، العدد ٨٩٦، ١٩٥٢/٥/١٧م، ص ١٠-١١) ، هكذا سلط د.مهدى علام الضوء على جانب الانتقالات النغمية أو المقامية فى أداء الشيخ الصوتى ، وأما الناقد الكبير كمال النجمى فانه يصف وبدقة التكوين العلمى لصوت الشيخ فيقول عنه : " والحق أنى لم أسمع طوال حياتى صوتاً ضيق الحجم ، خافتاً كصوت الشيخ رفعت ، يحتوى برغم ضيق حجمه وخفوته ، على ثمانى عشرة درجة موسيقية ، أو ثمانية عشر مقاماً موسيقياً سليماً،

ويمتد على قسمين كاملين من أقسام الأصوات الرجالية الثلاثة المعروفة عند الموسيقيين ، وله - فوق هذا كله - استعارة صوتية عجيبة، تتألف وحدها من ثلاث درجات موسيقية ساحرة ما سمعنا مثلها حتى يومنا هذا ، فاجتمعت بذلك لصوته العبقرى مساحة موسيقية هائلة تضم واحدا وعشرين مقاما تقريباً ، منطوية فى ذلك الحجم الضيق ، كما تنطوى الطاقات الهائلة فى الذرة الصغيرة "!! (كمال النجمى : المصدر السابق).

إن صوتاً نادراً كصوت الشيخ محمد رفعت يمكن أن يكون عديم القيمة إن لم تدعمه قدرات عقليه فى مصاف ندرته ، وقد منّ المولى عز وجل على الشيخ بتلك القدرات التى مكنته من تدبر ما يقرأ من آى الذكر الحكيم ، فجاءت قراءاته آية فى الأداء الصوتى وتمثل معانى الآيات ، وعن تلك الجزئية من إعجاز تلاوة الشيخ تحدث الدكتور / محمد رجب البيومى فقال: " قرأ مرة قول الله عزّ وجلّ فى سورة القصص عن موسى عليه السلام (فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) ، فوقف عند قوله (تمشى) ، ثم بدأ بقوله (على استحياء قالت) ، فظن بعض السامعين من دارسى النحو والبلاغة أن الرجل قد أخطأ ، ورجاه أن يصل ، فابتسم رفعت وقال : أرى أنها قالت على استحياء ، ولا أرى كما فهمت أنت أنها تمشى على استحياء ، لأن الحياء فى القول ألزم منه فى السير"!! (د. محمد رجب البيومى : المصدر السابق) ، الى هذا الحد المعجز وصل فهم الشيخ وتدبره لما يقرأ من آيات القرآن ، مما جعله - و بحق - أعلم قراء عصره بمواضع الوقف والابتداء فى آيات القرآن الكريم .

ابتلاء أكبر

لا يكاد المرء يجد بين قراء العصر الذهبى لدولة قراءة القرآن بمصر من امتحن بالابتلاء كالشيخ محمد رفعت ، فبعد أن فقد بصره فى صباه ، شاءت إرادة الله عزّ وجلّ أن يمتحن بابتلاء أكبر ، حدث ذلك قرابة منتصف الأربعينيات، وبالتحديد في عام ١٩٤٣م كما جاء في عديد من المصادر (سناء البيسي: الشيخ محمد رفعت.. قيثارة السماء، الأهرام، ٢٠٠٩/٢/٢١م، ص١٢)، عندما احتبس صوته إثر إصابته بمرض الفواق، فاحتجب بمنزله معتذرا عن قبول يد العون ، التى جاءته فى شكل اكتتاب أعلن عنه الكاتب المعروف فكرى أباظة ، أو على شكل تبرعات قدمها عشاق صوته وعارفو فضله ،واحتسب الشيخ ما أصابه فى مكمن موهبته عند بارئه ، وأقام صابرا متعففا حتى وافته المنية فى الثالثة من فجر يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٧٠هـ والموافق للتاسع من مايو عام ١٩٥٠م ، وكان آخر ما نطق به لسانه قبل أن يلقى وجه ربه : الحمد لله!. (الأهرام: ١٩٥٠/٥/١٠م، ص١١).

جحود ونكران

عانى الشيخ محمد رفعت فى أيامه الأخيرة وعند وفاته من جحود أجهزة الدولة ونكرانها لفضل عبقريته ، وهو ما تجلى فى جنازته التى خلت من مظاهر التكريم الرسمية ، وفى إعلانات النعى التى تكفل بنشرها البعض من محبيه بالإضافة الى رابطة قراء القرآن الكريم بمصر وحزب العمل الإشتراكى (فرع الموسكى) والجمعية التعاونية لبائعى الصحف ! ، تلك الإعلانات التى نشرت فى عدد صحيفة " الأهرام " الصادر فى يوم الأربعاء ١٩٥٠/٥/١٠م ، وفيما عدا ذلك فان أحداً من المسئولين لم

يتحدث عن الشيخ ولو بكلمة واحدة ،على أن بين ما حملته الصفحة رقم (١١) من عدد" الأهرام "الصادر فى ١٠/٥/١٩٥٠م الى جوار إعلانات نعى الشيخ كان ثمة شئ لافت للنظر ، ففى ثنايا نعى الشيخ جاء الخبر التالى : " ومما يذكر أن مجلس الإذاعة اللاسلكية كان قد قرر منذ أسبوع زيادة الأجر المحدد لإذاعة الشريط المسجل للفقيد من خمسة جنيهات الى سبعة جنيهات ونصف الجنيه ،على أن تكون الإذاعة مرتين فى كل أسبوع»، أى أن ما كان يأخذه الشيخ من أجر مقابل إذاعتين فى الأسبوع ـ قبل القرار الذى لم ينفذ – لم يزد عن عشرة جنيهات !، وبينما كانت الإذاعة تقدم لأم كلثوم أجراً عن ساعة الغناء قدره مائة جنية ! (كمال سعد : أم كلثوم و زكريا أحمد أمام القضاء ، ١٩٩٧م ، ص ١٠٨)، لم تكن الحكومة مغيبة الوعى يوم رحيل الشيخ ، لأنه فى اليوم التالى لرحيل الشيخ – وهو الأربعاء الموافق ١٠/٥/١٩٥٠م – أرسل قائد القوات الجوية مندوبا عنه ليشيع جنازة ضابطين طيارين هما زكى عجرمة وأحمد قنديل ، وبينما غاب عن جنازة الشيخ الحضور الرسمى، غصت جنازة الضابطين بالمسئولين يتقدمهم الفريق محمد حيدر باشا :القائد العام للقوات المسلحة ،على أن ثمة مفارقة يمكن للمرء أن يرصدها فى صفحة إعلانات النعى بعدد الخميس ١١/٥/١٩٥٠م من صحيفة "الأهرام" ، فقد حملت الصفحة صورة التقطت للجنازة الرسمية للضابطين ، والى جوار هذه الصورة نعى للشيخ محمد رفعت أرسل به ودفع تكلفته سائق من طنطا يدعى كمال الحلو ، ويأتى مع نعى سائق طنطا نعى آخر من المدعو أحمد منير القصبى بوزارة الشئون ، جاء نعى الشيخ الذى سطره أحمد منير القصبى ليؤكد على أمرين ، أولهما ما كان للشيخ من مكانة فى قلوب

محبيه وعارفى فضله ، وثانيهما ما كانت عليه لغة المجتمع بصفة عامة من سلامة وجزالة ناهينا عن لغة الأدباء والمتأدبين ، وكان نص نعى أحمد منير القصبى للشيخ محمد رفعت - الذى يعد تلخيصا معجزا لمسيرة الشيخ - كما يلى : "الشيخ محمد رفعت :عرفتك روحا طاهرة كالثلج على أجنحة الرياح ! رقيقة كأنفاس النسيم فى فم الصباح ! ونفسا أبية سارع اليها المحسنون فيما ظنوه ساعة العسر فردت اليهم إحسانهم شاكرة لا عن سعة وإنما عن عفة ورضا بما قسم الله !أحبك المسلمون وغير المسلمين، لأن تلاوتك كانت حلوة كحلاوة الإيمان، تفجر الرحمة فى القلب والدمع فى العين ! فالقرآن اليوم حجة لك لا عليك !فهنيأ لك ! وسلام لك من أصحاب اليمين ! وسلام عليك حتى نلتقى فى نور اليقين»!، وتمضى الأيام ويذهب نظام الدولة فى ذلك العهد الى مهاوى النسيان ، حيث لا يتذكر احد من معاصريه أو ممن جاءوا من بعده اسم ركن من أركانه ، بينما بقى اسم محمد رفعت محفورا فى القلوب ... خالدا فى ذاكرة الأمة بما قدم للقرآن فأسعد به الناس وحببه إلى قلوبهم.

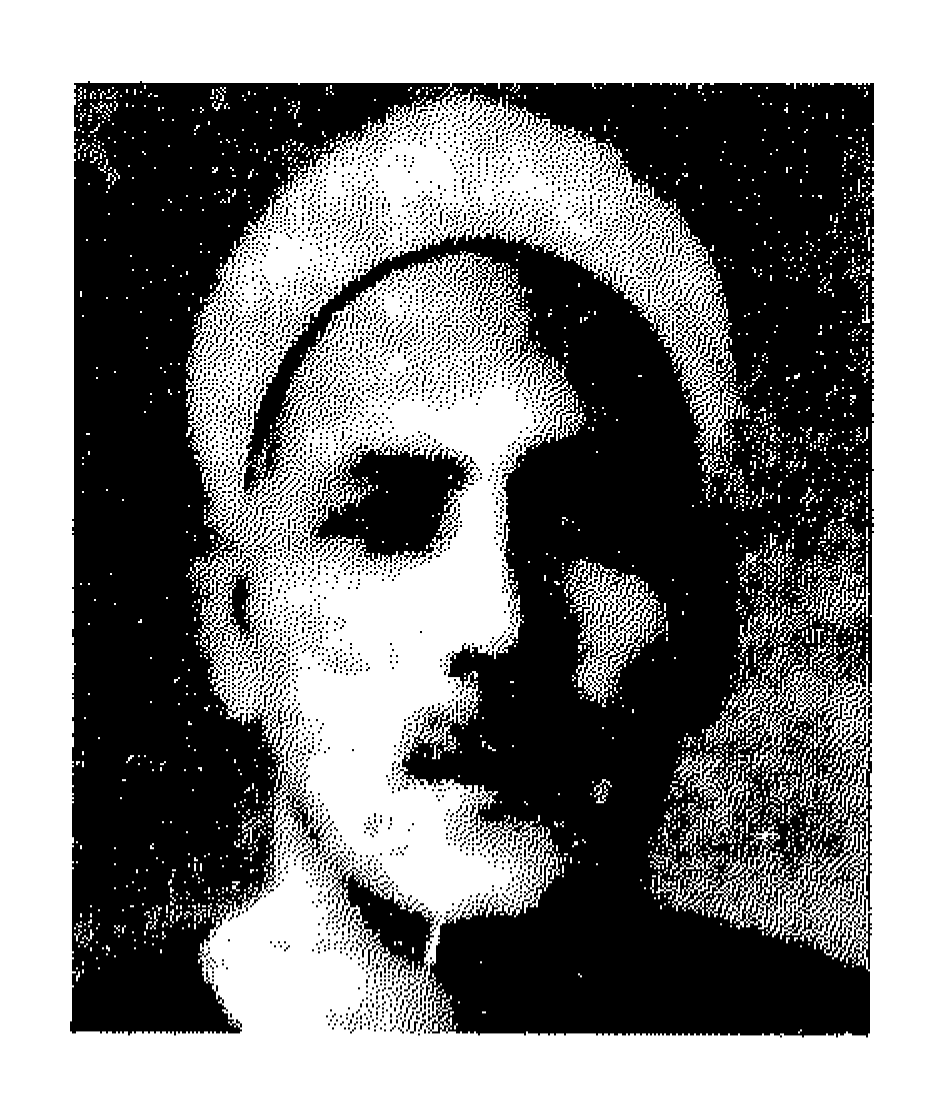
فى المراثى والتراجم

لم ينل قارئ فى العصر الذهبى الأخير لتلاوة القرآن قدر ما نال الشيخ محمد رفعت - بعد رحيله - من مراث وتراجم ، حيث تبارى الشعراء والكتاب فى رثائه والترجمة له منذ الأيام الأولى التى أعقبت وفاته وحتى الآن ، وقد توالى رثاء الشيخ - شعرا ونثرا - بعد ساعات قلائل من رحيله ، وظهرت التراجم الأولى بعد شهور من نعيه ، وقد أشير هنا قبلاً الى البعض منها كمصادر لهذا الفصل ، ولعل أحدثها - ولن يكون آخرها -هو ما قدمته الكاتبة والصحافية سناء البيسى مؤخرا فى باب " هو وهى

" الذى تحرره فى عدد السبت من صحيفة " الأهرام " ، و أما المراثى ... فقد اخترنا منها أقربها الى يوم رحيل الشيخ ، لان جانب الصدق فيها يكون أكثر من التكلف ، الذى يكون ملازما لانطفاء حرارة الحدث ، ظهرت المرثية الأولى للشيخ على صفحات " الأهرام " بعد يومين من رحيله ، وقد كانت موضوع عمود " نحو النور" للكاتب الكبير : محمد زكى عبد القادر بالصفحة السابعة من عدد الخميس ١١/ ٥/١٩٥٠ م ، ومما جاء في ذلك العمود الآتى : " أكان سحرا ؟ أكان فناً ؟ أكان نورا علويا ؟ هذا الصوت العذب تخشع له القلوب و الأنفس فتروح فى سماوات من الفيض والأمن والسلام ..هذه النبرات الحلوة تذهب على أمواج الأثير ، فكأنها ترتد الى مصدر وحيها فى مثل الجمال الذى نزلت الى الأرض يرف حولها ! ، أتراه كان صوتا أم كان روحا ؟ أتراه كان يرتل القرآن ترتيلا ، أم يرسله كما جاء وحيا وتنزيلا ! تباركت ربى ... أعطيت وأخذت .. سلاما على الأرض كان هذا الصوت ، فكأنك بعثته فى مثل جلال ما أنزلت ، فتوافق الأصل والصدى ، و الأداء والمعنى ، فكان السحر الذى ليس بعده سحر»، ولم يكن الشعر ليتخلف عن رثاء الشيخ ، وها هو الشاعر الكبير : محمود حسن إسماعيل ينشر بالصفحة الثالثة فى عدد الأحد ١٩٥٠/٥/٢١م من صحيفة "الأهرام" مرثيته للشيخ ، التى جعل عنوانها كما يلى : " بلبل الفردوس - الى روح الشيخ محمد رفعت " ، وفيما يلى نقدم للقارئ نص هذه المرثية التى تفوق فيها محمود حسن إسماعيل ، وأجاد تصوير مأساة الشيخ شعرا ، فكانت القصيدة التالية من بحر (الكامل) :

أسـري إلي الفـردوس بلبله ... والذكـر في فـمـه يرتله
وتسـبح الآيات في يده ... وجناحـهـا للخلد يحـمله
الفـجـر بالصلوات كـفنه ... ومـضي لشط الغـيب ينقله
وهفـا الأذان له فـضـمـخـه ... بدعـائه، وغـدا يقـبله
عـرجت به الرحمـات من كـمـد ... كم راح فـوق الأرض يثـقله
سـجنان حطاً فـوق هيكله ... وكـلاهمـا أبد يجلله
سـجن الضيـاء .. وكـان يسكبـه ... من صـوته الصـافي وينهله
وعـذاب حنجـرة مـصـفـدة ... يبغي الصيات بها فتخذله
سكنت بهـا «فـهـاقـة» رصـدنة ... للصـوت، يطلقـه فـتـعـتـقله
مـجنونـة! لم تدر مـا حـبـست ... وحي ضـيـاء الله يرسله
أجـراه من دمــه، كـمـا نزلت ... آياته الكبـري تفـصله
يتلوه رفـرافـاً بأجنحـة ... دون السـرائر لاتنزلـه
تشقي المعـاصي حين تسمـعه ... ويذيب قلب الحق مـقـوله
وإذا صـغي جـبل لقـارئه ... خـشـعت ذراه وناء كلكله
من خشـية الرحمن، تبـصـره ... وتكاد روعـتـه تزلزله
كل العـبـاد عنوا لرهبـتـه ... وهداهم للنور مـشـعله
المسلم المعـمـور مـسـجـده ... والراهب المغـمـور هيكله
مـازال يسـقـيـهم ويشـملهم ... بحـلاوة التـرتيل جـدوله
حـتي اذاب حـشـاه واختلفت ... علل علي جنبـيـه تقـتله
وآوي لعـزلتـه، ومـا ذكـرت ... مـصـر الوفـيـة .. مـا يعلله!
جـحـدته، بل جـحـدت صـداه ... فـمـا حـفظت له رنما يسجله
لو أنه غني لهـا نغـمـاً ... مـتـهـتك الصـبـوات تأمله
لرأيتـهـا حـفـرت بمهجـتـهـا ... تمثـاله، ومـضت تدلله
يامـصـر، لا طوبي لما ذهبت ... دنيـاك بالأبطال تفـعـله
تسـقـيـهم الحـرمـان ممتـزجـاً ... بعـصـارة النسـيـان حنظله
فـإذا دنا الحصـاد، مـخـتلجـاً ... بسكينـة الأمـوات منجله
وقـفـت تسح علي نعـوشـهم ... نوحـاً، دمـوع الثكل تجـهله

الفصل الثالث



محمد الصيفي

شيخ القراء

لم ينقطع ظهور القراء بأرض مصر طوال الحقبة الإسلامية حيث يستطيع المقلّب فى كتب التاريخ والتراجم أن يلاحظ تعاقب المشاهير من القراء عبر قرون كثيرة ، وبالرغم من أن لقب " المقرئ " أو " القارئ " ورد لاحقاً أو سابقاً لأسماء كثير من أولئك الأعلام حال الترجمة لهم مما يعنى أن ذلك اللقب كان دالاً خلال تلك القرون على وظيفة أو مهنة مما عرفه المجتمع المصرى من مهن إلا أن كاتبا أو مؤرخاً لم يستخدم تعبير " شيخ القراء " كقياس على شيوخ آخرين من أمثال : " شيخ سوق الكتبيين "و " شيخ سوق الورّاقين " و" شيخ الآلاتية " و"شيخ الأطباء " وكما وردت فى كثير من كتب التاريخ مثل تاريخ إبن إياس وتعد" رابطة القراء " أول تنظيم عرفته دولة التلاوة طوال تاريخها بمصر والعالم الإسلامى وكان الهدف من تلك الرابطة هو تقارب القراء تمهيداً لإنشاء نقابة لهم ولسنا نعلم تاريخ إنشاء تلك الرابطة على وجه الدقة وإن كان ما تأكدت صحته من إشارات عنها فى الصحف والمجلات يرجح على أن تاريخ إنشائها يعود لعام ١٩٣٧م أو لعام قبله وأيا ما كان تاريخ إنشاء تلك الرابطة التى تطورت فيما بعد لتصبح نقابة مهنية، فإن الثابت والمعروف من أمورها أن الشيخ محمد الصيفى شغل منصب الوكيل فيها منذ إنشائها وحتى وافته المنية ، ولما كان الشيخ الصيفى من أكبر القراء سناً عند ظهور رابطة القراء ، فإن الجميع ـ قرّاء وكتّابا ـ اتفقوا على أنه الأحق بلقب" شيخ القراء ".

من البرادعة الى العباسية

ولد محمد محمد الصيفى الشهير بالشيخ محمد الصيفى فى عـام ١٨٨٥م (الإذاعة: العدد ١٠٥٥، ٤ / ٦ /١٩٥٥م، ص١٨) ، جاء ميلاد الشيخ الصيفى بقرية البرادعة القريبة من القاهرة والتابعة لمركز قليوب بمحافظة القليوبية (شكرى القاضى: عباقرة التلاوة، ص ٣٨ـ٤٠) ، حفظ الشيخ القرآن كاملاً وألم بمبادئ القراءة والكتابة والحساب فى كتّاب قرية البرادعة ، وعندما أظهر فى سنوات دراسته بالكتّاب ميلا لتلقى العلم، ألحقه والده بالأزهر الشريف، حيث تلقى العلوم الشرعية من فقه وتفسير وحديث، إلا أنه أظهر إهتماماً بعلم تجويد القرآن الكريم وما يتصل به من علوم القراءات ومخارج الحروف وأحكام الوقف والابتداء، بالإضافة الى قراءة القرآن بالتغنى، هذا وقد أتم الشيخ الصيفى دراسته فى الأزهر بحصوله على شهادة العالمية فى عام ١٩٢١م (موسوعة أعلام مصر فى القرن العشرين: ص ٤١٩) وإن كان هناك من الكتاب من يقول بأن تاريخ حصول الشيخ على عالمية الأزهر يعود لعام ١٩١١م (شكرى القاضى:المصدر السابق

ولعل القول الثانى هو الأقرب الى المنطق وطبيعة الدراسة بالأزهر الشريف.

امتلك الشيخ محمد الصيفى واحداً من أجمل الأصوات الجهيرة فى دولة التلاوة الحديثة وهو صوت قوى يتميز بالوقار ولا يُغرق فى الجماليات التى يعتقد فى أنها لا تتفق مع التعظيم الواجب لكلام المولى عز وجل، حتى ليبدو من خلال تسجيلاته القليلة المتاحة – وعلى الأخص ما أخذ منها فى حفلات أقيمت داخل المساجد ـ من أكثر القراء إتباعاً لطريقه الحدّر فى قراءة

القرآن، و الحدّر فى مراتب القراءة هو الإسراع مع مراعاة أحكام التجويد من إظهار وإدغام وقصر ومد ووقف ووصل وغير ذلك

د مكى نصر الجريسى : نهاية القول المفيد فى علم تجويد القرآن المجيد ، ص ٢٠) لذلك لم يسع الشيخ الصيفى للعمل فى إحدى الوظائف التى كانت تؤهله لشغل إحداها عالمية الأزهر التى يحمل شهادتها ، وهى وظائف تشمل سلك القضاء الشرعى والتدريس فى الأزهر أو مدارس وزارة المعارف، وإنما إتجه منذ انتهاء دراسته الى تلاوة القرآن فى الاحتفالات والمناسبات ، حتى ذاع صيته واحتل إسمه مكانا بارزا بين الموهوبين من كبار القراء من أمثال الشيوخ أحمد ندا ومحمد رفعت وعلى محمود وعبد الفتاح الشعشاعى ، فأقر قارئا للسورة بمسجد السيدة فاطمة النبوية رضى الله عنها (وهى ابنة سيد الشهداء الإمام الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه) بحى الدرب الأحمر بالقرب من قلعة صلاح الدين فى القاهرة ، ومن المرجح أن إقراره فى تلك الوظيفة جاء فى عام ١٩١٥م (الإذاعة : المصدر السابق).

إتحاد القراء

ارتبط الشيخ الصيفى من خلال وشائج صداقة قوية بالشيخ محمد رفعت ، كذلك ربطت جيرة المسكن بينه وبين الشيوخ أحمد ندا وعلى محمود ومحمد سلامة وطه الفشنى ، وذلك لتجاور منازلهم فى أحد شوارع حى العباسية (محمود السعدنى: ألحان السماء ، ص ٣٣- ٣٥) كان الشيخ الصيفى رجلا حلو الشمائل كثير الأصدقاء ، مما جعل من منزله بالعباسية ملتقى لكثير من القراء ، فى تلك الأيام من عقد العشرينيات ، كانت رياح الوطنية التى أطلقتها ثورة عام ١٩١٩م تؤجج مشاعر الاستقلال والوطنية فى قلوب قطاعات كبيرة من المصريين ، فشهد العصر تأسيس

العديد من الاتحادات والجمعيات والروابط ، ومن ذلك اتحاد الأدباء وإتحاد الفنانين وجمعية أنصار التمثيل وجمعية ترقية الأغانى وروابط عدة تجمع أبناء مدن شتى فى الدلتا والصعيد ممن يقيمون بالقاهرة، مما أوحى للشيخ الصيفى وأصدقائه من القراء بفكرة إنشاء رابطة للقراء على غرار تلك التجمعات ، رابطة يكون من شأنها تجميع القراء وترابطهم ونهوضهم بإحياء الاحتفالات والمناسبات الدينية وغير الدينية مما يقدم فيها تلاوات قرآنيه وتواشيح وقصائد دينيه.

أتم الشيخ الصيفى وصحبه من القراء إجراءات إشهار الرابطة فى أحد الأعوام الأخيرة من عقد الثلاثينيات من القرن العشرين ، كان ذلك العام وعلى أرجح الاحتمالات هو عام ١٩٣٧م، ويجئ ترجيح ذلك الاحتمال من أن أول إشارة رصدت عن تلك الرابطة كانت فى عام ١٩٣٨م ، حيث ورد بالصفحة الرابعة من العدد رقم ١٤٨ من مجلة " الراديو المصرى" الصادر فى ١٩٣٨/١/١٥م وفى برنامج يوم الأربعـــــاء ١٩٣٨/١/١٩م الآتى : " من ٧,٣٠ الى ١٢,٢٠ مساء: حفلة خاصة تحييها رابطة القراء لمناسبة القرآن الملكى السعيد- مذاعة من المسجد الحسينى " ، كان القرآن الملكى السعيد المشار إليه فى الإعلان السابق هو قرآن الملك فاروق وزوجته الأولى الملكة فريدة ، وقد تضمن برنامج الحفل المشار اليه سابقاً تلاوات قرآنيه لكل من الشيوخ :على محمود ـ سيد سلطان – طه الفشنى ومحمد الصيفى وعبدالفتاح الشعشاعي.

تكشف متابعة التقليب فى المتاح من مصادر ذلك العصر ، عن أن رابطة القراء واصلت نشاطها طوال ما تبقى من عقد الثلاثينيات وخلال عقد الأربعينيات وحتى منتصف عقد الخمسينيات، وتبوح لنا تلك الإشارات بمعلومات مهمة عن الهيكل

التنظيمى لتلك الرابطة وعما أحيته من مناسبات ، ففى مجال هيكل الرابطة التنظيمى يتضح مما توافر من معلومات الآتى :كان هناك للرابطة رئيس شرفى هو محمد الحنفى الطرزى باشا . وان الرئيس الإدارى للرابطة هو الشيخ على محمود . وان الشيخ محمد الصيفى كان يشغل منصب وكيل الرابطة وان للرابطة مدير هو الشيخ عبد الفتاح خليفة هذا وقد شغل الشيخ عبد الفتاح خليفة منصب مديرا الرابطة حتى نهاية الأربعينيات ، حيث أسند ذلك المنصب منذ بداية الخمسينيات الى الشيخ محمد راضى عثمان ومما رصد من احتفالات أقامتها الرابطة ونقلت عبر برامج الإذاعة المصرية نذكر الآتى :الاحتفال بالمولد النبوى الشريف والذى أقيم بمسجد الإمام الحسين(رضى الله عنه) مساء الأحد أول ربيع الأول سنة ١٣٦٢هـ (١٩٤٣/٣/٧م)، والاحتفال بعيد رأس السنة الهجرية الذى أقيم فى مسجد الإمام الحسين مساء الخميس الثلاثين من ذى الحجة سنة ١٣٧٠هـ ١٢/١٠/١٩٥٠م) .

لذلك يمكن القول بأن رابطة القراء كانت بمثابة أول تنظيم نقابى عرفته دولة التلاوة فى عصرها الذهبى الأخير وأن الشيخ محمد الصيفى هو المؤسس الحقيقى و الموجه لأنشطتها مما جعله جديراً بلقب " شيخ القراء" قياساً على شيخ الصنعة أو المهنة كما سلف القول، ومما هو جدير بالذكر هنا أن تنظيم " اتحاد القراء " كان بمثابة الأب الشرعى لنقابة " محفظى وقراء القرآن الكريم"، تلك النقابة التى أنشئت بالقانون رقم (٩٣) لعام ١٩٨٣م (نشر بالعدد ٣١ تابع من " الوقائع المصرية " والصادر فى ١٩٨٣/٨/٤م).

بين الإذاعات

مهدت وفاة الملك أحمد فؤاد الأول بعد ظهر يوم الثلاثاء ١٩٣٦/٤/٢٨م الطريق أمام انطلاق صوت الشيخ محمد الصيفى

الى آذان المستمعين فى مصر وخارجها ، فقد كان الشيخ أحد أربعة قراء قاموا بقراءة القرآن فى ليالى مأتم الملك (محمود السعدنى ،المصدر السابق) ، وقد أغفل الأستاذ السعدنى - رحمه الله -ذكر أسماء القراء الثلاثة الذين شاركوا الشيخ الصيفى فى إحياء ليالى مأتم الملك الثلاث ، بدأت ليالى ذلك المأتم فى مساء يوم الخميس ١٩٣٦/٤/٣٠م وعقب جنازة جرت وقائعها فى يوم الأربعاء ١٩٣٦/٤/٢٩م، أقيمت ليالى المأتم الثلاث فى سرادق أقيم بالساحة الداخلية لقصر عابدين ، وقام مشاهير القراء بتلاوة آيات الذكر الحكيم فى دورات لإفساح المجال أمام وفود المعزين لدخول السرادق أو مغادرته (الأهرام :الجمعة ١٩٣٦/٥/١م ، ص٢)، لم تشر صحيفة " الأهرام " الى أسماء قراء ليلة المأتم الأولى ، بينما نص برنامج الإذاعة ليوم السبت ١٩٣٦/٥/٢م والذى نشر بصحيفة " الأهرام " على الآتى :" من الساعة ٨ مساء الى منتصف الليل: إذاعة الذكر الحكيم الذى يتلوه كل من الشيخ على محمود والشيخ محمد رفعت والشيخ محمد الصيفى فى السرادق المقام لاستقبال المعزين فى فناء سراى عابدين " (الأهرام : السبت ١٩٣٦/٥/٢م ، ص ١٤) ، ويجئ اسم القارئ الرابع فى ليالى مأتم الملك فؤاد الثالث من حديث الذكريات الذى أدلى به الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى لمجلة "الراديو المصرى" ، حيث ذكر الشيخ الشعشاعى أن أول إذاعة له كانت من سرادق عزاء الملك فؤاد (الراديو المصرى : العدد ٢١٣، ١٩٣٩/٤/١٥م، ص٧و١٥) .

يهر الشيخ محمد الصيفى أسماع كبار رجال الدولة من حضور ليالى المأتم بصوته الطيب الناطق بالإيمان وبتمكنه من أحكام التلاوات، مما حفز المسئولين فى الإذاعة على سرعة

التعاقد معه لتقديم تلاوات عبر برامج الإذاعة وعقب انتهاء أيام مأتم الملك فؤاد، وجاءت موافقة الشيخ على ذلك سريعة ، حيث كان صديقه الشيخ محمد رفعت أسبق القراء الى تلاوة القرآن بالإذاعة عند افتتاحها فى ١٩٣٤/٥/٣١م ، لتأتى تلاوة الشيخ الثانية بالإذاعة فيما بين التاسعة والعاشرة من مساء الأحد الموافق ١٩٣٦/٥/٣ (الأهرام : ١٩٣٦/٥/٣م ، ص١٤) ، ثم تتابعت تلاوات الشيخ الصيفى بالإذاعة فيما بين الثامنة والتاسعة من أمسيات أيام الحداد التى امتدت حتى يوم الثلاثاء ١٩٣٦/٥/٥م (الأهرام : من ١٩٣٦/٥/٣م الى ١٩٣٦/٥/٥م ، ص١٤) ، بعد ذلك توالت تلاوات الشيخ الإذاعية ، وكانت تتراوح فى البداية بين تلاوة أو تلاوتين فى كل أسبوع ، ثم انتظمت بعد ذلك لتصبح - وحتى نهاية الأربعينيات - تلاوة أسبوعيه تقدم فى مساء الأربعاء ، وبتوالى الشهور والأعوام ..أتم الشيخ الصيفى من خلال تلاواته الأسبوعية ختمة مجودة كاملة.

لم تكن الإذاعة المصرية وحدها التى اجتذبت الشيخ محمد الصيفى لبث تلاواته بعد مشاركته فى إحياء مأتم الملك فؤاد، حيث تبعتها فى ذلك الإذاعة البريطانية، كما جاء فى بعض المصادر، ومنها ما ذكره الكاتب والصحفى شكرى القاضى من أن الشيخ محمد الصيفى :" كان أول من سجل للإذاعة البريطانية فى النصف الثانى من الثلاثينيات فى أستوديو كان يملكه الفنان سيد بدير " (شكرى القاضى: المصدر السابق).

تقدير ورحيل

انتقل الشيخ محمد الصيفى لقراءة السورة بمسجد الإمام الحسين بعد وفاة الشيخ على محمود فى ١٩٤٣/١٢/٢٢م ، ليتسع المجال أمام أسماع أعداد أكبر من المستمعين للقرآن

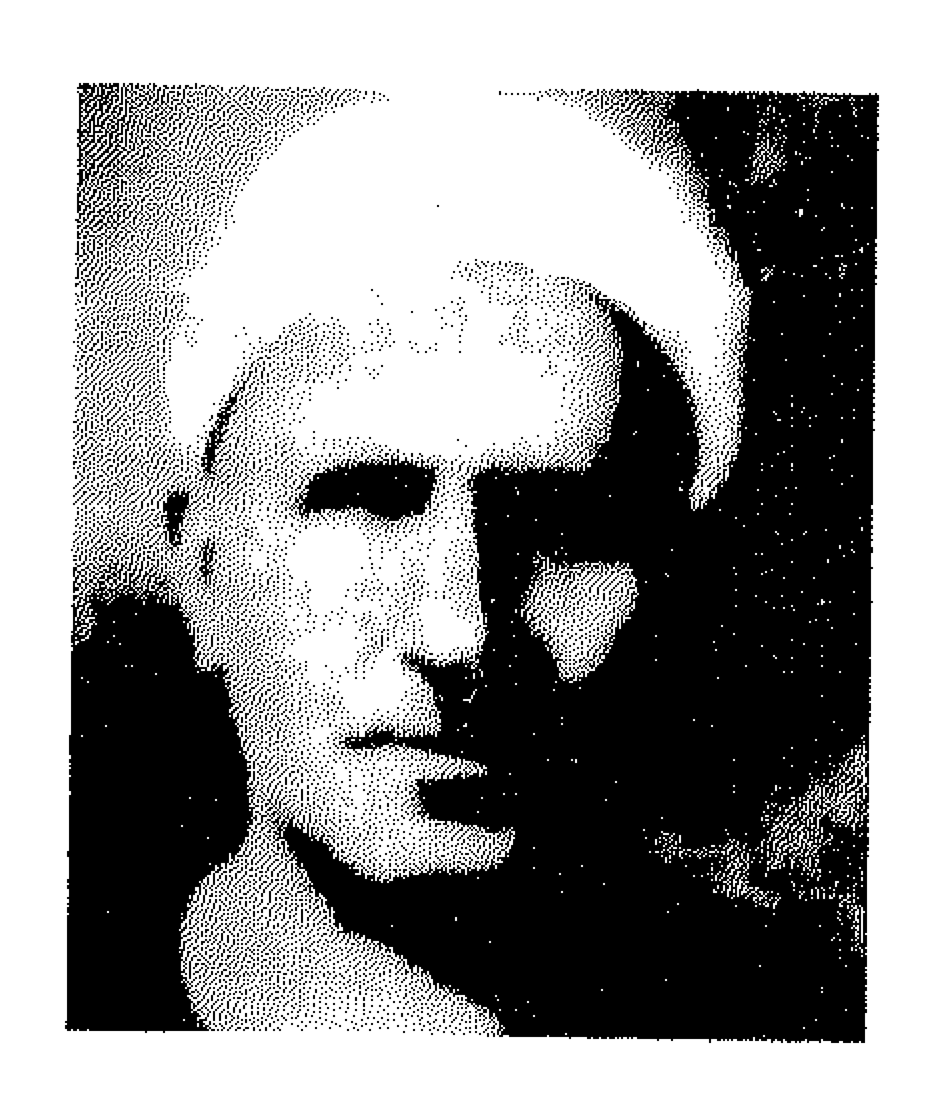
الكريم للوقوف على مكامن تميز صوت الشيخ ، مما زاد من شعبيته وضاعف من الطلب على سماع تلاواته ، حتى عده البعض من القراء أعظم صوت رتل القرآن فى عصره بعد الشيخ محمد رفعت.ان الشيخ الصيفى قد قارب على الستين من عمره عندما أقر قارئاً للسورة بمسجد الأمام الحسين رضى الله عنه وقد ظل صوته لاثنى عشر عاماً معلما على هذا المسجد الشهير ، حيث درج الناس على الاستماع الى ما يتيسر من سورة " الكهف " منه قبل صلاة كل جمعة ، وظل الشيخ مواظباً على قراءة القرآن فى رحاب مسجد مولانا الإمام الحسين حتى أوفى العقد السابع من عمره ، وقد رصدت مجلة "الإذاعة" ذلك عند حديثها عن الشيخ بما يلى :" وقد كان الشيخ على محمود يقرأ سورة (الكهف) كل يوم جمعة فى مسجد الحسين ، فلما انتقل الى رحمة الله ، حل محله الشيخ محمد الصيفى ،الذى لا يزال يقرأ حتى اليوم ذا المسجد ، والشيخ الصيفى عمره الآن ٧٠ سنه " (الإذاعة :العدد ١٠٥٥ ، ١٩٥٥/٦/٤م ص ١٨)، إن المقلب فى برامج الإذاعة فيما أعقب عام ١٩٤٣م من أعوام ، سوف يرصد مشاركات الشيخ الصيفى فيما كانت تنقله الإذاعة المصرية من احتفالات دينية سواء من مسجد الإمام الحسين أو من غيره من مساجد القاهرة الجامعة ، حتى جاءت مشاركته الأخيرة فى صلاة فجر يوم السبت ٨ رمضان من سنه ١٣٧٤هـ ١٩٥٥/٤/٣٠م) التى نقلتها الإذاعة المصرية فى الثانية والنصف من صباح ذلك اليوم من رحاب مسجد السيدة زينب رضى الله عنها وأرضاها بمدينة القاهرة قدم الشيخ الصيفى فى ذلك الصباح تلاوة قرآنية لما تيسر

له من آى الذكر الحكيم ، ثم تبعه الشيخ عبد السميع بيومى بتقديم مجموعة من الابتهالات الدينية (الإذاعة : العدد ١٠٤٩، ٦/٤/١٩٥٥م ، ص ٥٩) ، لتنقطع مشاركة الشيخ فيما نقلته الإذاعة من احتفالات ومناسبات دينية خلال خمسة أشهر، حتى خرجت صحيفة " الأهرام " فى صباح يوم الخميس ١٢ صفر من سنة ١٣٧٥هـ والموافق ٢٩/٩/١٩٥٥م لتنعاه لجماهير المصريين والمسلمين وقد جاء فى صدر النعى الذى نشر بالصفحة الثالثة عشرة من عدد الصحيفة المشار اليه الآتى : " توفى أمس الى رحمة الله تعالى ورضوانه شيخ القراء الأستاذ الشيخ محمد الصيفى شيخ مقرأة الإمام الحسين والوكيل العام لاتحاد القراء "، واختتم النعى بالإشارة الى أن جنازة الشيخ شيعت من جامع القبة الفداوية وجامع القبة الفداوية المطل على شارع رمسيس قرب نهايته عند ميدان العباسية يعد أقرب مسجد جامع الى منزل الشيخ الصيفى فى حى العباسية .

كان التكريم الوحيد الذى تفضلت به الإذاعة المصرية على الشيخ الصيفى بعد رحيله فى نقلها لاحتفال دينيٍ جرت وقائعه بمسجد الإمام الحسين بعد مرور أربعين يوماً من وفاته ، بدأ الاحتفال فى الثامنة من مساء الجمعة ٤/١١/١٩٥٥م، وأفتتح بتلاوة قرآنية للشيخ مصطفى إسماعيل لما تيسر له من سورة " الفتح" من قول المولى عز وجل : " لقد رضى الله عن المؤمنين" (الإذاعة : العدد ١٠٧٦، ٢٩/١٠/١٩٥٥م،ص ٥٤) ، لتمضى الأيام بعد ذلك على ما اعتمدته الإذاعة من تقديم تلاوات الشيخ الصيفى لمرة واحدة فى كل أسبوعين حتى تناساه الناس الآن أو

كادوا   إن التقدير الواجب لشيخ القراء لا يكون بحال فى منح اسمه وساما أو فى إذاعة تلاوته بين الحين والحين ، وإنما يتمثل ذلك التقدير فى الإفراج عما تحبسه الإذاعة من تسجيلات لتلاواته ، وإذاعتها كى يقف المستمع فى أيامنا هذه على مكامن العظمة فى صوت شيخ القراء خلال عصر زها بنجوم القراء.

الفصل الرابع



على محمود

إمام القراء من المنشدين

لا يختلف أحد من النقاد أو المستمعين حول مكانة الشيخ على محمود فى دولة التلاوة خلال عصرها الذهبى ، وهى مكانة يعبر عنها تفرّد تلاواته التى أظهرت محاسن صوته من روعة الجهارة والتفخيم جنبا إلى جنب مع عذوبة النعومة واللين والمخافتة ، ومما يدل أيضا على مكانة الشيخ على محمود فى دولة التلاوة ما لأذان الصلاة المسجل بصوته من تأثير فى نفوس سامعيه حتى أيامنا هذه ، ويتبقى من أسباب ما تحقق للشيخ من مكانة فى دولة التلاوة أهمها وهو إتقانه للتلحين وتبحره فى دراسة النغمات والمقامات ، كل ذلك وغيره كثير أتاح للشيخ الظهور فى عصر زها بنوابغ القارئين ، حتى عده الناس إماما للقراء من المنشدين فى عصره وكل العصور.

فى جوار الحسين

ولد الشيخ على محمود بدرب الحجازى فى كفر الزغارى من قسم الجمالية المجاور لمسجد الإمام الحسين (رضى الله عنه) والقريب من جامع الأزهر الشريف ، جاء ميلاد الشيخ فى عام ١٨٨٠م كما ذكر بعض من تحدثوا عنه عقب وفاته (د.محمد صلاح الدين بك: الشيخ على محمود.. فقيد الفن والموسيقى، الراديو المصرى ، العدد ٤٦٦ والعدد ٤٦٧ ، ١٩٤٤/٢/١٩م و١٩٤٤/٢/٢٦م) ، بينما قال بعض من ترجموا للشيخ بعد أكثر من نصف قرن من رحيله بغير ذلك، فقد ذكر الكاتب الصحفى شكرى القاضى أن تاريخ ميلاد الشيخ يعود إلى عام ١٨٧٨م (شكرى القاضى : عباقرة التلاوة ، ص ٢٣) ، وهو ما اتفق فيه بعد ذلك معه د.خيرى محمد عامر(د.خيرى محمد عامر: مشايخ فى محراب الفن ، ص (٨٩ –٩٥)، وأيا ما كان الأمر ، فقد اتفق الجميع على أن الشيخ قد ولد مبصرا، وعندما فقد بصره فى مرحلة الطفولة، اتجه إلى حفظ القرآن فى مكتب الشيخ أبو هاشم الشبراوى الملحق

بمسجد الأشرف أينال المعروف بمسجد أم الغلام ، ثم أخذ علوم القرآن وأحكام التجويد عن الشيخ مبروك حسنين فى الأزهر الشريف ، وتلقى مبادئ الفقه على يد الشيخ عبد القادر المازنى (د.محمد صلاح الدين بك: الجزء الأول من مقال "الشيخ على محمود..فقيد الفن والموسيقى" ، الراديو المصرى، العدد ٤٦٦، ١٩٤٤/٢/١٩م، ص ٥ و ص ١٠) لتكتمل للفتى على محمود الذى دخل فى طور الشباب عناصر التكوين اللازمة للمشتغلين بالعلوم أو الفنون الدينية.

آنس الفتى على محمود فى نفسه ميلا لقراءة القرآن ، ولما كان صوته جميلا وإلمامه بقواعد التجويد عظيما ، فقد أقر قارئا تحت الثريا الكبرى بمسجد الإمام الحسين ، ولينطلق صوته بكل العذوبة والقوة بآيات القرآن الكريم فى أرجاء المسجد الحسينى ، فذاع صيته وتوهجت شهرته وتحلق حوله رواد المسجد فى زمن شهد فحول القراء من أمثال الشيوخ حسين الصواف وأحمد ندا وحنفى برعى وحسن المناخلى ومحمد القهاوى ومنصور بدّار ، إن ظهور الشيخ على محمود وانطلاق شعبيته فى وجود أمثال هؤلاء القراء ، مما يعطى القارئ الذى لم يعاصر أيام تألق شهرة الشيخ فكرة واضحة عما كان عليه صوت الرجل من قوة وحيوية ، وعما أحدثه فى فن التلاوة من تجديد اجتذب اليه القلوب قبل الآذان.

التحول للإنشاد

تأتى أهمية الإنشاد الدينى من أنه يعد بمثابة حلقة الوصل بين القراءات القرآنية والغناء العربى المتقن كما أرسى فى عصور ازدهاره ، لذلك لقى الإنشاد الدينى اهتماما كبيرا من القراء والمطربين منذ مطلع دولة التلاوة الحديثة ، والمعنى هنا بمطلع دولة التلاوة الحديثة سنوات العقد الأخير من القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين ، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن جميع قراء تلك الفترة ومطربيها تلقوا نوعا واحدا من التعليم ، وهو التعليم الدينى الذى يشمل التوجه أولا إلى الكتّاب لحفظ القرآن أو أجزاء منه ، ثم يعقب ذلك دراسة علوم الدين والفقه فى الأزهر أو بعض المعاهد الدينية فى مدن الأقاليم الكبرى كالمسجد الأحمدى بمدينة طنطا ، فكان من الطبيعى

أن يسبق لقب الشيخ أسماء أعلام الغناء فى تلك الفترة ، لذلك عالج كثير من كبار مطربى العهد قوالب الإنشاد الدينى المتعددة مثل التواشيح والابتهالات والأذان وألحان المولد النبوى الشريف، إن ما تزخر به ليالى رمضان فى منطقة تضم الجامع الأزهر ومسجد الحسين من سهرات الإنشاد واستغاثات السحر وتسابيح الفجر ، لا بد وأن تصنع فى نفس فتى حسن الصوت ومحب للموسيقى مثل علي محمود الشىء الكثير.

تفتح وعى الفتى على محمود فى مرحلة تحصيله لعلوم القرآن والفقه وخلال بداياته مع تلاوة القرآن ، على ما انطوى عليه الإنشاد الدينى من ألوان موسيقية ساحرة ، فتعلق بها قلبه ، ومضى ينهل من معينه الذى يتدفق إلى جوار مسجد الحسين فى ليالى رمضان وغيرها من المناسبات الدينية ، حتى تشبعت نفسه بأسرار الإنشاد الدينى وفنونه ، فانطلق صوته فى مناسبات الإنشاد ليبهر الشيوخ قبل الجمهور ، وعن ذلك تحدث الدكتور محمد صلاح الدين بك : وزير الخارجية فى وزارة مصطفى النحاس باشا السابعة (وهى الوزارة التى تولت الحكم فيما بين ١٢/١/١٩٥٠م و ٢٧/١/١٩٥٢م) فقال: "وهوى الشيخ على فيما هواه من ألوان الموسيقى. الأذان ، وكان الأذان-وما يتبعه من التسابيح والاستغاثات- يتلى قبيل الفجر فى الحرم الحسينى على نهج خاص ، فنغمة يوم السبت عشاق ، ويوم الأحد حجاز ، أما يوم الاثنين فنغمته سيكا إذا كان أول اثنين فى الشهر ، وبياتى إذا كان ثانى اثنين ، وحجاز إذا كان ثالث اثنين فى الشهر ، وشورى على جركاه إذا كان رابع أو خامس أيام الاثنين ، وكانت نغمة يوم الثلاثاء سيكا، والأربعاء جركاه ، والخميس راست ، والجمعة بياتى ، فمازال الشيخ يعالج هذا الفن حتى أتقنه ، وقد صعد أول ما صعد منارة المسجد الصغيرة ، وكان أستاذه الشيخ محمد القشيشى يصعد المنارة الكبيرة ، فيؤديان الأذان والتسابيح والاستغاثات ، ومقاهى الحى عامرة بأهل الفن وشيوخ الموسيقى وهواتها ، يسمعون وينقدون ، ومن بينهم كامل الخلعى وداوود حسنى وغيرهما من كبار الملحنين" (د.محمد صلاح الدين بك: المصدر السابق).

مضى الشيخ على محمود فى اهتمامه بالموسيقى إلى أبعد من ذلك، حيث درس أصول الموسيقى وقواعد التلحين على يد الشيخ إبراهيم المغربى ، كان الشيخ المغربى عالما من علماء الأزهر ومن علماء القراءات وله علم بالنغمات والمقامات وأصول التلحين ، هذا وقد تعلم على يد الشيخ المغربى جمهرة من أعلام مدرسة الشيوخ فى الغناء المصرى من أمثال درويش الحريرى والسيد الصفتى وأحمد إدريس، لم تقف جهود الشيخ على محمود لإتقان التلحين والغناء عند ذلك، ولكنه اجتهد فى حفظ مجموعة كبيرة من الموشحات ، أخذ العربى منها عن الشيخ محمد عبد الرحيم المسلوب، وتلقى التركىّ والشامىّ منها على يد الشيخ عثمان الموصلى (محمد كامل الخلعى: كتاب الموسيقى الشرقى، ص ٩٢-٩٣) ، وبلغ به اهتمامه بالموسيقى حد السعى وراء أعلام الغناء لسماع أعمالهم ومن ثم حفظها ، وقد آثر عنه الاستماع إلى كبار مطربى عصره مثل عبده الحامولى ومحمد عثمان ومحمد سالم العجوز ويوسف المنيلاوى وعبد الحى حلمى (د.محمد صلاح الدين بك: الجزء الثانى من مقال "الشيخ على محمود..فقيد الفن والموسيقى"، الراديو المصرى ، العدد ٤٦٧ ، ١٩٤٤/٢/٢٦م، ص ٥و ٨و ١٠) ، إن ما تجمع لدى الشيخ من حصيلة موسيقية جراء سعيه الدءوب خلف مصادرها الأصلية ، جعل من تلاوته وإنشاده شيئا لا يتكرر فى دولة التلاوة الحديثة.

بدايات الإذاعة

اختلف الكتاب والمهتمون بالتلاوة كثيرا حول الشيخ على محمود ، فقد عدته مجموعة كبيرة-ومنهم قراء-منشداً أو وشاحا ، ولم يحسبوه فى عداد المبرزين من القراء ، فانبرى آخرون من الكتاب للتصدى لتلك المقولة بالتفنيد والدحض، ويعد الدكتور محمد صلاح الدين بك أول من تصدوا لتلك المقولة ، حيث كتب معقباً على ذلك فقال: "ونحن من القائلين بأن آية الشيخ على محمود كانت فى فن القراءة قبل أن تكون فى ألحان المولد وموشحاته ، ونحن نعلم أن البعض يروجون غير هذا الرأى ، ولكننا نحسبهم من خصومه الذين عجزوا عن مشاركته فى ألحان المولد" (د.محمد صلاح الدين بك: المصدر السابق) ، غير أن

الإذاعة المصرية-فى بدايتها-لم تكن من رأى الدكتور محمد صلاح الدين بك ، فكما هو معروف الآن أن أول صوت انطلق بآيات القرآن عند بدء الإذاعة فى ١٩٣٤/٥/٣١م كان صوت الشيخ محمد رفعت ، وبالرغم من أن الشيخ على محمود كان عند بداية إرسال محطة الإذاعة الحكومية فى أوج شهرته وتألقه ، إلا أن إدارة الإذاعة لم تستعن به آنذاك ليقرأ آيات الذكر الحكيم فى مستهل بثها اليومى ، وإنما أوقفت جميع تلاوات الشهر الأول من عمرها على القارئ الشيخ محمد رفعت، وجاء ظهور الشيخ على محمود بالإذاعة فى اليوم الثامن من إرسالها ، حيث قدمته فى وصلتين من الإنشاد عن مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، بدأت الوصلة الأولى فى التاسعة والنصف من مساء الخميس ١٩٣٤/٦/٧م ، وجاءت بداية الوصلة الثانية فى العاشرة والنصف من مساء ذلك اليوم ، علما بأن برامج الإذاعة كانت تقدم على الهواء مباشرة ، وأن زمن الوصلة الواحدة يقدر بأربعين دقيقة (الأهرام: ١٩٣٤/٦/٧، ص٣) .

واصلت إدارة الإذاعة الوليدة فيما تبقى من أشهر عام ١٩٣٤م إتباع نفس النظام فى إسناد تلاوة القرآن خلال برامجها اليومية إلى قراء جدد ، لم يحقق أي منهم ولو قدرا ضئيلا من الشهرة، وامتد إهمال الإذاعة لتلاوات الشيخ على محمود إلى عام ١٩٣٥م أيضا، حيث استمرت الإذاعة فى اعتماده كمغن أو كمنشد فى برامجها ، وكان من المعتاد أن يجد المقلب فيما حوته الصحف والمجلات من برامج الإذاعة خلال أشهر عام ١٩٣٥م أسماء لقراء لا يعرفهم أحد الآن أو قبل ذلك، وإلى جوار أسماء هؤلاء القراء تجد اسم الشيخ على محمود مقترنا بوصلة غناء.

مأتم ملكى

لم تتغير سياسة الإذاعة كثيراً خلال النصف الأول من عام ١٩٣٦م في مجال اذاعة التلاوات القرآنية، حيث استمرت الاذاعة في تقديم المزيد من القراء الجدد، الذين ذهبت اسماء معظمهم إلي مجاهل النسيان من أمثال الشيوخ أمين صالح ومحرز محمد سليمان وهريدي الشوريجي ومحمود هاشم ومحمد أحمد أبوالعمايم وعبدالمتعال حسن

جمعة ومحمد ابراهيم المنجد، وذلك إلي جانب ثلاثة ممن عدوا بعد ذلك في عداد مشاهير القراء، ونعني بهم الشيوخ طه الفشني وعبدالفتاح الشعشاعي ومنصور الشامي الدمنهوري، إلا أن ذلك النصف الأول من عام ١٩٣٦م تضمن ايضاً الانفراجة الأولي في تعامل الإذاعة مع الشيخ علي محمود، وقد جاءت تلك الانفراجة علي وجهين، تمثل أولهما في الإكثار من تقديم فقرات غنائية للشيخ، وقد جاءت معظم الفقرات في صورة اسطوانات مذاعة، وذلك إلي جانب وصلات إذاعية تتضمن بعض القصائد والتواشيح، وكانت ملابسات تقديم وصلات الشيخ علي محمود الغنائية في بعض الايام شيئا يعسر علي الفهم، ومن ذلك ما حدث في مساء يوم الخميس الموافق ١٩٣٦/٥/٢٨م، حيث قدمت الإذاعة الشيخ علي محمود في السادسة وخمس وثلاثين دقيقة في توشيح "ياباهي الشيم" ، وقبل ذلك مباشرة-وفى السادسة من ذلك المساء-أذيع ما تيسر من آى الذكر الحكيم بصوت الشيخة خوجة إسماعيل!!، إن علامات التعجب السابقة لا تنبثق من كون القارئ فى ذلك المساء امرأة ، ولكنها تأتى من أنه لا يوجد الآن ولا قبل نصف قرن أحد يعرف شيئا عن خوجة إسماعيل، وجاء الوجه الثانى لانفراج تعامل الإذاعة مع الشيخ على محمود مصاحبا لليالى مأتم الملك فؤاد الأول، حيث اشترك الشيخ مع كبار القراء فى إحياء ليالى المأتم الثلاث التى أقيمت فى سرادق كبير أنشىء فى حرم قصر عابدين ، وقد قامت الإذاعة المصرية بنقل وقائع ليالى المأتم (من الخميس ١٩٣٦/٤/٣٠م وحتى السبت ١٩٣٦/٥/٢م) على الهواء مباشرة ، لتكون أولى تلاوات إذاعية للشيخ مرتبطة بليالى مأتم الملك فؤاد الأول ، هذا وقد أكدت صحافة ذلك العهد على قيام الإذاعة ببث تلاوات كبار القراء من داخل سرادق العزاء ، حيث ذكرت صحيفة "الأهرام" أن كلا من الشيخ على محمود والشيخ محمد رفعت والشيخ محمد الصيفى سوف يتناوبون تلاوة آى الذكر الحكيم فيما بين الساعة الثامنة من مساء يوم السبت ١٩٣٦/٥/٢م وحتى منتصف الليل داخل سرادق العزاء المقام فى فناء قصر عابدين، مع تنويه الصحيفة عن أن تلاوات القراء الثلاثة ستذاع عبر موجات البرنامج

العربى من المحطة الرئيسية (الأهرام: السبت ١٩٣٦/٥/٢م ، ص ١٤).

الانطلاقة

فتحت مشاركة الشيخ على محمود فى إحياء مأتم الملك فؤاد أبواب الإذاعة أمام تلاواته ، حيث زالت الأسباب القائمة وراء عدم اعتماد الإذاعة له كقارئ للقرآن فى برامجها ، وهى أسباب قد يكون منها تحرج الشيخ من الركون إلى الوسائط الحديثة آنذاك - كالاسطوانات والراديو لنقل تلاواته أو حفظها ، شأنه فى ذلك شأن غيره من كبار القراء ، أو أن تكون تلك الأسباب راجعة إلى اعتقاد المسئولين بالإذاعة أن الشيخ يعد منشداً أكثر منه قارئا للقرآن ، فلما استمع حضور مأتم الملك مع مستمعى الإذاعة إلى تلاوات الشيخ المذاعة ، انتفت الأسباب-وأيا كان مصدرها-التى كانت تحول بين انطلاق تلاوات الشيخ عبر أثير الإذاعة ، وجاءت الإذاعة الثانية للشيخ على محمود كقارئ للقرآن فى الثامنة والنصف من مساء السبت ١٩٣٦/٦/٦م ، حيث نقلت الإذاعة ما تلاه الشيخ من آى الذكر الحكيم فى حفل أقيم بمسجد الرفاعى بالقاهرة (الراديو المصرى: العدد ٦٣، ١٩٣٦/٥/٣٠م، ص ٢٣) ، ثم انقضت تسعة أشهر وبضعة أيام قبل أن تعاود الإذاعة الكرة وتقدم تلاوة ثالثة للشيخ على محمود ، جاءت تلاوة الشيخ الإذاعية الثالثة فى ثنايا حفل نقلته الإذاعة مساء الاثنين ١٩٣٧/٣/١٥م ، أقامت الحفل جمعية "مكارم الأخلاق الإسلامية" فى مقرها بحى شبرا ، وقد أقيم الحفل تحت رعاية حضرة صاحب السعادة محمد الحفنى الطرزى باشا (وبنص تقديم مجلة "الراديو المصرى" للحفل) وذلك بمناسبة حلول العام الهجرى الجديد (آنذاك).

عود إلى الرشد

شهد عام ١٩٣٩م منذ بدايته ظهور المزيد من القراء الإذاعيين ، منهم من لم يضف الى دولة التلاوة شيئا سوى اسمه ، ومن هؤلاء نذكر الأسماء التالية : عباس محمد حسين- زكى سيد عبد العال حسن صبحى وزكى محمد شرف ، على أن ذلك العام شهد أيضا إضافة اسمين آخرين لقائمة قراء الإذاعة ، ولكنهما وكما شهد التاريخ كانا من أشهر نجوم دولة التلاوة خلال عصرها الذهبى ، كان الأول منهما

هو الشيخ محمد فريد السنديونى ، وقد ظهر للمرة الأولى فى برامج الإذاعة فى يوم الأربعاء ١٩٣٩/٦/٧م ، بينما كان الثانى منهما هو الشيخ على محمود، والذى قدمته الإذاعة ولأول مرة كقارئ إذاعى وليس كقارئ فى حفل خارجى فى مساء يوم الاثنين ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨هـ والموافق ١٩٣٩/٧/٣م ، تضمنت التلاوة الاذاعية الأولي للشيخ علي محمود كقاريء اذاعي معتمد " فاتحة الكتاب" والربعين الأول والثانى من سورة " البقرة " ، وبلغ زمن تلك التلاوة أربعين دقيقة (الأهرام: الاثنين ١٩٣٩/٧/٣م، ص ١٣) ، واعتمدت الإذاعة منذ ذلك اليوم الشيخ على محمود كقارئ للقرآن فى مساء يوم الاثنين من كل أسبوع ، لتتوالى بعد ذلك وبانتظام لم تقطعه مشاركات الشيخ فى الاحتفالات الخاصة بالمناسبات الدينية تلاواته الأسبوعية ، حتى اختتم القرآن كاملا بتلاوة تضمنت السور من " الشرح " الى " الناس" وأذيعت فى التاسعة وعشرين دقيقة من مساء يوم الاثنين ١٩٤١/٨/١١م (الراديو المصرى : العدد ٣٣٤، ١٩٤١/٨/٩م، ص ١٤)، وبالرغم من أن الإذاعة أضافت فى عامى ١٩٤٠م و ١٩٤١ م المزيد من القراء الجدد ، ومن هؤلاء القراء نذكر الشيوخ : أحمد سرور-إبراهيم عيسى عبد الله كامل المحلاوى شفيق أبو شبهة - محمد عبد المجيد البيلى عبد الله حماد البدرشينى وزكريا النوسانى ، فان قرآن أمسية الاثنين من كل أسبوع ظل وقفا على صوت الشيخ على محمود ، حيث دأبت الإذاعة على إعادة بث تلاوات الشيخ للختمة المجودة الكاملة التى قدمها عبر ميكرفون الإذاعة فيما بين ١٩٣٩/٧/٣م و ١٩٤١/٨/١١م ، وذلك خلال عامى ١٩٤٢م و ١٩٤٣م ، حتى روع الناس فى مصر والعالم الإسلامى برحيله وتشييع جنازته فى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ١٣٦٢هـ والموافق ١٩٤٣/١٢/٢٢م ، وقد أوردت صحيفة " الأهرام " نبأ وفاة الشيخ فى صفحة الوفيات بعدد الخميس ١٩٤٣/١٢/٢٣م من خلال نعى نشرته أسرة الشيخ ، وقد نعاه أيضا محمد الحفنى الطرزى باشا رئيس شرف رابطة القراء وجميع أعضائها ، وجاء فى نعى الرابطة أن أعضاءها : " ينعون بمزيد من الأسف الأستاذ الشيخ على محمود الرئيس الإدارى ، الذى اكتسب

بدينه وخلقه محبة القلوب ، فبفقده فقدت الرابطة بل والأمة المصرية علما خفاقا وبلبلا صداحا".

ضياع التراث

تتقسم إبداعات الشيخ على محمود وطبقا لما باحت به مسيرة حياته الى قسمين رئيسيين، يتضمن أولهما ما أنجزه من تلاوات قرآنية عبر الإذاعة والحفلات والسهرات الدينية ، ويضاف الى هذا القسم أيضا أذان الصلاة وما يتبعه من تسابيح وابتهالات ، ويأتى فى القسم الثانى من إبداعات الشيخ ألحان المولد النبوى الشريف والقصائد والموشحات والقوالب الأخرى ، فأما القسم الأول من إبداعات الشيخ ، فقد كشفت لنا السيرة المختصرة السابقة لحياته أنه أتم ختمة مجودة كاملة للإذاعة المصرية فيما بين ٣//٧/١٩٣٩م و ١١/٨/١٩٤١م ، وذلك بالإضافة الى ما يقال إنه قد سجله من تلاوات قرآنية للإذاعة البريطانية (د. محمد صلاح الدين بك : المصدر السابق) ، فضلا عما نقلته الإذاعة من تلاوات شارك بها فى بعض المناسبات والاحتفالات الدينية أو الرسمية ، كل ذلك الرصيد الهائل من التلاوات المجودة داخل قاعات البث الإذاعى أو ساحات المساجد اختفى بعضه بعد أشهر قلائل من رحيله ، فبالرغم من أن الإذاعة المصرية بدأت منذ غرة شهر رمضان من سنة ١٣٦٠هـ فى إعادة بث التلاوات الأولى من الختمة المجودة التى سجلها الشيخ للإذاعة ، فان كاتبا كالدكتور محمد صلاح الدين بك يذكر فى مقاله القيم عن الشيخ والذى نشر بعد أقل من شهرين من رحيله ،يذكر الدكتور محمد صلاح الدين بك أن الوجيه محمد خميس بك نجح فى تسجيل الكثير من تلاوات الشيخ التى كانت تذاع فى المناسبات والحفلات ، بينما أهملت الإذاعة ذلك لانشغالها بتسجيل الحفلات الغنائية لمن يستحق ومن لا يستحق ، وإحقاقا للحق ... فان الإذاعة لا تتحمل وحدها مسئولية ضياع تسجيلات الشيخ على محمود ، حيث يتحمل الشيخ قدرا من تلك المسئولية ، ويعود المتبقى من تلك المسئولية الى بدائية تقنيات تسجيل الصوت فى ذلك العصر ، وقد جاءت مسئولية الشيخ عن ضياع تسجيلاته من تردده فى التعامل مع الإذاعة ، وذلك خوفا من

أن يكون هناك ثمة إثم فى تلاوة القرآن عبر الإذاعة وهى التقنية الجديدة فى وقتها ، وتتمثل مسئولية بدائية مستوى تقنيات تسجيل الصوت فى أن المعروف من تلك التقنيات فى عشرينات القرن العشرين وهو عقد التألق والذروة فى عطاء الشيخ انحصر فى الاسطوانات وحدها ، ومن المعروف أن تسجيل القرآن على الاسطوانات شهد جدلا كبيرا ، مما تسبب فى إعراض كبار القراء عن قبول تلك التقنية لحفظ تلاواتهم ، حتى أن إعلانات شركات الاسطوانات التى ملأت صحف العشرينات والثلاثينيات من القرن العشرين ، خلت من أى حديث عن تلاوات مسجلة لكبار قراء تلك الفترة على أسطوانات.

وبكر الأعوام توالى اختفاء تسجيلات تلاوات الشيخ على محمود ، حتى أصبح المتداول منها فى شركات الصوتيات لا يزيد عن أحاد تشمل ما تيسر له من سور " الأنفال " و " يوسف" و " الكهف" و " القيامة " وقصار السور ، فى تلك التسجيلات القليلة يشرق صوت الشيخ فى المسامع من علياء تجلياته، ليتجاوز فى انطلاقاته ديوانين كاملين ومخترقا بصوته القسم الثالث من أقسام أصوات الرجال ، وهو الصادح أو التينور ، لم يكن صوت الشيخ على محمود جميلا كصوت معاصره الشيخ محمد رفعت ، أو كأصوات بعض أفذاذ القراء ممن جاءوا بعده من أمثال الشيوخ عبد العظيم زاهر وكامل يوسف البهتيمى ومحمد صديق المنشاوى ، ولكن تميز صوت الشيخ على محمود انحصر بجانب اتساع المساحة فى سلامة جميع أقسامه من طبقة القرار ومرورا بالطبقة الوسطى ووصولا الى طبقة الجواب وجواب الجواب، إن صوتا كهذا إذا ما استند أيضا الى معرفة موسوعية بالأصوات والألحان وعلوم القراءات ، فحدث ولا حرج عن إحكام وإعجاز تلاواته ، وهو ما يلمسه المستمع الى التسجيلات القليلة لتلاوات له نجت من غائلة الضياع التى بددت معظم ما أنجز فى هذا المجال من إبداعاته ، مما جعله جديرا - وبحق- بلقب إمام القراء من المنشدين.

الفصل الخامس



عبد الفتاح الشعشاعي

أجمل الأصوات الجهيرة

تنقسم أصوات الرجال فى التصنيف الغربى لها الى ثلاث فئات ، وتسمى هذه الفئات الثلاث طبقا - للمساحة الصوتية من درجات السلم الموسيقى وتبعا للتدرج الهابط فى مستوى الحدة الصوتية ــ الصادح (التينور) والجهير الأول (الباريتون) والجهير (الباص) ، ويمكن القول بأن غالبية أصوات المشاهير من القراء تنتمى الى فئة الجهير الأول ، والجهير من الأصوات فى اللغة هو المرتفع و الجلى الواضح ، وبقول آخر فإن تلك الغالبيه من الأصوات تقدر مساحة الواحد منها بما هو أقل قليلا من ست عشرة درجة من درجات السلم الموسيقى ، على أن مساحة الشريحة الأجمل من هذه الأصوات تقع فيما بين ست عشرة وأربع عشرة درجة موسيقية ، والى هذه الشريحة الأجمل ... ينتمى صوت الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى .

الابن سر أبيه

ولد عبد الفتاح محمود إبراهيم الشهير بالشيخ عبد الفتاح الشعشاعى فى يوم ٢٠ مارس من سنه ١٨٩٠ م ، وكان محل ميلاده بقرية شعشاع من أعمال مركز أشمون بمحافظة المنوفية ، ولما كان والده الشيخ محمود إبراهيم يعمل محفظا للقرآن بالقرية ،وقد تخرج من كتابه (مكتبه) المئات من أبناء القرية،بعد أن أتم البعض منهم حفظ القرآن كاملا ، وحفظت البقية منهم أجزاءً من كتاب الله ، لذلك -ووفقاً لطبيعة الأمور- تلقى الصبىّ عبد الفتاح القرآن على يد والده، حتى أتم حفظه وهو بعد فى السنة التاسعة من عمره .

لم يكن معلمو القرآن فى قرى الريف المصرى فى سنوات صبا الشيخ عبد الفتاح وحتى الآن على دراية بفن التجويد ، ولما كان الشيخ محمود إبراهيم قد قر قراره وبعد أن اكتشف جمال صوت الصبى عبد الفتاح على أن يوجه ابنه لدراسة فن التجويد ، وذلك تمهيداً لاحترافه فيما بعد تلاوة آيات الذكر الحكيم .

بادر الشيخ محمود إبراهيم بإرسال ابنه الصبى عبد الفتاح الى مدينة

طنطا ، حيث تزدهر هناك وفى جوار الشيخ احمد البدوى مدرسة عريقة لعلوم القرآن ، فتلقى الصبى عبد الفتاح فنون التجويد على الشيخ إسماعيل الشافعى ، والذى كان آنذاك واحدا من القراء المعروفين ومعلما لتجويد القرآن ، وبعد أن قضى الصبى عبد الفتاح عاما كاملا فى طنطا عاد الى قرية شعشاع فى مطلع القرن العشرين متسلحا بأصول التجويد مضافة إلى حفظه لكتاب الله ، وليبدأ رحلته مع قراءة القرآن فى قرية شعشاع وغيرها من القرى المجاورة منذ العام الأول فى القرن العشرين ، ولم تمض سوى أعوام قليله ، حتى ذاعت شهرته فى محافظة المنوفية وما يجاورها من محافظات (الراديو المصرى : العدد ٢١٣، ١٥/٤/١٩٣٩م ، ص٧) .

التحول إلى التدريس

شهد التعليم بمصر الكثير من التجارب منذ عهد محمد على و حتى أيامنا هذه، وقد صادف البدء فى إحدى هذه التجارب بداية عمل الشيخ عبد الفتاح فى كتاب والده ، حيث عمل مساعدا لوالده فى تحفيظ القرآن، كانت التجربة التى بدأتها وزارة المعارف تهدف إلى تحديث كتاب (مكتب) القرية الذى يعد أساس نظام التعليم آنذاك بإدخال بعض العلوم المدنية كالرياضيات فى برنامجه الدراسى بالإضافة إلى حفظ القرآن ، ولما كان ذلك يتطلب إعداد المعلم المؤهل لتدريس تلك العلوم بجانب تحفيظ القرآن ، فإن الوزارة عملت على تشجيع كل صاحب كتّاب على أن يلتحق ببرنامج دراسى لإعداد المعلم المطلوب لهذه التجربة ، وعن هذه التجربة يتحدث الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى فى موضوع :" المقرئ الكبير الأستاذ الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى يتحدث عن حياته الفنية الحافلة"، والذى نشر بالصفحتين السابعة والخامسة عشرة من العدد رقم ٢١٣ من مجلة " الراديو المصرى "والصادر فى ١٥/٤/١٩٣٩م ،قال الشيخ عبد الفتاح عن ذلك :"فوافق والدى على ذلك، وكلفنى بالذهاب إلى مدرسة قليوب الأميرية ،لأتلقى هناك الدروس الخصوصية فى يومى الخميس والجمعة من كل أسبوع ، فأمضيت فيها عامين كاملين ، ثم عاما ثالثا بالقاهرة فى مدرسة عباس الأميرية ، وقد حصلت بعد هذه المدة على إجازة التدريس ، وكانت تسمى فى ذلك الوقت (فقيه) ، وتعادل الآن (سنه ١٩٣٩م) شهادة الكفاءة للتعليم الأولى ، كان ذلك سنة ١٩٠٧م".

أمضى الشيخ عبد الفتاح الفترة فيما بين عامى ١٩٠٧م و١٩١٠ م فى ممارسة التدريس مع والده ، وقد بدأ أيضا خلال تلك الفترة فى تلاوة القرآن الكريم بمناسبات قرية شعشاع وما حولها من قرى ، حتى ذاع اسمه فى محافظة المنوفية وامتد منها إلى انحاء الاقليم كلها، ولما ازداد إقبال الناس على دعوة الشيخ عبد الفتاح لإحياء مناسباتهم ، ورأى الشيخ أن السهر الناشئ عن تلاوة القرآن فى المناسبات لا يتفق ومتطلبات التبكير بالذهاب للتدريس فى الكتاب ، فإنه حزم أمره وودع التدريس ليتفرغ لقراءة القرآن وتجويده .

القاهرة تنادى

أدرك الشيخ عبد الفتاح منذ بداية احترافه التلاوة ، أن ما تلقاه فى رحلته إلى طنطا من فنون التجويد ليس كافيا لخلق قارئ مجيد ، فحزم أمره وسافر الى القاهرة ليحصل ما رآه واجبا لإتقان التلاوة ، وأخذ فى رحلته الأولى للقاهرة على الشيخين حسن فايد الزرقانى ومحمد بيومى الكثير من علوم القرآن ،وقد كان الشيخان : الزرقانى وبيومى من أعلام قراء ذلك الزمان ، والى جانب ما تلقاه الشيخ عبد الفتاح على الشيخين : الزرقانى وبيومى ، فأنه التقى أيضا أثناء رحلته الأولى للقاهرة بأستاذ أساتذة الإنشاد الدينى والموسيقى : الشيخ درويش الحريرى ، فأخذ عنه القصة النبوية والتواشيح الدينية بالإضافة الى مبادئ الموسيقى والألحان.

قفل الشيخ عبد الفتاح راجعا إلى شعشاع ، واكتفى بما حصل عليه فى القاهرة من فنون التجويد والإنشاد ، وكان ذلك امتثالا لرغبة والده ، الذى لم يطق فراق ابنه ، وانطلق الشيخ عبد الفتاح فى إحياء الحفلات بتلاوة القرآن الكريم وإنشاد السيرة النبوية والتواشيح ، وهى حفلات توزعت فيما بين الإسكندرية والغربية والمنوفية وحتى المنيا ،حتى طار صيته فى أنحاء مصر ،ولكنه ظل مقيماً بشعشاع مع والده حتى سنة ١٩١٥م.

عندما فاتح الشيخ عبد الفتاح والده فى أمر سفره الى القاهرة للإقامة بها ، رفض الوالد فى البداية بسبب تعلقه بابنه ، ولكن الشيخ عبد الفتاح افلح بعد ذلك فى الحصول على موافقة والده ، ليذهب الى القاهرة مرة أخرى ويستقر بها منذ عام ١٩١٦م ، حيث عمل على الاستزادة من علوم القرآن من خلال ملازمة الشيخ على سبيع ، وهو أحد مشاهير قراء ذلك العهد، وجاء استقرار الشيخ عبد الفتاح فى حى الدرب الأحمر بالقاهرة مواكبا لسنوات الركود المصاحبة لأحداث الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-

١٩١٨م) ، ولكن الفرج حل بعد ذلك فى سنوات العشرينيات من القرن الماضى ، وصار الشيخ يدعى ليقرأ فى مختلف أحياء القاهرة ، حتى عرفه الأمراء والكبراء قبل عامة الناس ،وصار علما من أعلام القراء تعرفه الناس فى جميع أرجاء مصر كلها (المصدر السابق) .

دخول الإذاعة

تصدر الشيوخ : محمد رفعت ومحمد سلامه ومحمد الصيفى وعلى محمود وعبد الفتاح الشعشاعى نجوم العصر الذهبى لدولة التلاوة الحديثة قبل افتتاح محطة الإذاعة الحكومية فى ٣١ مايو من عام ١٩٣٤م ، لذلك عملت إدارة الإذاعة منذ إنشائها على اجتذاب أصوات هؤلاء الشيوخ النجوم الى برامجها ، لم تفلح محاولات الإذاعة الأولى مع الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى لاجتذابه لقراءة القرآن عبر بثها ، ولكن تصادف أن وقع فى عام ١٩٣٦م حادث جعل الشعشاعى يغير موقفه السابق من قراءة القرآن بالإذاعة، فقد توفى ملك البلاد :أحمد فؤاد أو الملك فؤاد الأول فى الثامن والعشرين من شهر أبريل من نفس العام (١٩٣٦) ، وأقيم مأتم الملك الراحل بقصر عابدين وأحياه من القراء كل من الشيوخ :محمد رفعت وعلى محمود ومحمد الصيفى وعبد الفتاح الشعشاعى ، ونقلت الإذاعة المأتم من القصر على الهواء الى مستمعيها ، وعندما عرضت إدارة الإذاعة على الشيخ الشعشاعى فتوى شيخ الازهر التى أباح فيها تلاوة القرآن بالإذاعة ، فإن الشيخ لم يجد مناصاً من الاستمرار فى تلاوة القرآن بالإذاعة ، وقد عبر الشيخ الشعشاعى عن مشاعره تجاه ليلة مأتم الملك أحمد فؤاد والتى كانت بمثابة نقطة تحول مهمة فى حياته ، فقال فى حديثه لمجله " الراديو المصرى " والذى سبقت الإشارة اليه فى هذا الفصل :" وأن أعظم حظ لاقيته فى تاريخ حياتى- وأجاهر بأنه شاد من ذكرى وأعلى من مكانتى وكان سببا فى اسعادى هو استدعائى للتشرف بتلاوة كلام الله فى مأتم حضرة صاحب الجلالة مولانا المغفور له الملك فؤاد الأول " .

مكان عند القمة

اجتذب صوت الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى قبل انطلاقه من الإذاعة وبعد اعتماده بها جماهير واسعة من عشاق القرآن المجود ، وقد أجمل الناقد الكبير كمال النجمى أسباب ذلك فى قوله :" وقد شهد عصرنا غير واحد ممن جمعوا أطرافاً من جمال الصوت وحلاوة الأداء وعمق الإحساس، ومن هؤلاء : عبد الفتاح الشعشاعى وأبو العينين شعيشع " .

(كمال النجمى - الغناء المصرى.. مطربون ومستمعون، ص ٤٢٩)، فأما عن الصوت فيكفى أن نذكر هنا ما قاله عنه الأستاذ محمود السعدنى فى كتابه " ألحان السماء " ، حيث قال الأستاذ السعدنى: "والشيخ الشعشاعى عاش طويلا ، وعلى الرغم من ذلك ظل محتفظا بصوته العميق القوى حتى مات، وكان باستطاعته وبدون مكبر صوت أن يقرأ فى عدة ألوف من الناس ولساعات طويلة دون أن يحس إرهاقا» (ص٢٥-٢٦) ، كان صوت الشيخ الشعشاعى بمساحته التى تقل قليلا عن ديوانين كاملين منتميا الى فئة الجهير الأول (الباريتون) من أصوات الرجال ، وهو صوت واضح القرار والجواب ... سليم النبرات صعودا و هبوطا ... عريضا مترامى المساحة، وأما عن أداء الشيخ الشعشاعى ... فيكفى هنا القول بأن كل من تناولوا تلك الجزئية من جوانب تلاوة الشيخ قد أجمعوا على تفرد طريقته فى الأداء ، فلم يقلد أحدا ممن سبقوه ولم يجئ بعده من نجح فى تقليده ، ويتبقى هنا من خصائص تلاوة الشيخ الشعشاعى ... عمق إحساسه بما يقرأ ، وهو ما يلمسه كل من استمع الى الشيخ فى تلاواته الخاشعة التى كانت تشى برهافة ذلك الإحساس وعمقه ، لقد بلغت رحلة الشيخ الشعشاعى مع تلاوة القرآن قرابة نصف القرن ، وظل الشيخ طوال هذه الرحلة الطويلة محتفظا بقوة صوته وجماله ، وذلك بالرغم من أن الشيخ لم يكن ضخم الجسم، هذا وقد رصد الناقد الكبير الراحل : كمال النجمى حالة صوت الشيخ الشعشاعى عندما تقدم به العمر ، فقال عن ذلك الآتى :" فالأصوات الرجالية التى احترفت الغناء أو تلاوة القرآن طوال هذا الزمن ، لم تصبها تغيرات سريعة حاسمة أخفت معالمها القديمة تماما كما فعلت فى صوت عبد الوهاب ، ولنتذكر على سبيل المثال صوت الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى ، الذى ظل على حاله تقريباً حتى جاوز السبعين عاماً "(كمال النجمى : المصدر السابق ، ص٨٥)، ان ما تفرج عنه إذاعة القرآن الكريم من تسجيلات حية لتلاوات الشيخ الشعشاعى فى المساجد ، ينهض شاهداً ويقدم دليلاً على أن صوت الشيخ كان أجمل الاصوات الجهيرة فى كل عصر دولة التلاوة الحديثة ، مما جعل منه منافساً قويا للمتربع على عرش دولة التلاوة ، حيث رصد الأستاذ كمال النجمى عليه رحمة الله ذلك التنافس بقوله : " وكانت المنافسة على القمة فى ذلك الوقت (يعنى الفترة التى أعقبت وفاة الشيخ محمد رفعت)، بين الشيخين مصطفى إسماعيل وعبد الفتاح الشعشاعى ، أما الشيخ أبو العينين شعيشع فكان ينسحب

ببطء لأن احتباسا بدأ ينتاب حلقه أو حنجرته "، ثم يضيف الأستاذ النجمي الى ذلك فيقول : "ولم يستطع الشعشاعي ولا غيره أن يلحق بالشيخ مصطفي اسماعيل، فاكتفي الشيخ الشعشاعي بدور (الرجل الثاني) في عهد الشيخ مصطفى ، كما كان مكتفيا به – على مضض- في عهد الشيخ رفعت " (كمال النجمي : المصدر السابق ، ص٤٢٦) ، وأيا ما كان موقع الشيخ الشعشاعي عند قمة دولة التلاوه ، فان مكانة ومقدرة الرجل الثاني أو الثالث بمقاييس أصوات قراء ذلك العهد -لما ينظر اليه آنذاك والآن بمزيج من الإعجاب والإكبار.

أماكن التلاوة

عمل الشيخ عبد الفتاح الشعشاعي قارئا للسورة بمسجد السيدة نفيسة رضى الله عنها- بعد استقراره بالقاهرة ، ثم انتقل ليعمل قارئا للسورة بمسجد السيدة زينب رضى الله عنها منذ عام ١٩٣٩م ، وقد أقام قارئا لسورة الكهف في يوم الجمعة بمسجد السيدة زينب حتى وفاته ، ومن هذا المسجد ... أذاعت الإذاعة عشرات التسجيلات لتلاوات الشيخ لما تيسر له من سورة "الكهف" ، وهي تسجيلات مازالت تسحر المستمعين اليها حتى الآن ... بما أفاء الله على الشيخ فيها من تجليات واشراقات ، ومما هو جدير بالذكر أن إذاعة القرآن الكريم بالقاهرة قد أفرجت مؤخرا عن واحد من هذه التسجيلات ، حيث قدم هذا التسجيل في إحدى حلقات برنامج " من تسجيلاتنا النادرة"، إن المنصت لترجيعات صوت الشيخ الشعشاعي الجهيرة لآيات القرآن الكريم في هذه التلاوة، سوف يلتمس العذر لمن يفضلون صوته على جميع معاصريه من قراء العصر الذهبي لدولة التلاوة .

طاف الشيخ الشعشاعي شأنه في ذلك شأن كبار القراء المصريين بكثير من دول العالم ، حيث أدخل البهجة و النور الى قلوب الملايين من المسلمين باستماعهم الى ترجيعاته القوية الجهيرة لآيات الذكر الحكيم ، كانت المملكة العربية السعودية هي المكان الأول الذي قرأ الشيخ القرآن فيه خارج مصر ، فقد سافر اليها الشيخ حاجا مرتين ، وفي المرة الثانية التي كانت في عام ١٩٤٨م، تصادف أن أدخلت حكومة المملكة نظام الاذاعة الداخلية باستخدام مكبرات الصوت في الحرمين : المكي والمدني ، فكان الشيخ الشعشاعي أول من قرأ القرآن في الحرمين الشريفين على جموع الحجاج ، الذين تقدمهم العاهل السعودي : الملك عبد العزيز بن سعود (أحمد البلك: أشهر من قرأ القرآن في العصر الحديث، ص ٢٥) وفي نفس

العام (١٩٤٨م) سافر الشيخ الشعشاعى فى رفقة الشيخ أبو العينين شعيشع إلى العراق ، وذلك لإحياء مأتم ملكة العراق : الملكة عالية ، وهكذا تعددت البلاد التى زارها الشيخ لتلاوة كتاب الله ، ليكتسب فى كل بلد مزيدا من المحبين لفنه والعارفين لفضله ، مما جعل تلاوته مطلوبة فى كل الإذاعات الناطقة بالعربية أو الموجهة للمستمعين من المسلمين ، وأسبغ عليه الكثير من مظاهر التكريم الشعبية والرسمية ، لقد بلغ حب الناس فى العراق – على سبيل المثال – حد كسر احد اضلعه عندما تزاحمت جموع المصلين فى مسجد الأحمديه ببغداد لمصافحته . (طارق خليل: القرآن الكريم ومشاهير القراء ، ص ٦٥)، وقد تلقى رحمة الله عليه أكثر من وسام فى حياته وبعد رحيله ، منها وسام الاستحقاق السورى من الطبقة الثانية ، والذى منح له ولكل من الشيخين أبو العينين شعيشع ومحمد صديق المنشاوى بعد إحيائهم لليالى شهر رمضان من سنه ١٣٧٥هـ والموافق لشهرى ابريل ومايو من عام١٩٥٦م (الاذاعة : العدد ١١١٣، ١٤/٧/١٩٥٦م ،ص ٤٧) ،وآخرها هو وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى ، الذى أهدى لاسمه فى احتفال وزارة الأوقاف بليلة القدر فى عام ١٩٩٠م (شكرى القاضى : عباقرة التلاوة ،ص ٤٤).

تأثير ومكانة

امتد تأثير الشيخ الشعشاعى من المستمعين الى القراء ومن داخل مصر إلى خارجها ، وهو تأثير جعل الكثير من المستمعين والقراء يتعصبون للشيخ ويرفعونه فوق أقرانه من رواد دولة التلاوة الحديثة ، وقد اتخذ هذا التعصب أشكالاً متعددة، ذكرنا منها هنا قبلاً ما ناله الشيخ شخصيا على يد مستمعيه فى مسجد الاحمديه ببغداد، ويعد تأثر بعض القراء بطريقة أداء الشيخ هو الأمر الأكثر أهمية لبيان تأثير الشيخ الشعشاعى فى دولة التلاوة ، مما يؤكد أنه –رحمه الله – كان من أعلام القراء الذين تركوا بصمة فى دوله التلاوة تستعصي علي الزوال.

امتد العمر بالشيخ عبد الفتاح الشعشاعى قرابة اثنين وسبعين عاما ، ظل صوته فيها ناضراً لم تبتلع الكهولة الكثير من مقاماته، حيث كان بمقدوره عندما اكتهل أن يقرأ لأوقات طويلة بصوته القوى المميز ، حتى وافته المنية فى يوم الأحد الحادى عشر من شهر نوفمبر عام ١٩٦٢م ، ليرحل عن عالمنا الذى أضاء جنباته بآيات الله يرددها بصوته الذى قل أن يجود الزمان بمثيل له.

الفصل السادس



منصور الشامي الدمنهوري

أجمل الأصوات الجهيرة

ارتبط تألق أربعة عشر نجماً من نجوم دولة التلاوة ممن ترجم لهم هذا الكتاب بالقاهرة ، ولم يكن هؤلاء النجوم جميعاً من أبناء العاصمة ، فقد نشأ بها ثلاثة منهم فقط، ونزح إليها أحد عشر نجماً من أقاليم شتى امتدت من شمال الدلتا وحتى أعماق الصعيد ، كانت أسباب ذلك النزوح متعددة ، وتراوحت بين ما تتيحه مدارس القاهرة ومحافلها الدينية من علم بأصول القراءات وفنون التجويد ، بالإضافة الى ما يرتبط بأجواء العاصمة من شهرة وثراء ، ولم يعرف تاريخ دولة التلاوة فى عصرها الذهبى بمصر خروجاً على هذه القاعدة إلا مع قارئين اثنين ، أولهما الشيخ صديق السيد تايب الشهير بالشيخ صديق المنشاوى ، الذى نشأ بمدينة المنشاة بمحافظة سوهاج واشتهر بها، وقد رفض الشيخ - الذى كان معاصراً للرعيل الأول من نجوم دولة التلاوة من أمثال الشيخ أحمد ندا والشيخ محمد رفعت والشيخ على محمود - النزوح الى القاهرة أو حتى الإلمام بها فى زيارات خاطفة لقراءة القرآن فى المناسبات ،وحصر الشيخ صديق المنشاوى نطاق حفلات تلاواته الفذة فى مسقط رأسه بمحافظة سوهاج وفى محافظتىّ أسيوط وقنا ، وهما المتاخمتان لمحافظة سوهاج من الشمال ومن الجنوب ، وجاء الخروج الثانى على قاعدة ارتباط التألق بالقاهرة مع رحلة القارئ الشيخ منصور الشامى الدمنهورى مع الشهرة والتألق خلال فتره تمثل أوج العصر الذهبى لدولة التلاوة.

دمنهور و البداية

ولد الشيخ محمد منصور محمود الشامى بمدينة دمنهور فى يوم الأحد الثانى عشر من شهر أغسطس عام ١٩٠٦م (شكرى القاضى : عباقرة التلاوة ، ص ٨٢ - ٨٤) ، ولسنا نعلم شيئاً عن أسرته الآن ، وإن كان المتوقع - وطبقاً للمتواتر عن الأحوال الاقتصادية للمجتمع المصرى فى بدايات القرن العشرين- أن تكون من آلاف الأسر المصرية المستورة ، التى أتاحت للبعض من أبنائها تعليما دينياً كالذى تلقاه الصبى محمد منصور (وهو فى الغالب اسم مركب) ، حيث أتم الصبى حفظ القرآن الكريم وهو فى العاشرة من عمره ، وقد عرف من الكتابات النادرة عن الشيخ منصور الشامى أن حفظه للقرآن الكريم جاء على يد شيخ يدعى أحمد غزال بمدينة دمنهور (شكرى القاضى: المصدر السابق) ، ومما لاشك فيه - وطبقاً لتسلسل الوقائع - أن محاسن صوت الصبى محمد منصور قد تبدت فى الأسماع منذ ترديده لما يحفظ من آى الذكر الحكيم فى كُتّاب الشيخ أحمد غزال ، مما حفز أسرته على المضى قدما فى تعليمه، لينتقل الصبى محمد منصور بعد حفظه للقرآن فى كتاب دمنهور الى طنطا ، حيث تلقى علم القراءات وفن التجويد وبعض المعارف فى الفقه والشريعة بمسجد سيدى أحمد البدوى، فلما أتم الفتى محمد منصور دراسته بالمسجد الأحمدى ، عاد الى دمنهور حيث أقر قارئا للسورة بأحد مساجدها ، وهو مسجد سيدى ضحوة المجاور لقسم شرطة بندر دمنهور (شكرى القاضى : المصدر السابق).

عرف الشيخ محمد منصور الشامى بدايات الشهرة فى مساجد دمنهور واحتفالاتها الدينية ، حيث استمع أهل دمنهور

الى التلاوات الأولى لابن مدينتهم قرابة منتصف العشرينيات من القرن الماضى ، ولم يكن المستمع اليه منذ بدايته الأولى فى حاجة الى كبير جهد كى يدرك تفرد طريقته فى الأداء ، فقد كان بالغ الخشوع فى قراءته ، حتى لقد لازمنى إحساس - منذ أن استمعت اليه فى منتصف خمسينات القرن الماضى وحتى الآن - بأن صوته يسرى متسربلاً بغبشة الفجر الشفيفة ، فإذا ما علمنا أيضاً أنه كان من أعلم القراء بمواضع الوقف فى آيات القرآن وبمرتبة التحقيق فى القراءة ، لأدركنا أى نجم تألق فى سماء دولة التلاوة عند دمنهور وقريباً من الإسكندرية.

من الإسكندرية إلى الإذاعة

ضاقت دمنهور على الشيخ محمد منصور الشامى عندما اشتهر وذاع أسمه ، فانتقل للإقامة بالإسكندرية القريبة من دمنهور ، وقد اختلفت المصادر القليلة التى تحدثت عن الشيخ فى تحديد تاريخ انتقاله الى الإسكندرية، وأيا ما كانت الحقيقة فى ذلك .. فإن استقرار الشيخ بالإسكندرية تسبب فى اتساع شهرته، حتى بلغ أوج الشهرة عندما قرأ مع القارئ الأشهر : الشيخ محمد رفعت ذات ليلة فى حفل أقيم بالإسكندرية ، ليلتها .. أعجب الشيخ محمد رفعت بصوت الشيخ محمد منصور الشامى وشهد له بالموهبة والتفرد (محمود السعدنى : ألحان السماء، ص٤٣).

عندما ذاعت شهرة الشيخ منصور الشامى الدمنهورى ، كانت الإذاعات الأهلية توشك على الانسحاب الى منازل التاريخ ، ليخلو الأثير تماما للإذاعة الحكومية التى ولدت فى ١٩٣٤/٥/٣١م ، وقد استقطبت الإذاعة كبار المقرئين منذ اليوم الأول لإرسالها ، حيث افتتح الشيخ محمد رفعت إرسال الإذاعة فى ذلك اليوم بتلاوة ما تيسر له من سورة " الفتح " ، ثم واصل

الشيخ محمد رفعت تلاوة آى الذكر الحكيم فى برامج الإذاعة الى ما يقرب من نهاية شهر يونيو من عام ١٩٣٤م ، لتبدأ الإذاعة منذ يوم الجمعة ١٩٣٤/٦/٢٩م فى إذاعة تلاوات قرآنية لقراء لم يحقق أى منهم ولو قدراً ضئيلاً من الشهرة ، ومن هؤلاء القراء نذكر الأسماء التالية : الشيخ أحمد صبح - الشيخ محمد الصايم - الشيخ محمد السيسى والشيخ توفيق عبد العزيز ، ثم سرعان ما تداركت الإذاعة الأمر فى عام ١٩٣٥م ، حيث قدمت خلال ذلك العام مجموعة من مشاهير القراء ، نذكر منهم كلا من الشيخ محمد عكاشة -الشيخ مدين منصور والشيخ على حزين ، ولم تعرف دولة التلاوة خلال عام ١٩٣٥م سوى نجمين هما الشيخ محمد رفعت والشيخ على محمود ، بيد أن عام ١٩٣٦م قدم فى ثنايا أيامه وشهوره أكبر عدد من نجوم دولة التلاوة ظهر فى عام واحد ، فقد شهد ذلك العام انطلاق أصوات كل من الشيخ محمد الصيفى - الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى والشيخ منصور الشامى الدمنهورى عبر برامج الإذاعة ، حيث أشار المتاح من أعداد مجلة " الراديو المصرى " الى أن الشيخ منصور الشامى قدم مجموعة من التلاوات الصباحية فى الأيام الأخيرة من شهر ديسمبر من عام ١٩٣٦م ، وقد توالت تلك التلاوات فيما بين يومىّ الأحد ١٩٣٦/١٢/٢٠م والسبت ١٩٣٦/١٢/٢٦م (الراديو المصرى : العدد ٩٢ ، ١٩٣٦/١٢/١٩م ، ص ١٩-٢٥) ، وبذلك يثبت أن اعتماد الإذاعة للشيخ منصور الشامى كقارئ فى برامجها يعود الى عام ١٩٣٦م ، وليس الى عام ١٩٤٥م كما ذكر كل من محمود السعدنى و شكرى القاضى فى كتابيهما (محمود السعدنى : ألحان السماء ، ص ٤٣ - شكرى القاضى: عباقرة التلاوة ، ص ٨٤).

ترتيب التلاوات

اتخذت الإذاعة المصرية منذ إنشائها أكثر من ترتيب لتقديم تلاوات القرآن الكريم فى برامجها ، حيث اعتمدت فى الشهور الأولى من عمرها على قارئ واحد لفترة محددة ، امتدت تلك الفترة لشهر كامل عند بداية إرسال الإذاعة ، ثم تضاءلت تلك الفترة لتصبح أسبوعاً واحداً ، وعندما ضاعفت الإذاعة منذ يوم الثلاثاء الموافق ١٩٣٤/١١/٢٠م من مرات تقديم التلاوات القرآنية فى برنامجها اليومى ، لتصبح تلاوتين بدلاً من تلاوة واحدة ، تضاعف عدد القراء المعتمدين بالإذاعة وزادت المساحة الزمنية المخصصة لآى الذكر الحكيم ، غير أن ما نشر عن برامج الإذاعة فى تلك الفترة بمجلة " الراديو المصرى " أو صحيفة " الأهرام " ، لم يفصح عن مضمون ما كانت تقدمه الإذاعة فى الأعوام من ١٩٣٤م وحتى ١٩٣٧م فى التلاوات المذاعة من آى الذكر الحكيم ، بينما أفصح ما كان ينشر من برامج الإذاعة آنذاك عن تعاقب القراء فى تقديم التلاوات الإذاعية ، وعندما كشفت برامج الإذاعة التى نشرت فى " الراديو المصرى " و" الأهرام " منذ بداية عام ١٩٣٨م مضمون التلاوات الإذاعية ، تبين أن الإذاعة اعتمدت فى تلك الفترة نظام تناوب القراء تقديم التلاوات بترتيب ورودها فى المصحف الشريف ، ولنضرب مثلاً هنا بتواتر القراءات فى الأيام الأخيرة من شهر يناير من عام ١٩٣٨م ، فقد قرأ الشيخ محمد أحمد العمروسى فى السابعة من صباح الأربعاء ١٩٣٨/١/٢٦م الربعين السابع والثامن من سورة " «التوبة » ، ثم تبعه الشيخ منصور الشامى الدمنهورى بقراءة ما تبقى من سورة "التوبة " وما تيسر له من سورة "يونس" فى السابعة والنصف من مساء نفس اليوم (١٩٣٨/١/٢٦م) ،

بينما قرأ الشيخ محمد عكاشة فى السابعة من صباح الخميس ٢٧/١/١٩٣٨م الربعين الثانى الثالث من سورة "يونس" ، هكذا كانت آيات القرآن تتوالى على أسماع مستمعى الإذاعة بأصوات المعتمدين من القراء وبوتيرة لم تكن تسمح آنذاك لأحد من القراء أن يسجل ختمة مجودة كاملة للإذاعة.

بين القاهرة والإسكندرية

استقرت الإذاعة المصرية منذ شهر سبتمبر من عام ١٩٣٨م على إسناد تلاوة صباح يوم الأحد من كل أسبوع الى الشيخ منصور الشامى، وفى شهر رمضان سنه ١٣٥٧هـ - الذى صادفت غرّته يوم الاثنين ٢٤/١٠/١٩٣٨م - انقطعت تلاوات الشيخ منصور من برامج الإذاعة ، وبما يوحى بأن الشيخ استقر خلال ذلك الشهر ببلده دمنهور ، حيث كانت جميع تلاواته التى أذيعت فى صباح الأحد تبث من مبنى الإذاعة بالقاهرة ، وقد عاد الشيخ بعد انقضاء الشهر الكريم فى تلك السنة الى موقعه فى تلاوة صباح الأحد من كل أسبوع ، وذلك بالإضافة الى تلاوة مسائية فى أحد أيام الأسبوع الأخرى ، ولم تلبث الإذاعة كثيراً حتى عدلت موعد تلاوة الشيخ منصور الأسبوعية لتكون فى صباح السبت من كل أسبوع ، وجاءت أول تلاوة للشيخ طبقاً للتعديل الأخير فى صباح السبت ٨/٧/١٩٣٩م، وكان بث التلاوة - وطبقاً لما نشر عن برامج تلك الفترة - من مقر الإذاعة بالقاهرة ، غير أن التلاوة التالية - والتى جاءت فى السابعة إلا الربع من صباح السبت ١٥/٧/١٩٣٩م - تضمنت فى ثناياها أهم ما ارتبطت به مسيرة الشيخ بعد ذلك فى دولة التلاوة ، حيث أذيعت تلك التلاوة على الهواء مباشرة من إحدى قاعات بث الإذاعة بالإسكندرية ، وهو ما نوهت عنه مجلة "الراديو المصرى" فى تقديمها لتلك

التـلاوة بقـولهـا : " قـرآن كـريم.. مـذاع من أسـتوديو الإسكندرية " (الراديو المصرى : العـدد ٢٢٥، ١٩٣٩/٧/٨م، ص١٨) ، هذا وقـد تضـمنت تـلاوة الشيـخ فى ذلك الصبـاح كـلا مـن الربعـين السـابع والثامن من سورة" البقرة " ، وفى الأسبوع التالى - وطبقاً للترتيب الذى اعتمـدتهاالإذاعـة آنذاك لتقـديم التـلاوات القـرآنيـة - جـاءت تلاوة الشيـخ منصور الثانيـة من (أسـتوديو) الإسكندرية متضـمنة للربعـين الخـامس والسـادس من سـورة " آل عـمـران " (الـراديو المصرى: العدد ٢٢٦، ١٩٣٩/٧/١٥م،ص ١٨٩).

غيرت الإذاعة خلال السنوات الأولي من عقد الأربعينيات كثيراً من مـوعـد التلاوة الأسبـوعية للشيـخ منصـور الشـامى الدمنهورى، ثم استقرت الإذاعة خلال النصف الثانى من عام ١٩٤٤م على بث تلاوة الشيـخ منصور الأسبـوعية من مـحطة الإسكندرية فى صباح يوم الأربعاء من كل أسبوع ، هـذا وقـد انقطعت تلاوات الشيخ عبر مـــحطة الإذاعـــة بالإسكندرية طوال عـــامىّ ١٩٤٦و١٩٤٧م ، واستعانت الإذاعة فى تقديم التـلاوات القرآنية المذاعة من محطة الإسكندرية خـلال تلك الفـقـرة - بقـراء جدد منهم الشـيخ عبـد المنعم عبد الغفار الدمنهورى والشيـخ حمزة عبد الفتاح الحلوانى ، هذا وقد عـاد الشيـخ منصـور الشـامى لتقـديم التـلاوات القـرآنيـة عبـر مـحطة الإسكندرية فى الأيام الأخيـرة من شهـر ديسمبـر عـام ١٩٤٧م ، وجـاءت التلاوة الأولى لـه بعد ذلك الانقطاع فـى السابعة من مسـاء الاثنين الموافق ١٩٤٧/١٢/٢٩م، حيث انطلق صـوته من مقـر الإذاعة بالإسكندرية فى ذلك المسـاء مرتلا سـورة " الدخان " ومـا تيـسـر له مـن سـورة " الجـاثيـة " فـى ثلاثين دقـيـقـة (الراديو المصـرى : العـدد٦٧٧، ١٩٤٧/١٢/٢٧م،ص ٢٠) ، ثم توالت تـلاوات الشيخ الإذاعيـة فيمـا بين عـامىّ١٩٤٨م و١٩٥٧م فى مـختلف أيام

الأسبوع وفى الصباح أو فى المساء ، وكان التنويه عنها فى برامج الإذاعة يأتى مسبوقاً دائماً بعبارة "من دار الإذاعة بالإسكندرية" .

يتضح مما سبق مدى ارتباط الشيخ منصور الشامى بمدينة الإسكندرية ، حيث أذاع من دار الإذاعة بها معظم تلاواته الإذاعية ، ولعل السبب الرئيسى فى ذلك هو إقامته الدائمة بالمدينة بعد إقراره قارئاً للسورة بمسجد سيدى أبى العباس المرسى فى عام ١٩٤١م كما ذكر الأستاذ محمود السعدنى (محمود السعدنى : المصدر السابق)، بالإضافة الى قرب الإسكندرية من مسقط رأسه فى دمنهور ؛ الا أن ذلك لم يحل دون تردد الشيخ على القاهرة بين الحين والآخر للمشاركة بتلاوة القرآن فى مختلف المناسبات ، ويأتى شهر رمضان فى مقدمة تلك المناسبات ، حيث كان الشيخ منصور الشامى يتردد بين القاهرة والإسكندرية لتلاوة القرآن فى سهرات الشهر الكريم، ولنضرب مثلاً هنا بما شارك فيه الشيخ من سهرات فى شهر رمضان من سنة ١٣٧٦هـ والذى وافقت أيامه شهر ابريل من عام ١٩٥٧م ، حيث نقلت الإذاعة فى فجر الخميس ٤رمضان ١٣٧٦هـ ٤/٤/١٩٥٧م) التلاوة التى قدمها الشيخ منصور الشامى فى مسجد الإمام الحسين بالقاهرة (الإذاعة : العدد ١١٥٠، ٣/٣/١٩٥٧م ، ص ٤٧) ، ثم تتابعت تلاوات الشيخ خلال شهر رمضان المعظم من سنة ١٣٧٦هـ ، وكانت على النحو التالى : تلاوة فى فجر الثلاثاء ٩رمضان (٩/٤/١٩٥٧م) وكانت من مسجد السيدة زينب رضى الله عنها بالقاهرة - ثم تلاوة فى فجر الاثنين الموافق ١٥رمضان (١٥/٤/١٩٥٧م) ونقلتها الإذاعة من مسجد العارف بالله المرسى أبو العباس بالإسكندرية .

آخر التلاوات

دأبت الإذاعة منذ إنشائها فى عام ١٩٣٤م على الإكثار من تقديم القرآن الكريم عبر برامجها خلال شهر رمضان ، حيث كانت تذاع طوال ليالى الشهر الكريم - وبعد صلاة العشاء - تلاوات كبار القراء التى جرى العرف منذ عام ١٩٤٧ م على تقديمها فى سرادق يقام بساحة قصر عابدين ، وبين الحين والآخر وفى بعض المناسبات الدينية - كليلة القدر مثلاً - كانت الإذاعة تقوم بنقل شعائر صلاة الفجر كاملة من أحد المساجد الجامعة ، والمعنى بشعائر صلاة الفجر هنا هو ابتهالات تسبق أذان الفجر وتعقبها تلاوة قرآنية ،ثم تختتم الشعائر بتلاوة قرآنية أخرى تعقب الأذان لتقام من بعدها الصلاة ، استمر هذا النظام حتى عام ١٩٥٤م ، وعندما بدأت الإذاعة منذ عام ١٩٥٤م فى نقل شعائر صلوات الفجر لجميع أيام شهر رمضان المبارك فى ذلك العام ، كان للشيخ منصور الشامى إسهام كبير فى إحياء تلك الشعائر طوال ما عاشه من أعوام الخمسينيات ، حيث قدم فى عام١٩٥٤م أربع تلاوات نوجز بيان تاريخها ومكانها على النحو التالى: الثلاثاء ١رمضان ١٣٧٣هـ (١٩٥٤/٥/٤م) بمسجد الإمام الحسين - الأحد ١٣رمضان (١٩٥٤/٥/١٦م) بمسجد السيدة زينب - الخميس٢٤رمضان (١٩٥٤/٥/٢٧م) بمسجد الإمام الشافعى والأربعاء ١شوال (١٩٥٤/٦/٢م) بمسجد الإمام الحسين، كانت التلاوات الأربع - التى نقلتها الإذاعة للشيخ منصور الشامى فى شهر رمضان من سنة ١٣٧٣هـ - جميعها من مساجد بالقاهرة ، ولم تبح سجلات برامج ذلك الشهر التى نشرت بمجلة " الإذاعة المصرية" بمضمون تلك التلاوات من آى الذكر الحكيم.

لم يتخلف الشيخ منصور الشامى فى أى عام من أعوام الخمسينيات - التى تلت عام ١٩٥٤م - عن السفر من الإسكندرية الى القاهرة فى شهر رمضان من كل عام ، ليشارك بصوته الندىّ فيما تنقله الإذاعة من شعائر لصلوات الفجر من مساجد القاهرة الكبرى ، حيث كان صوته البالغ الخشوع أصلح الأصوات لقراءة القرآن فى وقت الفجر بما يكتنفه من شفافية وسكينه ، وقد تصادف فى بعض تلك الأعوام أن نقلت الإذاعة شعائر صلاة فجر أحد أيام شهر رمضان من أحد مساجد الإسكندرية الجامعة ، فكان الشيخ منصور الشامى فى مقدمة من استعانت بهم الإذاعة لتلاوة القرآن فيما نقلته من شعائر صلاة الفجر من الإسكندرية ، ولنضرب مثلاً هنا بما قدمته الإذاعة للشيخ منصور الشامى من تلاوات خلال نقلها لشعائر صلوات الفجر فى شهر رمضان من سنة ١٣٧٦هـ ، فى ذلك الشهر قدمت الإذاعة ثلاث تلاوات للشيخ ، وفيما يلى نقدم تاريخ تلك التلاوات وأماكنها : فجر الخميس ٤رمضان ١٣٧٦هـ (١٩٥٧/٤/٤م) بمسجد الإمام الحسين بالقاهرة - فجر الثلاثاء ٩رمضان (١٩٥٧/٤/٩م) بمسجد السيدة زينب بالقاهرة وفجر الاثنين١٥رمضان (١٩٥٧/٤/١٥م) بمسجد المرسى أبى العباس بالإسكندرية ، ولم تقدم مجلة " الإذاعة " فى أعدادها الثلاثة من العدد (١١٥٠) والى العدد (١١٥٢) والتى تم التنويه فيها عن تلاوات الشيخ - أى معلومات عما قرأه الشيخ منصور الشامى فى تلك التلاوات من آى الذكر الحكيم .

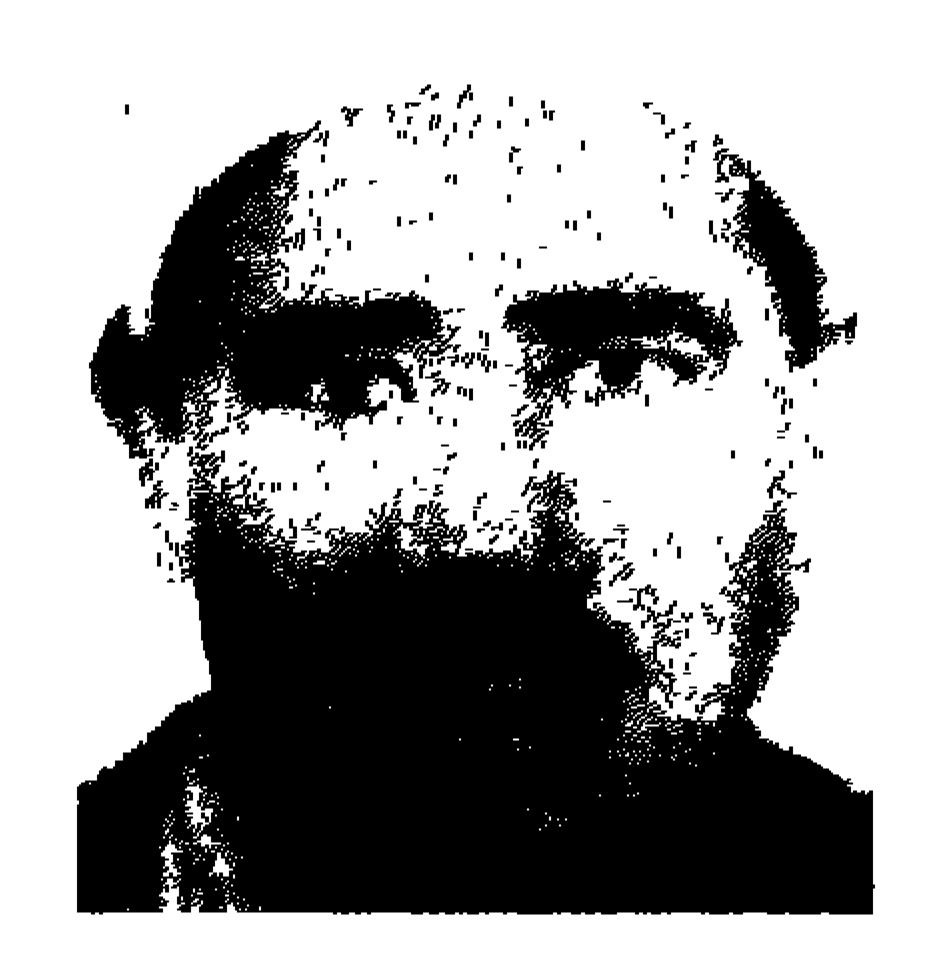
تكرر أمر تلاوات الشيخ منصور الشامى الثلاثة فى شهر رمضان من سنة ١٣٧٦هـ مرة أخرى وأخيرة فى شهر رمضان من سنة ١٣٧٨هـ ، حيث أذاعت له الإذاعة ثلاث تلاوات فيما نقلته من شعائر صلاة الفجر فى أيام ذلك الشهر ، وقد أذيعت اثنتان

منها من القاهرة ، وبث الثالثة - وهى آخر تلاوات الشيخ - من الإسكندرية ، كانت التلاوتان الأوليان للشيخ منصور الشامى فى ذلك الشهر على النحو التالى: ما تيسر من سورة " الرعد" فى فجر الثلاثاء ٨رمضان ١٣٧٨هـ (١٩٥٩/٣/١٧م) وقد أذيعت من مسجد السيدة زينب ، وما تيسر من سورة " الإسراء" فى فجر السبت ١٢رمضان (١٩٥٩/٣/٢١م) وجاءت إذاعتها من مسجد الإمام الحسين (الإذاعة : العدد ١٢٥٢،١٩٥٩/٣/١٤م ، ص ٤٥ و ٥٣) ، ثم كان موعد التلاوة الأخيرة للشيخ منصور الشامى فى فجر الاثنين ١٤رمضان ١٣٧٨هـ والموافق ١٩٥٩/٣/٢٣م فى مسجد الإمام البوصيرى بالإسكندرية ،ويومها قدم الشيخ منصور تلاوتين ،قرأ الشيخ فى الأولى منهما - وهى تلاوته قبل الأخيرة التى بدأت فى الثالثة وأربعين دقيقة - ما تيسر له من سورة " مريم " ، واختتم الشيخ تلاوته قبل الأخيرة فى الرابعة وإحدى عشر دقيقة من صباح الاثنين ١٤ رمضان ، ليعقبه الشيخ سيد عطية ندا بفاصل من الابتهالات ، وعندما فرغ الشيخ سيد ندا من رفع أذان الصلاة فى الرابعة وواحد وثلاثين دقيقة ، قدم الشيخ منصور الشامى آخر تلاواته ، والتى تضمنت ما تيسر له من قصار السور (الإذاعة : العدد ١٢٥٣ ، ١٩٥٩/٣/٢١م ، ص ٤٣) .

قفل الشيخ منصور الشامى عائداً الى دمنهور بعد تلاوته الإذاعية الأخيرة بمسجد الإمام البوصيرى ، حيث قضى بين أهله فى دمنهور أياماً ثلاثة ، قبل أن تصعد روحه إلى بارئها فى اليوم الرابع وهو يوم الخميس السابع عشر من شهر رمضان سنة ١٣٧٨هـ والموافق ١٩٥٩/٣/٢٦م ، لتخرج صحيفة " الأهرام " فى صباح الجمعة ١٩٥٩/٣/٢٧م حاملة فى صفحتها الحادية عشرة

نعى الشيخ من أسرته ،وقد جاء الآتى فى مقدمة النعى :" توفى الى رحمة الله تعالى علم من أعلام قراءة القرآن المرحوم الشيخ منصور الشامى الدمنهورى"، واختتم النعى بالجملة التالية :"وستشيع الجنازة ظهر اليوم بمسجد الطنّيخى بدمنهور والدوام لله " ، هكذا خرج منصور الشامى من أرض دمنهور ليعود اليها، وفى رحلته مع الحياة بين الخروج والعودة .. حقق التوازن الصعب بين عمومية الشهرة وخصوصية الإقليمية.

الفصل
السابع



عبد العظيم زاهر

الصادح الذهبى

اتخذ البشر الذهب عبر التاريخ مقياسا للثراء ومعيارا للنفاسة فمن الحلى وقطع العملة وحتى تغطية وحدات النقد للدول الغنية استحوذ الذهب على الاهتمام وخطف أبصار الأغنياء قبل الفقراء وجعلته الندرة واللمعة وصفاء اللون صفة لكل تميز فتحدث الناس عن الفتى الذهبى والقدم الذهبى والصوت الذهبى وإذا أعملنا خلاصة المقولة السابقة فى وصف أصوات قراء العصر الذهبى للتلاوة، لما اختلف أحد مع محمد سعيد لطفى باشا (مدير الإذاعة المصرية منذ إنشائها فى عام ١٩٣٥م وحتى نهاية عام ١٩٤٧م) عندما وصف القارئ الشيخ عبد العظيم زاهر بأنه (صاحب الصوت الذهبى) .

من مُجُول الى القاهرة

ولد الشيخ عبد العظيم زاهر فى يوم الاثنين الثانى والعشرين من شهر فبراير من عام ١٩٠٤م بقرية (مُجُول) وقرية (مُجُول) هى إحدى قرى مركز بنها بمحافظة القليوبية ويطلق أصلا عليها اسم (مُجُول الرمان) تلقى الفتى عبد العظيم بقريته التعليم المتاح لأبناء عامة المصريين فى ذلك العهد حيث ذهب الى كتاب القرية ليحفظ ما يتيسر له من القرآن ويتعلم مبادئ القراءة والكتابة وعندما أتم حفظ القرآن على يد شيخ الكتاب وهو فى الثامنة من عمره وكما ذكر أكثر من كاتب ومنهم أحمد البلك الذى أثبت ذلك فى كتابه (أشهر من قرأ القرآن فى العصر الحديث) ، ومن الواضح - وطبقا لما انتهى اليه أمر الفتى عبد

العظيم زاهر أن جمال صوته بدا واضحا فى أسماع شيخ الكتاب ووالده مما جعل الوالد يصطحب ولده الصغير الذى لم يبلغ العاشرة بعد الى القاهرة لإلحاقه بأول معهد لقراءات القرآن الكريم وقد كان مقره يقع آنذاك فى شارع الشيخ ريحان وقريبا من مقر الجامعة الأمريكية فتلقى الفتى القادم من مُجُول علوم القراءات فى المعهد على أيدى مجموعة من الشيوخ مثل الشيخ خليل الجنايني والشيخ حنفى السقا ليعمل تضافر عوامل جمال الصوت والحفظ الجيد للقرآن الكريم وإتقان القراءات المتواترة على خلق صوت لم تعرف دولة التلاوة مثيلا له فى عصرها الذهبى.

صوت من السماء

لم يشهد العصر الذهبى للتلاوة صوتا كصوت الشيخ عبد العظيم زاهر وهو صوت ينتمى الى فئة الصادح (التينور) العفى الذى يتفجر عنفوانا وقوة إن صوتا من تلك الفئة يتكون من ثمانى عشرة درجة موسيقية فى المتوسط،لم يكن يحتاج شيئا بعد حفظ القرآن الكريم سوى الصقل الذى تحقق فى معهد القراءات ليخرج إلى الناس كقارئ من كبار القراء فذاع صوته فى الإسماع من خلال المناسبات الدينية وسرادقات العزاء ، حتى أن محمد سعيد لطفى باشا : مدير الإذاعة منذ نشأتها فى عام ١٩٣٤م اسماه بصاحب الصوت الذهبى وقد تمايل الشيخ على محمود إعجابا وتأثرا عندما استمع إلى صوته ولعل أبلغ وصف لصوت الشيخ عبد العظيم زاهر هو قول الشيخ أبو العينيين شعيشع عنه أنه مزمار من مزامير داود ! (أحمد البلك : أشهر من قرأ القرآن فى العصر الحديث ، ص ٥٥).

الإذاعة والانطلاق

تحقـقت بدايات شهـرة الشيخ عبـد العظيم زاهر فى أواخـر العشـرينيات وخلال النصف الأول من ثلاثينيات القرن العشرين وهى فتـرة شـهدت ازدهـار واندثار الإذاعـات الأهليـة وشـهدت أيضـا ظهـور مـحطة الإذاعـة الحكومـيـة وقـد اسـتـعـانت بعض محطات الإذاعات الأهلية ببعض مشاهيـر القراء لتقديم فقـرات إذاعية تتضمن تلاواتهم لبعض آيات القرآن الكريم لذلك اتبعت مـحطة الإذاعـة الحكومـيـة منـذ بدء إرسـالهـا فى ١٩٣٤/٥/٣١م نفس النهج الذى استنته بعض محطات الإذاعات الأهلية حيث أفردت ومنذ أول يوم فى إرسالها - بداية برامجها اليومية لتلاوة القرآن الكريم واعتمدت فى ذلك على عدد محدود من القراء مـثل الشـيـوخ مـحـمـد رفعت ومـحـمـد عكاشـة وعلى حـزين ثم أضـافت الإذاعـة الى هؤلاء الأعـلام مـجـمـوعـة من القـراء الجـدد فيما بين شهرى فبراير وأبريل من عام ١٩٣٦م ، ومن هؤلاء نذكر الأسماء التالية : محرز محمد سليمان أمين صالح طه الفشنى ومحمد الصيفى وقد ذكر جميع من ترجموا للشيخ عبد العظيم زاهر أن بدايته مع الإذاعة المصرية كانت فى شهر فبراير من عام ١٩٣٦م (أحـمـد البلك) أو فى شـهـر أبريل من ذلك العـام (طارق خليل وشكرى القاضى) ولكن البحث فيما حفظته مجلة "الراديو المصرى" وصحيفة " الأهـرام" من برامج الإذاعة فى تلك الفتـرة كشف ذلك البـحث عن أن بداية الشـيـخ مع الإذاعـة لم تكن فى شـهـر فبـراير أو شـهـر أبريل من عـام ١٩٣٦م ، وإنما جـاءت تلك البـداية فى السـابعـة من صبـاح يوم الثـلاثاء ٩ صـفـر من سنة ١٣٥٦هـ والموافق ١٩٣٧/٤/٢٠م حيث قدمت الإذاعة الشيخ فى تلاوة من سورتى "الذاريات" و "الطور" ثم جاءت التلاوة الإذاعية

الثانية للشيخ فى التاسعة من صباح الجمعة ١٩٣٧/٤/٢٣م وتضمنت تلك التلاوة الربعين الأخيرين من سورة "الكهف" وأما التلاوة الثالثة للشيخ والتى شملت سورتى "القلم" و "الحاقة" فإنها أذيعت فى الخامسة والنصف مساء الاثنين ١٩٣٧/٤/٢٦م ومنذ تلك البداية ... نال أداء الشيخ اهتمام مستمعى الإذاعة وحبهم وليس هناك ما هو أدل على ذلك مما تضمنته الصفحة الثالثة عشرة من عدد صحيفة "الأهرام" الصادر فى يوم الأربعاء ١٩٣٧/١١/٣م من تنويه الإذاعة عن أن قرآن المغرب وأذان المغرب سوف يؤديهما الشيخ عبد العظيم زاهر وذلك إذا ثبت أن اليوم (أى يوم الأربعاء ١٩٣٧/١١/٣م) هو أول أيام شهر رمضان لسنة ١٣٥٦ هـ وعلى ذكر أذان الصلاة الذى سجله الشيخ للإذاعة ونكاد لا نستمع اليه الآن فقد استعانت به السينما المصرية فى واحد من أهم أفلامها وهو فيلم (فى بيتنا رجل) الذى صادف عرضه الأول يوم الاثنين ١٩٦١/٤/١٧م .

متناقضات

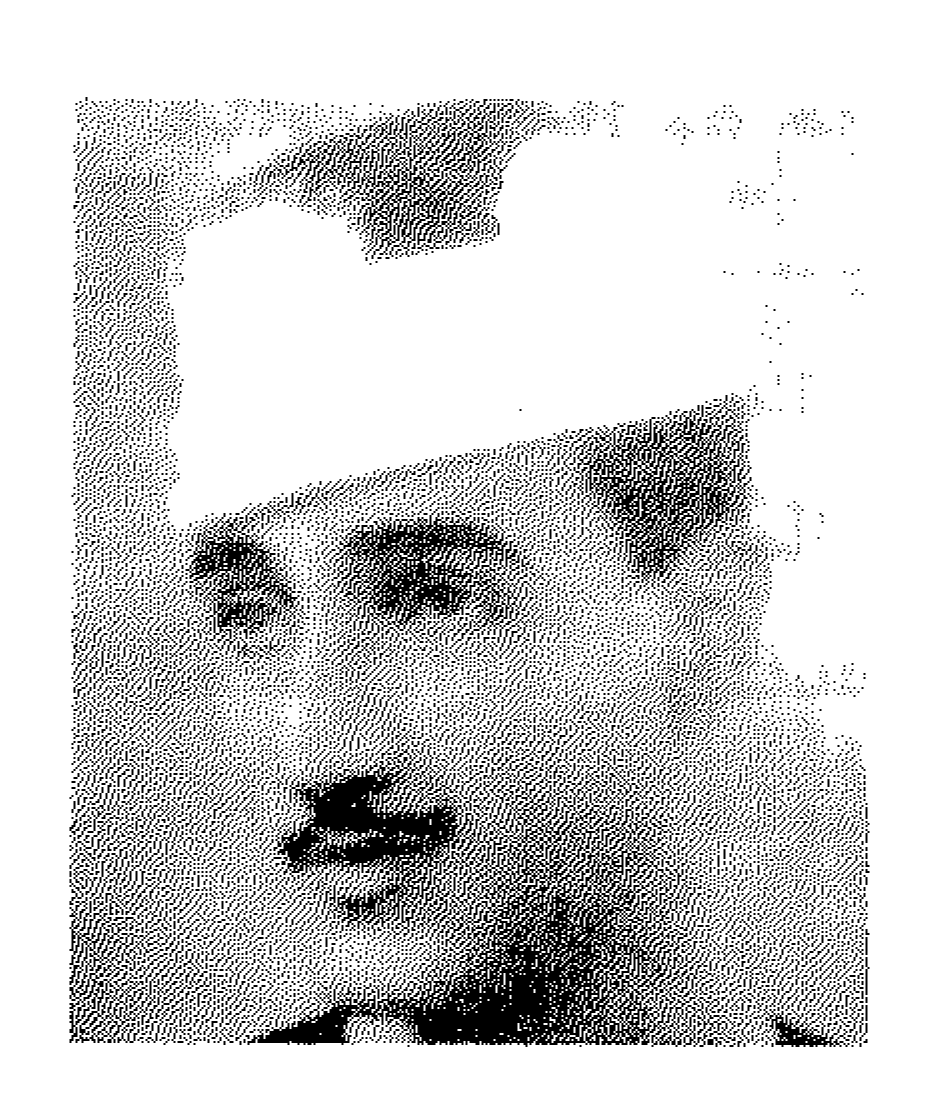
أوقف الشيخ عبد العظيم زاهر حياته على خدمة القرآن فبالإضافة الى تسجيلاته الإذاعية التى يمكن أن تغطى ختمة مجودة كاملة فانه عمل قارئا للسورة بمسجد محمد على بالقلعة منذ بدايته الموفقة ثم انتقل بعد ذلك ليعمل قارئا للسورة بمسجد صلاح الدين بحى المنيل وشارك الشيخ كثيرا فى بعثات وزارة الأوقاف التى كانت توجه الى دول العالم الإسلامى لإحياء شهر رمضان وبالطبع لم تخل المناسبات الدينية المختلفة داخل مصر من مشاركات الشيخ لقد امتدت رحلة الشيخ مع كتاب الله لأكثر من ثلاثين عاما ويبلغ العجب بالمرء المنتهى إذا علم أن تلك الرحلة لا يتداول

بالأسواق الآن من تسجيلاتها سوى عدد لا يجاوز عدد أصابع يد واحدة ، إن المتاح من تسجيلات تلاوات الشيخ فى الحفلات الخارجية يتمثل فيما تيسر له من سور "الحج" - "الأنبياء" - "الزمر" - "القمر" - "الرحمن" -"القصص" - "مريم" و "يوسف" فأين ذهبت عشرات بل مئات التسجيلات لتلاواته بالإذاعة أو من الحفلات ؟ فهل من مجيب ؟ لقد قيل أن السبب فى ذلك ربما يكمن فى الطريقة الجافة التى تعامل بها الشيخ مع الناس والحياة بصفة عامة ولكن ... ألا يشفع له أنه كان حافظا جيدا للقرآن ولم يخطئ قط كما قال عنه الشيخ على محمود وأثبته أحمد البلك فى كتابه المشار اليه قبلا (ص ٥٥).

وقد بلغ التناقض مع الشيخ مداه عند رحيله فقد لقى الشيخ عبد العظيم زاهر وجه ربه فى يوم الثلاثاء الثامن من ذى القعدة سنة ١٣٩٠ هـ والموافق ١٩٧١/١/٥م وصلى على جثمانه الطاهر بعد صلاة ظهر يوم الأربعاء ١٩٧١/١/٦م فى مسجد عمر مكرم بالقاهرة ، ثم ورى جثمانه الثرى بعد ذلك فى مسقط رأسه بقرية مُجُول إن هذه المعلومات عن رحيل الشيخ وجنازته لم تنشر بصحف ذلك العهد ولكنها جاءت فى نعى الأسرة الذى نشر بالصفحة التاسعة فى عدد الأربعاء ١٩٧١/١/٦م من صحيفة "الأهرام" ، بينما نشرت الأهرام فى عدد الخميس ١٩٧١/١/٧م - وهو اليوم التالى لجنازة الشيخ زاهر- صورة على الصفحة الأولى لبطل العالم السابق فى الملاكمة للوزن الثقيل سونى ليستون وذلك بمناسبة وفاته فى اليوم السابق إن منح اسم الشيخ وسام الجمهورية من الطبقة

الأولى فى عام ١٩٩١م لا يكفر بحال عما لقيه الرجل من إهمال ولكن نشر تلاواته الفذة بين الأجيال الحالية المحاصرة بأصوات قراء لا يصلحون حتى لقراءة القرآن فى المآتم يعد التكريم الأمثل لصاحب صوت ذهبى لن تجود بمثله الأيام فى عصرنا هذا .

الفصل الثامن



محمد فريد السنديوني

شجو التلاوة

بين الشـجن والحـزن فـرق طفـيف لا يكاد المرء يدركـه ، فالشـجن فى المعاجم هو الحزن ، والحزن كذلك هو ما غمّ وأهمّ، وإن ما يفـرق بينهـمـا هو أن الحـزن يعنـى ما قـرّ فى النفس و سكن فى القلب ، بينما يـرتبط الشجن فى المعاجم أيضاً بالطرب ، حيث يقال شجت الحمامة أى رددت صوتها، وشجاه الأمر أى أطربه ، إننـى ما وجدت بين قـراء العصر الذهبى للتلاوة من أشـجى المسـتـمعين بصـوته كما أشـجاهم محـمـد فـريد السنديونى .

البداية فى سنديون

تقع قـرية سنديون الـى شـمـال مـدينة قليـوب بحوالـى سـبـعـة كيلومترات ، وهـى إحدى قرى مركز قليوب بمحافظة القليوبيـة ، وتشـتـهـر سنديون فى مـصـر بقمـحـهـا ،حيث يعمل غـالب أهلهـا بالـزراعـة ، ومـن أهل سنديون العـاملين بالـزراعـة حـسن على السـمنى ، الذى رزق فى ١٦ / ٩ / ١٩١٦ م بمولود أسـمـاه عـبـد العظيم ، (شكرى القـاضى عبـاقـرة التـلاوة ،ص ٩٨ - ٩٩) ، وإن كان هنـاك من يذكر أن تاريخ مـيلاد عـبـد العظيم يرجع الى عام ١٩١٣ م أو عــام ١٩١٢ م ، ومن هـؤلاء بعض المواقع على شـبـكة (الانترنت) والكاتب الكبيـر محمود السعدنى (محـمود السـعدنى : ألحـان السـمـاء ، ص ٥٤) ، شب الطفل عـبـد العظيم فى أسـرة تحب القـرآن الكريم ، شـأنهـا فى ذلك شـأن مـلايين الأسـر من بسطاء المصريين من فـلاحـين وعـمـال وطبقـة مـتوسطة ، ألحق

حسن السمنى ابنه عبد العظيم - كدأب عامة المصريين - بكتّاب القرية لحفظ القرآن ، فأتم الصبى عبد العظيم حفظ القرآن بقراءة حفص على يد الشيخ محمود أبو زيد فى كتّاب سنديون ، ثم أخذ بقية القراءات السبع عن الشيخ صالح البازرجى فى قرية طنان القريبة من قرية سنديون (شكرى القاضى : المصدر السابق) ، وقد لفت الفتى عبد العظيم أسماع أهل سنديون بجمال صوته وهو يتلو آى الذكر الحكيم ، وعندما توفى حسن السمنى فى مطلع الثلاثينيات ، آنذاك قارب عبد العظيم على نهاية العقد الثانى من عمره أو جاوزه قليلاً ، وكانت شهرته فى قراءة القرآن قد غطت سنديون والقرى المجاورة ، فانتقل الى القاهرة كرغبة والدته لاستكمال تعليمه الدينى ، ولكنه توجه - مدفوعاً بميول موسيقية لا نعلم سبباً واضحاً لها - لدراسة الموسيقى بالمعهد الملكى للموسيقى العربية بشارع الملكة نازلى بالقاهرة (شارع رمسيس حالياً) ، حيث أتقن العزف على العود وتلقى دروساً فى الغناء على أعلام ممن زها بهم المعهد فى ذلك العهد من أمثال الشيخ درويش الحريرى ومصطفى بك رضا وصفر بك على ، فصقل ذلك موهبته الفطرية فى تلاوة القرآن بما اكتسب من وعى بالمقامات الموسيقية وعلاقة ذلك بالتطريب الصوتى.

المطرب الشيخ

شهدت مصر منذ بداية القرن العشرين تحول بعض الدارسين بالأزهر الى مجالات فنية عدة وبالأخص الغناء ، ومن هؤلاء نذكر الشيوخ محمد عبد الرحيم المسلوب ويوسف المنيلاوى وسيد الصفتى وأحمد إدريس ، على أن هناك مجموعة أخرى من الشيوخ احترفت الغناء الى جانب تلاوة القرآن ، ومن هؤلاء القارئ المعروف الشيخ عبد الهادى ناصف ، فقد نشرت مجلة

"الصباح" بالصفحة الثامنة والعشرين من عددها رقم (٢٢١) الصادر فى ١٩/١٢/١٩٣٠م وتحت عنوان " استقالة " ما يلى : " استقال الشيخ عبد الهادى ناصف أحد مطربى فرقة الماجستيك من العمل بالفرقة استعدادا للسفر الى العراق وبعض الأقطار الشرقية ، وقد عزم قبل سفره على زيارة بعض مدن الوجه القبلى لإحياء بعض الحفلات بها قبل سفره " ، ويبدو أن الأمور لم تجر كما خطط لها الشيخ عبد الهادى ناصف ، حيث طالعتنا "الصباح" فى عددها رقم (٢٢٦) الصادر فى ٢٣/١/١٩٣١م بخبر عنوانه " عبد الهادى ناصف " ، وكان نص الخبر كما يلى : " اتفق صاحب ومدير سينما الكوزموجراف ببورسعيد مع الشيخ عبد الهادى ناصف ليطرب الحضور كل ليلة طوال شهر رمضان وثلاثة أيام العيد "، ومن ذلك يتضح لنا أن مشروع رحلة المطرب الشيخ الى العراق والأقطار الشرقية لم يكتب له النجاح ، مما دفع المطرب الشيخ لقبول الاتفاق مع صاحب سينما الكوزموجراف ببورسعيد ، وبالرغم من أن أمر احتراف الشيخ عبد الهادى ناصف للغناء كان معروفاً للجميع ، إلا أن صوتاً فى ذلك العهد لم يرتفع لا بالاعتراض ولا بالتكفير عندما احترف الشيخ تلاوة القرآن فى المناسبات والاحتفالات ، أو عندما اعتمدته الإذاعة بين قرائها وقدمته لأول مره عبر برامجها فى السابعة إلا خمس دقائق من صباح يوم الخميس الموافق ١٤ / ٨ / ١٩٤١م ، وظلت الإذاعة تقدم تلاواته طوال عقد الأربعينيات ، إن استحضار تلك الأحداث الآن لما يساعد على فهم أسباب عبد العظيم حسن السمنى فيما اتخذ من قرارات مصيرية أثرت على مسيرة حياته منذ أن استقر فى القاهرة .

توزع اهتمام عبد العظيم السمنى خلال النصف الثانى من

عقد الثلاثينيات - وأثناء إقامته بالقاهرة - بين دراسة الموسيقى والغناء وتلاوة القرآن ، وقد جاء احترافه للغناء - تماماً مثل الشيخ عبد الهادى ناصف - سابقاً لعمله بتلاوة القرآن ، حيث اعتمدته الإذاعة المصرية كمطرب أولا فى بداية عام ١٩٣٩ م ،وقدمته لأول مرة فى وصلة غنائية أذيعت فى السادسة والنصف من مساء يوم الثلاثاء الموافق ١٩٣٩/٤/١١م ، وجاء تقديم الإذاعة لوصلة المطرب الجديد فى مجلة " الراديو المصرى " على النحو التالى : " ٦,٣٠ (مساء) الأستاذ محمد فريد السنديونى وفرقته - حفلة غنائية - منولوج (يا فجر بيّن جمالك) - تأليف الأستاذ نعيم مصطفى وتلحين الأستاذ فريد السنديونى " (الراديو المصرى : العدد ٢١٢ ، ٨ / ٤ / ١٩٣٩ م ، ص ٢٠) ، ومن الواضح أن اسم محمد فريد السنديونى كان اسماً مستعاراً أو للشهرة ، ومن السهل أيضاً القول بأن أسباب عبد العظيم السمنى لاتخاذ هذا الاسم كانت متعددة ، منها أن لقب السنديونى يعبر عن ارتباطه واعتزازه بموطن أسرته ، ومنها أيضاً ما يقول به البعض الآن من أن تلقبه باسم محمد فريد إنما كان تيمناً بالزعيم محمد فريد ، والذى يرى البعض أيضاً أن هناك ثمة أوجه تشابه فى الملامح تربط بين الزعيم وعبد العظيم ، وأيا ما كانت الحقيقة فى ذلك ، فإن ما حققه عبد العظيم السمنى من شهرة قد ارتبط منذ ظهوره الأول باسم محمد فريد السنديونى الذى سيعرف به حتى آخر يوم فى حياته وفيما بعد مماته .

قبل أن ينقضى الشهر الثانى بعد الظهور الأول للمطرب الأستاذ محمد فريد السنديونى - و بنص تقديم الإذاعة له - بثلاثة أيام ، فاجأت الإذاعة مستمعيها بتقديم القارئ الشيخ محمد فريد السنديونى ولأول مرة قبل ربع الساعة من السابعة

فى صباح الأربعاء ١٩ ربيع الآخر سنة ١٣٥٨هـ والموافق ١٩٣٩/٦/٧م ، قدمت الإذاعة القارئ الجديد بالصفحة الثالثة والعشرين فى العدد رقم (٢٢٠) من مجله " الراديو المصرى" الصادر فى ٣/٦ /١٩٣٩م بالنص التالى : "٦,٤٥ (صباحاً) :الشيخ محمد فريد السنديونى - قرآن كريم - الربعان الثانى والثالث من سورة (الفرقان) ، والشيخ السنديونى مقرئ جديد على برامجنا ، نقدمه آملين أن يحوز رضاء حضرات المستمعين " ، وحتى لا يكون هناك لبس فى فهم أى شىء يرتبط بتاريخ الإذاعة الأولى للشيخ السنديونى ، فإن مجلة " الراديو المصرى " وعلى نفس الصفحة من العدد رقم (٢٢٠) - وهى الصفحة رقم ٢٣ - قدمت صورة للشيخ السنديونى جالساً أمام ميكروفون الإذاعة بشكله المميز آنذاك ، وكان نص تعليق المجلة تحت الصورة كما يلى : "المقرئ الجديد الشيخ محمد فريد السنديونى الذى يذيع لأول مرة تلاوة آى القرآن الكريم فى الساعة ٦,٤٥من صبيحة يوم الأربعاء " ، ومن المهم أن نذكر هنا أن الإذاعة أعادت تقديم الأغنية الأولى لمحمد فريد السنديونى فى العاشرة والربع من صباح الثلاثاء ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٥٨هـ والموافق ٢/٥ / ١٩٣٩م ، وبما يعنى أن الإذاعة قد تعاملت معه كمطرب وقبل شهر واحد من تقديمها له كقارئ ، ولم يكن فى ذلك غضاضة أو خروج على المألوف فى عرف الإذاعة أو المؤسسات الدينية .

احتل الشيخ محمد فريد السنديونى - منذ تلاوته الأولى - مكاناً مميزاً بين قراء الإذاعة ، الذين كان منهم الكبار من أمثال الشيوخ : محمد رفعت -على محمود - عبد الفتاح الشعشاعى - منصور الشامى الدمنهورى - محمد عكاشة - عبد العظيم زاهر و طه الفشنى ، وإلى جوارهم مجموعة من القراء الجدد ضمت

أسماء مثل الشيوخ : زكى محمد شرف - عبد العزيز الدرينى - زكى سيد عبد العال و محمد أحمد العمروسى ، وقد تعددت أسباب هذا التميز ، فمنها قدرته على التنغيم والتطريب خلال التلاوة والتى اكتسبها بدراسته للموسيقى والغناء ، ولنضرب مثلا هنا على ذلك تلاوته الرائعة لسورة " المعارج " ، والتى جاءت على نغمة النهاوند ، فكانت الى جانب ذلك آية فى تجويد آى القرآن الكريم من حيث مخارج الحروف وصفاتها وأحكام التفخيم والترقيق والإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب والوقوف والابتداء وغير ذلك من فنون ترتيل القرآن التى يعلمها المشتغلون بهذا الفن السماوى ، فإذا ما أضفنا لذلك خليطاً من الوحشة والأسى والحزن أكسب صوته شجناً لا مثيل له بين جميع أعلام قراء العصر الذهبى للتلاوة ، لعلمنا أى صوت طلع به الشيخ محمد فريد السنديونى على الناس فى الأيام الأخيرة من عقد الثلاثينيات ، فالتف الناس حول صوت تميز بوقع خاص فى الأسماع لا يقاربه فيه صوت آخر .

مفاجأة ثانية

حملت الأيام الأخيرة من شهر يناير من عام ١٩٤٠م ثانى مفاجآت الشيخ محمد فريد السنديونى ، ففى يوم الأربعاء الموافق ٢٤/١/١٩٤٠م ، افتتح الشيخ السنديونى برنامج الإذاعة فى السابعة إلا خمس دقائق صباحاً بتلاوة ما يتيسر له من القرآن الكريم ، وشملت تلك التلاوة الربعين الخامس والسادس من سورة " البقرة " ، وكانت مدة التلاوة نصف ساعة ، وفى العاشرة من مساء نفس اليوم (الأربعاء ٢٤ / ١ / ١٩٤٠م)... قدمت الإذاعة حفلة غنائية للمطرب والملحن صلاح حسن ، وتضمنت تلك الوصلة مونولوجاً بعنوان " قرب الحبيب" ، هذا وقد

نوهت المجلة فى برنامجها الى أن المونولوج من تأليف الأستاذ محمد فريد السنديونى ومن تلحين وغناء الأستاذ صلاح حسن (الراديو المصرى : العدد ٢٥٣ ، ٢٠ / ١ / ١٩٤٠م ، ص ٢٤) ، بعد ذلك نوهت المجلة عن ثلاثة أعمال غنائية من تأليف الشيخ السنديونى فى إعلانها عن حفلتين غنائيتين قدمهما المطرب والملحن صلاح حسن عبر ميكروفون الإذاعة فى مساء الخميس ٨ / ٨ / ١٩٤٠م ، حيث تضمنت الوصلة الأولى التى بدأت فى التاسعة وعشر دقائق من مساء تلك الليلة عملين غنائيين للشيخ محمد فريد السنديونى ، وهما " موال وطنى " ودور "يا ريت يا قلبى تنسى غرامك " ، بينما تضمنت الوصلة الثانية لصلاح حسن فى تلك الليلة طقطوقة " يا قلبى اصبر وانت تنول "، وهى أيضا من تأليف الشيخ السنديونى (الراديو المصرى : العدد ٢٨١ ، ٣ / ٨ / ١٩٤٠م ، ص ٢٠).

من القاهرة ليافا

احتل الشيخ محمد فريد السنديونى مكانة بين كبار القراء بالإذاعة ، وهو ما عبرت عنه تلاوته للقرآن فى إذاعة أسبوعية كانت تقدم فيما بين يومى الاثنين والخميس ، بالإضافة الى قيامه برفع أذان الصلاة من دار الإذاعة وعلى الهواء مباشرة كما جرت العادة حتى نهاية الأربعينيات ، ودأبت الإذاعة على تقديم تلاوات الشيخ السنديونى فى المناسبات المهمة مثل عيد الجلوس الملكى و الأعياد والمناسبات الإسلامية ، وذلك خلال السنوات الأولى من عقد الأربعينيات ، لقد حملت تلك التلاوات الإذاعية صوت الشيخ وعبرت به حدود مصر ليصل إلى أسماع محبى تلاوة القرآن فى دول كثيرة ، فأحب الناس فى تلك الدول سماع

تلاواته الشجية لآيات القرآن الكريم ، مما دفع بعض الإذاعات العربية لمحاولة التعاقد معه لإذاعة تلاواته عبر برامجها ، وقد نجحت إذاعة الشرق الأدنى - والتى كانت تبث إرسالها من مدينة يافا الفلسطينية - فى التعاقد مع الشيخ السنديونى لتلاوة القرآن الكريم فى برامجها ، حدث ذلك فى الأيام الأخيرة من شهر شعبان لسنه ١٣٦٢هـ والذى وافق شهر أغسطس من عام ١٩٤٣م ، وقد اهتمت مجلة " الراديو المصرى " بالإعلان عن ذلك التعاقد فى أحد أعدادها وتحت صورة للشيخ ، وكان نص تعليق المجلة تحت صورة الشيخ السنديونى كما يلى : " الشيخ محمد فريد السنديونى يتلو من آى الذكر الحكيم صباح الأربعاء (٢٤ شعبان ١٣٦٢هـ والموافق ٢٥ / ٨ / ١٩٤٣م) قبل سفره الى محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية ،حيث يتلو القرآن فى رمضان المعظم " (الراديو المصرى : العدد ٤٤٠ ، ٢١ / ٨ /١٩٤٣م ، ص ١٤).

امتدت إقامة الشيخ السنديونى بمدينة يافا لما يقرب من سبعة أشهر بعد انقضاء شهر رمضان فى تلك السنة ، حيث عاد لتلاوة القرآن بإذاعة القاهرة فى مطلع شهر جمادى الأولى من سنة ١٣٦٣ هـ، ولم تمتد إقامة الشيخ السنديونى بالقاهرة كثيراً بعد عودته من رحلته الأولى الى فلسطين ، حيث شد رحاله الى يافا مرة أخرى خلال عام ١٩٤٤م ، ولم يعرف على وجه التحديد تاريخ بدء رحلته الثانية من خلال المتاح من أدبيات تلك الفترة ، و أنما تم الاستدلال على تلك الرحلة بقرائن ثلاث ، أولها ما ذكره الأستاذ محمود السعدنى فى كتابه " الحان السماء " عن استدعاء السلطات الإنجليزية للشيخ السنديونى ليقرأ - وبصوره دائمة - فى إذاعة الشرق الأدنى بفلسطين (ص ٥٣) ، وتتمثل القرينة الثانية فى انقطاع تلاواته تماماً من برامج الإذاعة المصرية منذ

صيف عام ١٩٤٤وحتى ربيع عام ١٩٤٨م ، وتجيء القرينة الثالثة فى الاستدلال على استقرار الشيخ السنديونى بفلسطين مما توافر من معلومات عما كان يقدمه الشيخ من تلاوات عبر أثير إذاعة " الشرق الأدنى " ، فقد كانت مجله " الراديو المصرى " تخصص حوالى صفحتين من أعدادها لنشر برامج إذاعة " الشرق الأدنى" الأسبوعية ، وقد وجد فى برنامج الأسبوع الذى بدأ بيوم الأحد ٥ / ٢ / ١٩٤٨م وانتهى بيوم السبت ١١ /١٢/ ١٩٤٨م ، وجد أن إذاعة " الشرق الأدنى " قدمت الشيخ السنديونى فى تلاوات قرآنية - فى الصباح والمساء - جاءت فى أيام الأحد و الاثنين والأربعاء والخميس والجمعة.

تغير الأحوال

امتدت إقامة الشيخ السنديونى بفلسطين حتى الأيام الأولى من شهر مارس ١٩٤٨م ، حيث عاد فى أحد تلك الأيام الى القاهرة ، ولسنا نعلم على وجه اليقين السبب الحقيقى لتلك العودة ، وإن كان ذلك يمكن أن يعزى -على الأرجح - الى ما غشى أرض فلسطين من إرهاب عصابات اليهود بعد صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين فى ٢٩ نوفمبر من عام ١٩٤٧م ، وقد أعلنت الإذاعة عن أول تلاوة للشيخ بعد عودته للقاهرة بالصفحة الثانية والعشرين من العدد (٦٧٨) من مجلة " الإذاعة المصرية " والصادر فى ١٣ / ٣ / ١٩٤٨م ، تضمنت التلاوة التى أذيعت فى الثامنة والنصف من صباح يوم الجمعة ١٩/٣/ ١٩٤٨م ما تيسر من سورة " الأنبياء ".

لم تكن أحوال دولة التلاوة بمصر فى عام ١٩٤٨م ، وعندما عاد الشيخ السنديونى بعد إقامته الطويلة بفلسطين ، تماماً كما كانت قبل سفره ، آنذاك .. كانت الإذاعة قد سلخت أكثر من عام

فى ظل إدارة وطنية خلفت الإدارة الأجنبية ، وقد أحدثت الإدارة الوطنية العديد من التغييرات فيما أرسته الإدارة الأجنبية من نظم ، ومن ذلك ابتداع فكرة لجنة اختبار القراء بالإذاعة ، وهى لجنة تضم بعض الشيوخ بالإضافة الى بعض مسئولى الإذاعة ، وقد اسند الى تلك اللجنة مهمة اختبار أصوات المتقدمين - من القراء الجدد لتلاوة القرآن عبر ميكروفون الإذاعة - فى إلمامهم بالقراءات والموسيقى ، ويعزى الى تلك اللجنة كثرة من أجازتهم من قراء، لا يرقى مستوى معظمهم بحال الى الآفاق التى حلقت فيها أصوات من ظهروا - حتى ذلك العام - من كبار القراء أمثال الشيوخ محمد رفعت و على محمود و عبد الفتاح الشعشاعى ومنصور الشامى الدمنهورى ، إن نظرة الى أسماء قراء الأسبوع الذى عاد فيه الشيخ السنديونى الى برامج إذاعة القاهرة سوف تكشف حجم التغير الذى ألم بنوعية القراء المعتمدين لدى الإذاعة ، كان قراء ذلك الأسبوع فى فترتى الصباح والسهرة وبترتيب إذاعاتهم على النحو التالى : الشيخ محمود مصطفى الشرقاوى - الشيخ محمد عكاشة - الشيخ منصور الشامى الدمنهورى - الشيخ زكى محمد شرف - الشيخ محمود عبد الحكم - الشيخ أبو العينين شعيشع - الشيخ عبد الرحمن الدروى - الشيخ محمد الصيفى - الشيخ محمد فريد السنديونى - الشيخ محمد السعودى - الشيخ محمد قنديل والشيخ طه الفشنى ، إن نصف هذا العدد من القراء ظهر فى برامج الإذاعة بعد رحيل الشيخ السنديونى الى فلسطين ، وبالرغم من أن بعض هذه الأسماء لم يضف الى تاريخ دولة التلاوة شيئاً سوى اسمه ،إلا أن أسماء قراء آخرين ممن لم تقدمهم الإذاعة فى أسبوع عودة الشيخ السنديونى ، من أمثال الشيوخ : مصطفى إسماعيل ـ كامل يوسف البهتيمى

ومحمود خليل الحصرى ، والذين جاءت بداياتهم مع الإذاعة بعد انتقال الشيخ السنديونى الى إذاعة «الشرق الأدنى» ، كانوا قد بلغوا مصاف النجوم فى دولة التلاوة خلال فترة غياب الشيخ فى فلسطين ، و اعتمدت الإذاعة عليهم - وبشكل كبير - فى برامجها اليومية وفى برامجها الخاصة بالاحتفالات الدينية و السياسية ، ومن هنا يمكن فهم أسباب ما لقيه الشيخ السنديونى من الإذاعة بعد عودته من فلسطين فى عام ١٩٤٨م ، فقد انقطعت تلاوته من برامج الإذاعة بعد تلاوة يوم الجمعة ١٩ / ٣ / ١٩٤٨م ، ودام ذلك الانقطاع لأكثر من عام ، كانت أول تلاوة رصدت للشيخ السنديونى بعد تلاوته الوحيدة فى عام ١٩٤٨م ، كانت لما تيسر له من سورة " البقرة " ، وقد أذيعت فى السابعة من صباح الاثنين ١١ / ٤ / ١٩٤٩م ، وتلتها على فترات متباعدة - تصل فى بعض الأحيان لأكثر من شهر- ست تلاوات ، أذيعت آخرها فى صباح يوم الأحد الموافق ٢٧ / ١١ / ١٩٤٩م ، سبع تلاوات قدمتها الإذاعة فى عام ١٩٤٩م لقارئ بدأ معها قبل عشر سنوات ، وذاعت شهرته فى مصر والبلاد العربية ، بينما تقدم لكثير من القراء - ممن لم يعد يذكرهم أحد الآن وقبل ذلك - تلاوة أسبوعية ، وتقدم لبعض المشاهير ممن بدأوا بعد الشيخ السنديونى بسنوات - وعلى رأسهم الشيخ مصطفى إسماعيل - تلاوتين أسبوعيتين ! .

لم يقف إهمال الإذاعة للشيخ السنديونى عند حد تقديمه فى حوالى تلاوة شهرية واحدة كما حدث فى عام ١٩٤٩م ، بل مضت الإذاعة تباعد بين تلاوات الشيخ عبر برامجها ، حتى بلغ الفاصل الزمنى بين تلاواته فى عام ١٩٥٠م ما يقرب من أشهر ثلاثة، جاء ذلك متزامناً مع إجازة لجنة جديدة لاختبار القراء لأعداد كبيرة

من القــراء الجـدد ، ولم يقف الأمـر عند ذلك ، بل بدأت مـجلة " الإذاعة المصرية " - وهى لسان حال الإذاعة والمتحدث الرسمى عنها - منذ أواخر عام ١٩٥٠م فى نشر إعلانات لقراء من غير المعتمدين بالإذاعة على صفحاتها ، فى مثل تلك الأجواء التنافسية ، كان حصول الشيخ السنديونى - العائد من فلسطين - على أكثر من تلاوة شهرية واحدة يعد ضربا من المحال .

الطريق للنهاية

لم يختلف معدل تقديم تلاوات الشيخ السنديونى فى برامج الإذاعة خلال عامىّ ١٩٥١م و ١٩٥٢م كثيراً عما رصد بعد عودة الشيخ من فلسطين ، ففى عام ١٩٥١م ... بلغ عدد تلاوات الشيخ بالإذاعة ثمانى تلاوات ، بينما زاد هذا العدد ليصبح تسع تلاوات فى عام ١٩٥٢م ا، على انه من المهم أن نتوقف هنا عند حدثين مهمين وقعا خلال هذين العامين ، أولهما أن التلاوة الثالثة للشيخ السنديونى فى عام ١٩٥١م - والتى تضمنت ما تيسر من سورة " النحل " - أذيعت فى السادسة والنصف من مساء الثلاثاء ٢٧ / ٣ / ١٩٥١م، وفى اليوم التالى (أى الأربعاء ٢٨ / ٣ / ١٩٥١م) قدمت الإذاعة ولأول مرة القارئ الجديد - آنذاك - الشيخ عبد الباسط محمد عبد الصمد ، لينضم - ومنذ تلاوته الأولى - الى نجوم الطبقة الأولى من القراء ، بينما تمثل الحدث الثانى فيما حدث فى مساء الخميس ١٤ شعبان سنة ١٣٧١هـ والموافق ٨ / ٥ / ١٩٥٢م ، ليلتها - وكانت ليلة النصف من شعبان - قدمت الإذاعة الشيخ السنديونى فى فاصل من القصائد والتواشيح الدينية ، وقد أذيع ذلك الفاصل فى الثامنة وعشر دقائق من مساء ذلك اليوم ، كانت تلك هى المرة الأولى التى تقدم فيها الإذاعة الشيخ كمبتهل ووشاح ، وجاء ذلك فى عهد زها

بالكبار من تلاميذ الشيخ على محمود من أمثال الشيوخ طه الفشنى وكامل يوسف البهتيمى وعبد السميع بيومى ، وبالرغم من ذلك استمر تقتير الإذاعة - كما سلف القول - فى تقديم تلاوات الشيخ ، مما كان يعنى التضييق فى بابى الرزق والشهرة .

تحالفت التغيرات التى ألمت بدولة التلاوة - ممثله فى كثرة النجوم و أشباههم من القراء - مع سياسة الإذاعة ، كى تقف حجر عثرة فى طريق عودة الشيخ السنديونى الى الشهرة التى عرفها قبل سفره الى فلسطين ، و إزاء ضيق الرزق المتمثل فى تباعد الفترات بين ما يتلقاه من الإذاعة كمقابل لكل تلاوة ، لم يكن هناك بد من البحث عن باب للرزق ، وقد أجمع كل من تحدثوا عن الشيخ على أنه - ولاجل ذلك - افتتح مقهى فى حى شبرا بالقاهرة (محمود السعدنى : المصدر السابق) ، وانفرد شكرى القاضى بين من كتبوا عن الشيخ بالقول بأنه افتتح مقهى آخر فى مدينة تلا بمحافظة المنوفية !(شكرى القاضى : عباقرة التلاوة ، ص ٩٨ ـ ٩٩) ، وأيا ما كانت الحقيقة فى ذلك ، فإن الشيخ السنديونى أراد بذلك أن يحتج بشكل غير مباشر على ما لقيه من إهمال وجحود لموهبته و ريادته .

لم يمكث الشيخ السنديونى طويلاً فى مقام صاحب المقهى ، إذ سرعان ما وافته المنية فى شتاء عام ١٩٥٢م ، كما قال بذلك محمود السعدنى فى كتاب " ألحان السماء " ، بينما اختلف ما أورده الكاتب الصحفى شكرى القاضى عن وفاة الشيخ كثيراً عما أثبته الأستاذ السعدنى ، حيث أكد شكرى القاضى على أن وفاة الشيخ حدثت فى يوم ٢٦ / ٩ / ١٩٥٥م ، وبالبحث فى أعداد صحيفة " الأهرام " لعامى ١٩٥٢م و١٩٥٥م لتحديد التاريخ الدقيق لرحيل الشيخ ، لم يسفر البحث عن أى خبر أو نعى للشيخ

فى أعداد الصحيفة طوال شتاء عام ١٩٥٢م ، ولم تكن مفاجأة كذلك أن شهر سبتمبر من عام ١٩٥٥م لم يشهد رحيل الشيخ السنديونى ، ولكن المفاجأة جاءت من أن يوماً مقارباً لما ذكره شكرى القاضى - وهو يوم الأربعاء ٢٨ / ٩ / ١٩٥٥م - شهد رحيل شيخ القراء : الشيخ محمد الصيفى !!.

الفصل
التاسع



أبو العينين شعيشع

عاشق الصبا

هو الوحيد الباقى على قيد الحياة حال الفراغ من آخر سطور هذا الكتاب من نجوم العصر الذهبى لدولة التلاوة ، مد الله فى عمره ، ولا يكاد المستمع الى إبداعات نجوم ذلك الجيل من تلاوات قرآنية يجد بينهم من هو أشد تحزناً فى قراءته لآى الذكر الحكيم من الشيخ أبو العينين شعيشع ، وقد يعزى تحزنه فى تلاواته الى ما لازمه من حزن لوفاة والده وهو بعد طفل صغير ، وربما يرجع طابع الحزن الذى يغلف معظم قراءاته الى كثرة عروجه الى مقام الصبا خلال أدائه ، ومقام الصبا أو مقام المراثى والأحزان كما يسميه البعض هو أحد مقامات عائلة البياتى ، وهى عائلة تغرق فى الحزن والشجن ، وبالرغم من كثرة أجناسها ، إلا أن مقام الصبا ينفرد فيها بالانطواء وضيق المجال ، مما يجعله الأقرب بين مقامات الموسيقى الشرقية أو العربية للتعبير عن الحزن والأسى .

منابع الحزن

ولد أبو العينين أبو شعيشع أبو العينين إبراهيم فى عام ١٩٢٢م بمدينة بيلا فى محافظة كفر الشيخ (عبد الحفيظ سعد : مذكرات شيخ القراء أبو العينين شعيشع ، الحلقة الأولى ، الأهرام المسائى ، ٢٠٠٩/٩/٣م ، ص ١٢) ، وهنا فإن ما ذكره الشيخ أبو العينين بمذكراته عن تاريخ ميلاده يتفق مع ما ذكره كل من الكاتبين أحمد البلك وشكرى القاضى فى كتابين لهما (أحمد البلك : أشهر من قرأ القرآن فى العصر الحديث ، ص ٩٤ -١٠٢، شكرى القاضى : عباقرة التلاوة ، ص ١٢٦ - ١٢٩)، وإن اختلف ذلك كثيراً مع ما ذكرته مجلة " الراديو المصرى " فى معرض

تقديمها للشيخ أبو العينين ، حيث ذكرت أنه " ولد ببيلا فى مديرية الغربية (محافظة كفر الشيخ حالياً) سنة ١٩١٨» (الراديو المصرى: العدد ٢٧٦ ، ١٩٤٠/٦/٢٩م ، ص ٥) ، وبالرغم من قرب تاريخ حديث المجلة مما أثبتته من تاريخ لمولد الشيخ ، إلا أن الشيخ أبو العينين أكد لى فى حديث هاتفى أجريته معه بعد ظهر يوم الأربعاء ٢٣ شعبان سنة ١٤٣١هـ (٢٠١٠/٨/٤م)، على أن ميلاده يرجع الى عام ١٩٢٢م ، وأكد لى صحة اسمه الكامل المثبت هنا ، وقال أنه أبدل اسم والده من أبو شعيشع إلى شعيشع ، وذلك ليكون أخف وقعاً على أذن المستمع ، ولتجنب تكرار الاسم (أبو) بين الابن والأب .

كان الطفل أبو العينين هو الأخير بين اثنى عشر طفلاً رزق بهم أبو شعيشع أبو العينين الموظف الصغير بإدارة الرى فى بيلا ، وبالرغم من كثرة أولاده ، فقد أحاط الأب طفله الأصغر بالكثير من الرعاية والتدليل ، حتى أنه ألحقه بالمدرسة الابتدائية وهو فى السادسة من عمره دون المرور بالكتاب ، ونستطيع الآن أن نتخيل مقدار ما سكن قلب الصبى أبو العينين من حزن عندما توفى والده وهو بعد فى التاسعة من عمره ، وهو حزن صبغ صوته ولازم أداءه فيما بعد لما يتلو من قرآن (عبد الحفيظ سعد : المصدر السابق) .

فى الوحدة الوطنية

جاء اكتشاف مواهب الصبى أبو العينين فى تلاوة القرآن خلال دراسته بالمدرسة الابتدائية ، ويروى الشيخ أبو العينين قصة ذلك الاكتشاف فى حديث ذكرياته بقوله : " مدرستنا كانت مدرسة أهلية ، كنا لا نأخذ إلا أجزاء صغيرة من القرآن ، ولكنى كنت القارئ المعتمد للمدرسة فى قراءة القرآن الكريم كل صباح وفى

الحفلات ، ومن المفارقات أن الذى كان أول مكتشف لصوتى ناظر المدرسة ، وهو الأستاذ منير جرجس ، نعم مسيحى ، ولم يكن ناظر المدرسة فقط ، بل كانت المدرسة ملكه لانها خاصة ، وكان يداوم على استمرار قراءة القرآن وحفظ التلاميذ للقرآن " (عبد الحفيظ سعد : مذكرات شيخ القراء أبو العينين شعيشع ، الحلقة الثانية ، الأهرام المسائى ، ٢٠٠٩/٩/٤م ، ص ١٠) ، ومن الغريب حقاً أن لحظة التحول الحاسمة فى حياة الشيخ أبو العينين والتى سلك فيها طريق القرآن وتلاوته جاءت على يد ذلك الناظر المسيحى !.

ففى ذات يوم من عام ١٩٣١م ... قامت مجموعة من أعيان بيلا بزيارة للمدرسة ، وكانت قراءة القرآن عند مقدم الضيوف مما أرسى الأستاذ منير جرجس من نظام بمدرسته ، وعندما قرأ الصبى أبو العينين الذى بلغ آنذاك التاسعة من عمره ما تيسر له من القرآن أمام الضيوف وكما أمره ناظر المدرسة وصاحبها ، كان حزن صوته الجميل أكثر ما جذب انتباههم فى تلاوته ، وأمن الجميع على مقترح الأستاذ منير جرجس بضرورة أن يحفظ الصبى أبو العينين القرآن ، وقرن الناظر القول بالفعل ، باصطحابه الضيوف لزيارة والدة أبو العينين ، حيث انتزعوا موافقتها على خروج ابنها الصغير من المدرسة إلى الكتاب، حيث أتم حفظ القرآن في كتاب الشيخ يوسف شتا في عامين.

من بيلا للإذاعة

احترف الشيخ أبو العينين قراءة القرآن بعد ختمه بالكتاب فى المآتم والمناسبات ببيلا وما حولها من قرى ، حيث كان يصحب أخاه الأكبر : الشيخ أحمد – وهو قارئ للقرآن أيضاً لإحياء تلك المناسبات ، وقد أخذ عن أخيه الشيخ أحمد فنون التجويد وأحكامه ، واكتملت

عناصر النجومية فى تكوينه بتلقيه أسرار مقامات الموسيقى العربية عن تاجر من مدينة شربين ، وهو ما أثبته الشيخ أبو العينيين بقوله : " وأول من علمنى المقامات فى البداية كان الشيخ سالم السبع تاجر غلال من شربين ، وهو أول من دربنى والتقطت منه تفاصيل المقامات " (أسامة الرحيمى : حوار مع الشيخ أبو العينيين شعيشع ، الأهرام، ١٥/٨/٢٠١٠م ، ص٢٩) ، وقد تدرج أجر تلاواته من خمسين قرشاً حصل عليها فى أول مرة قرأ فيها القرآن ببلدته بيلا ، حتى بلغ أجره أربعة جنيهات كاملة ، حصل عليها عندما أحيا مأتم شقيق صلاح الدسوقى فى قرية ميت شنتنا عياش الواقعة عند المدخل الجنوبى لمدينة المحلة الكبرى ، وصلاح الدسوقى هو أحد الضباط الأحرار وعمل كمحافظ للقاهرة فى السنوات الأولى لثورة يوليو .

عمل نجاح الشيخ أبو العينين فى تلاواته الأولى داخل بيلا و فى القرى المحيطة بها أو القريبة منها ، على انتشار اسمه فى عواصم الإقليم ، فمن بيلا الى طنطا والمحلة الكبرى والمنصورة وحتى بور سعيد مضى القارئ الصغير خلال العامين الأخيرين من عقد الثلاثينيات فى القرن العشرين ينتزع الإعجاب والاستحسان ، حتى قادته موهبته وما تحقق له من شهرة ونجاح فى موطنه لقراءة القرآن فى القاهرة ، حدث ذلك خلال النصف الأول من عام ١٩٤٠م ، وليس فى عام ١٩٣٩م كما ذكر الشيخ أبو العينين فى حديث ذكرياته الى " الأهرام المسائى " (عبد الحفيظ سعد : المصدر السابق) ، دعى الشيخ آنذاك لقراءة القرآن فى مأتم الشيخ محمد الخضرى ، وهو أحد كبار علماء الأزهر وتربطه صلة نسب بأسرة الشيخ أبو العينين ، فلما انطلق صوت الشيخ أبو العينين فى العزاء بآى الذكر الحكيم ، أقام السرادق ولم يقعده بجمال صوته وإحكام تلاوته ، وقد تصادف يومها أن

كان الشيخ عبد الله عفيفى بك بين الحضور فى سرادق العزاء ، والشيخ عبد الله عفيفى بك هو إمام الحضرة الملكية أو إمام الملك فاروق ، فاقترح إمام الملك على القارئ الشاب أن يتقدم للإذاعة ، وبالفعل ... قرن الشيخ عبد الله عفيفى بك القول بالعمل ، فاصطحب الشيخ أبو العينين معه الى الإذاعة وقدمه الى رئيس الإذاعة آنذاك محمد سعيد باشا لطفى ، هذا وقد اجتاز الشيخ أبو العينين اختباراً عقد له بعد تلك المقابلة أمام لجنة اختبار القراء ، فلما اجتاز الاختبار بنجاح ، قدمته الإذاعة لمستمعيها من خلال مجلة " الراديو المصرى " ، وجاء تقديم المجلة للقارئ الجديد تحت عنوان " الشيخ أبو العينين شعيشع فى برنامج الأسبوع " وبالنص التالى: " تقدم الشيخ شعيشع الى الإذاعة فوجدنا فى صوته القوى المليء فى رخامة وحلاوة وفى حسن أدائه وإلمامه بأحكام القرآن وتفهمه لمعانيه ما ينبئ له بمستقبل عظيم كمقرئ ذى شأن يرضى عنه حضرات المستمعين إن شاء الله ، وسيذيع فى برامجنا لأول مرة فى صباح الثلاثاء (١٩٤٠/٧/٢م)" (الراديو المصرى : العدد ٢٧٦ ، ١٩٤٠/٦/٢٩م ، ص ٥) ، هذا وقد عدلت الإذاعة لأسباب لا نعلمها توقيت الإذاعة الأولى للشيخ أبو العينين لتصبح فى السابعة إلا خمس دقائق من صباح الأربعاء٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥٩هـ والموافق ١٩٤٠/٧/٣م ، وقد تضمنت التلاوة الإذاعية الأولى للشيخ أبو العينين والتى جاءت فى نصف الساعة الربعان الأول والثانى من سورة " النمل"، هذا وقد جاءت التلاوة الإذاعية الثانية للشيخ أبو العينين فى السابعة إلا خمس دقائق من صباح الأربعاء الموافق ١٩٤٠/٧/٣١م ، حيث تضمنت تلاوته الإذاعية الثانية ما تيسر له من سور " الجن " و " المزمل " و " المدثر ".

البقاء للأجمل !!

لم يكن الشيخ أبو العينين شعيشع وحده من أجازته لجنة اختبار القراء فى صيف عام ١٩٤٠م ، ولكنها أطلقت الى الأسماع خلال شهرى أغسطس وسبتمبر من ذلك العام خمسة من القراء الجدد ، وهم طبقاً لترتيب ظهورهم : الشيخ عبد العزيز السيد حريى الشيخ أحمد سرور الشيخ إبراهيم عيسى الشيخ محمد قنديل والشيخ عبد الله كامل المحلاوى، لقد استمر البعض من هؤلاء القراء يذيعون تلاوات قرآنية عبر أثير الإذاعة لسنوات طوال ، إلا أن أحداً منهم لم يصل الى عُشر مِعُشار ما حققه الشيخ أبو العينين شعيشع فى دولة التلاوة .

أوتى الشيخ أبو العينين شعيشع صوتاً من أجمل وأقوى الأصوات التى ظهرت فى دولة التلاوة خلال عصرها الذهبى الأخير ، صوت ينتمى فى أوج تألقه وبمقامات تبلغ حوالى ديوانين الى فئة الصادح (التينور) ، ويصطبغ صوت الشيخ أبو العينين بمسحة حزن واضحة لا تخطئها أذن ، مما يجعله دائم التعريج فى تلاواته على نغمة الصبا ومن بعدها نغمة الراست ، يلون بهما تلاواته الفذة التى لا يجد المستمع نظيراً لها بين تراث نجوم العصر الذهبى لدولة التلاوة ، ومما لا شك فيه أن الشيخ يستند فى ذلك الى نفس تتذوق الموسيقى ، وهو ما عبر عنه فى حديث ذكرياته الى " الأهرام المسائى " بقوله : " أنا مفتون بكل لحن جميل وصوت جميل ، وكنت دائم الاستماع للألحان بتاعة فريد الأطرش وعبد الوهاب ومحمد فوزى " (عبد الحفيظ سعد : مذكرات شيخ القراء أبو العينين شعيشع ، الحلقة الثامنة ، الأهرام المسائى ، ٢٠٠٩/٩/١٠م، ص ١٢) ، إن فى تلاوة واحدة للشيخ من سورة " آل عمران " من الآية (٣٣) وحتى الآية (٤٧)

الكفاية لبيان ما لصوته من قيمة ، حيث بدأ الشيخ تلاوته وصوته يجلجل بنغمة الصبا بصورة أفقدت مستمعيه أى قدرة على التحكم فى انفعالاتهم ، فانطلقت أصواتهم بالآهات ، وبلفظ الجلالة (الله) يمدونها ملحنة من النغمة التى يقرأ بها الشيخ أبوالعينين ! ، وبالرغم من أن فى ذلك خروج على السنن والآداب الواجبة فى سماع القرآن ،إلا أن تغنى الشيخ أبو العينين بالآيات جعل مستمعيه يفقدون القدرة على التماسك وضبط انفعالاتهم ، وبالرغم من ذلك ... كان الشيخ أبو العينين قارئاً مثالياً عالماً بالقراءات ، وحجة فى فنون القراءة من إعطاء الحروف حقها من إشباع المدّ وتحقيق الهمز وإتمام الحركات وتوفية الغُنّات وتفكيك الحروف ، حتى عدّ البعض صوته أقرب الأصوات الى صوت الشيخ محمد رفعت ، وهو ما كان ماثلاً أمام قيادات الإذاعة عندما استعانوا به لاستكمال وترميم ما ظهر للشيخ محمد رفعت من تسجيلات بعد رحيله فى عام ١٩٥٠م.

استقرت الإذاعة خلال ما تبقى من أشهر عام ١٩٤٠م وفى عام ١٩٤١م على بث تلاوات الشيخ أبو العينين فى صباح أو مساء يوم الأربعاء من كل أسبوع ، قدمت الإذاعة خلال شهر رمضان من سنة ١٣٥٩هـ -والذى وافقت غرته يوم الخميس ٣/١/١٩٤٠م - جميع المعتمدين لديها من قراء ، كان القارئ فى أى من أيام ذلك الشهر يقيم بالإذاعة منذ صلاة الظهر وحتى بعد صلاة العشاء ، حيث يرفع القارئ الأذان لجميع صلوات اليوم ، ثم يقدم تلاوة قرآنية يبلغ زمنها نصف الساعة قبل أذان مغرب اليوم ، ويرجع ذلك الترتيب الى أن الإذاعة لم تكن تعرف تسجيل المواد الإذاعية فى تلك المرحلة من تاريخها ، وحده الشيخ أبو العينيين شعيشع بين المعتمدين من القراء الذى لم تقدمه الإذاعة فى ذلك الشهر ،

فلما انقضى شهر رمضان لسنة ١٣٥٩هـ ، عاد الشيخ أبو العينين لتقديم تلاواته بالإذاعة ، وجاءت تلاوته الأولى بعد فترة الانقطاع التى صاحبت شهر رمضان في الثامنة من مساء الأربعاء ١٩٤٠/١١/٦م ، وقد تضمنت الربعين التاسع والعاشر من سورة "البقرة" (الراديو المصرى: العدد ٢٩٤ ، ١٩٤٠/١١/٢م ، ص ١٦) ، على أن الأمر اختلف تماماً فى شهر رمضان التالى وهو شهر رمضان من سنة ١٣٦٠هـ ، والذى وافقت غرته يوم الاثنين١٩٤١/٩/٢٢م ،كانت الإذاعة قد نوهت بالعدد رقم (٣٤٠) من مجلة " الراديو المصرى " وفى الصفحة الخامسة عن قراء شهر رمضان ، حيث نشرت صوراً لستة قراء تحت عنوان " مقرئو رمضان " ، وهم الشيوخ : على محمود محمد رفعت طه الفشنى عبد العظيم زاهر أبو العينين شعيشع ومحمود محمود هاشم ، وفى أول أيام الشهر الكريم (الاثنين ١٩٤١/٩/٢٢م) ، رفع الشيخ أبو العينين أذان صلوات اليوم من الظهر الى العشاء ، وقرأ قرآن المغرب فى الخامسة وعشرين دقيقة من مساء ذلك اليوم ، هذا وقد بلغ عدد ما أذاع الشيخ أبو العينين فى ذلك الشهر من تلاوات وطبقاً لما نشر بأعداد مجلة " الراديو المصرى " التى صدرت فى شهر رمضان من تلك السنة أربع عشرة تلاوة ، واختتم الشيخ أبو العينين ذلك المهرجان الرمضانى من التلاوات بتلاوة قدمها فى السابعة من مساء ثالث أيام عيد الفطر لتلك السنة (الخميس ١٩٤١/١٠/٢٣م) .

إلى فلسطين

ذاع اسم الشيخ أبو العينين شعيشع وانتشر بين محبى سماع القرآن مجوداً فى مصر وما حولها من دول ، وذلك بعد إذاعاته الأولى ، فى تلك الأيام من صيف عام ١٩٤٠م ... كانت معارك

الحرب العالمية الثانية تستعر فى مناطق شتى ، مما دفع الجيش البريطانى لإنشاء إذاعة فى مدينة يافا الفلسطينية والخاضعة آنذاك للانتداب البريطانى ، كان الهدف من إنشاء تلك الإذاعة متمثلاً فى بث أخبار الحرب واستقطاب أسماع شعوب المنطقة ، ولتحقيق ذلك ...عين قائد الجناح شمس الدين مارساك مديراً للمحطة ، وهو نيوزيلندى من ضباط الجيش البريطانى ، وقد عمل كضابط سياسى فى عدن لمدة ثمانية أعوام ، وعندما نقل الى القاهرة مع اندلاع معارك الحرب العالمية الثانية ، أشهر إسلامه على يد علماء الأزهر ، وقد عمل المستر مارساك منذ بدء بث إذاعة الشرق الأدنى على اجتذاب النجوم فى مجالات الأدب والفن والدين الى برامج الإذاعة الوليدة ، فاستمع الناس فى فلسطين والمنطقة عبر برامج إذاعة الشرق الأدنى الى عمالقة الأدب من أمثال الأساتذة طه حسين وعباس محمود العقاد وفؤاد صروف ومحمد عبد القادر المازنى ، كذلك شنفت الإذاعة آذانهم بألحان وغناء الأقطاب من أمثال رياض السنباطى وفريد الأطرش وفتحيه أحمد وصالح عبد الحى ونجاة على (الراديو المصرى : العدد ٤٢٣ ، ١٩٤٣/٤/٢٤م ، ص ٧) ، وفيما يعد استمراراً لتلك السياسة ... وقع اختيار المستر مارساك والقائمين على إدارة إذاعة الشرق الأدنى على الشيخ أبو العينين شعيشع لتقديمه فى برامجها ، وذلك بعد ما سمعوه وسمعه الناس من تلاواته وعلى الأخص ما بث منها فى شهر رمضان لسنة ١٣٦٠هـ ،وقد جرى الاتفاق بين الإذاعة والشيخ على انتقاله الى يافا حيث مقر الإذاعة بعد انتهائه من تنفيذ تعاقده مع الإذاعة المصرية لإحياء ليالى شهر رمضان لسنة ١٣٦١هـ.

انقطعت تلاوات الشيخ أبو العينين شعيشع فى برامج الإذاعة

المصرية بعد انتهاء شهر رمضان ١٣٦١هـ ومنذ بداية الأسبوع الذى بدأ بيوم الأحد ٨ شوال ١٣٦١هـ والموافق ١٩٤٢/١٠/١٨م ، وذلك إثر سفره الى مقر إذاعة الشرق الأدنى بيافا ، وجاءت الإشارة الى عودة الشيخ من فلسطين فى صورة إعلان نشر بالصفحة السابعة من العدد رقم (٤١٣) من مجلة " الراديو المصرى " والصادر فى١٩٤٣/٢/١٣م ، وكان نص الإعلان الذى جاء تحت صورة للشيخ وهو يعتمر طربوشاً كما يلى : " غاب عن مستمعيه وقتاً طويلاً قضاه فى فلسطين ، حيث كان يذيع القرآن الكريم من محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية بيافا ، وقد لاقى استحساناً وإقبالاً عظيمين هناك ، وها هو ذا يعود الى محبى فنه فى مساء الأربعاء " ، كان الأربعاء المعنى فى الإعلان هو يوم الأربعاء ١٩٤٣/٢/١٧م ، ولكن الشيخ لم يعد الى برامج الإذاعة فى ذلك التاريخ كما نوه الإعلان ، كانت الإذاعة خلال عامى ١٩٤٢و ١٩٤٣م وخلال غياب الشيخ أبو العينين فى فلسطين قد اعتمدت وأطلقت مجموعة من القراء الجدد ، نذكر منهم كل من الشيوخ : صلاح عبد الله وفا عبد الرحمن محمد الدروى زكى سيد عبد العال رمضان سالم عبد العظيم الخياط محمد يوسف القشلان محمود شعبان الإسكندرانى وعبد اللطيف كامل ، لقد مر معظم أصحاب تلك الأسماء بدولة التلاوة دون أن يتركوا ولو أثر ضئيل ، وبالرغم من ذلك كانت الإذاعة تقدمهم باستمرار خلال الأشهر التى أعقبت تاريخ نشر الإعلان السابق عن عودة الشيخ أبو العينين ، ودون أى إشارة الى عودة صوت الشيخ أبو العينين الى برامج الإذاعة ، تلك العودة التى تأخرت لتسعة أشهر كاملة !، حيث جاءت عودة الشيخ الى برامج الإذاعة فى الثامنة من مساء الثلاثاء الموافق ١٩٤٣/١١/١٦م ،

حيث قرأ ليلتها وفى نصف ساعة ما تيسر له من سورة " الأعراف " ، وقد جاء الإعلان عن تلك التلاوة بالصفحة الثالثة عشرة من العدد رقم (٤٥٢) من مجلة " الراديو المصرى " الصادر فى ١٢/١١/١٩٤٣م ، كان نص الإعلان عن عودة الشيخ الى برامج الإذاعة كما يلى : " الشيخ أبو العينين شعيشع يتلو آى الذكر الحكيم مساء الثلاثاء " ، ووضع نص الإعلان أسفل صورة للشيخ وهو واقف مرتدياً بدلة ومن فوقها بالطو ويضع طربوشاً على رأسه ويمسك بمسبحة .

توالت تلاوات الشيخ أبو العينين بعد ذلك فى برامج الإذاعة فيما تلا يوم الثلاثاء ١٦/١١/١٩٤٣هـ من أسابيع ، وإن كانت تجئ فى توقيتات مختلفة ، حيث لم يستقر فى يوم معين أو فترة معينة (صباحاً أو مساء) ، ثم انقطعت تلك التلاوات مرة أخرى فى الأيام الأخيرة من عام ١٩٤٣م ، لتخرج مجلة" الراديو المصرى " فى عددها رقم (٤٦١) الصادر فى ١٥/١/١٩٤٤م بخبر تتصدره صورة الشيخ أبو العينين بالبدلة والبالطو والطربوش ، وكان نص الخبر كما يلى : " الشيخ أبو العينين شعيشع يعود للقراءة فى برامجنا بعد غيبة طويلة قضاها فى فلسطين ، حيث كان يذيع القرآن الكريم من محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية بيافا ، وقد لاقت إذاعاته نجاحاً واستحساناً كبيرين " ، إن تأمل ما كانت تنشره مجلة " الراديو المصرى " من أخبار عن عودة الشيخ من فلسطين يكشف عن عدة حقائق ، أولها أن الشيخ أبو العينين هو أول نجم من نجوم القراء فى العصر الذهبى لدولة التلاوة يخرج ليذيع تلاواته من خارج الحدود المصرية أو من إذاعة الشرق الأدنى بيافا ، ومن تلك الحقائق أيضاً أن تكرار ذهاب الشيخ الى فلسطين أثر على انتظام تلاواته عبر برامج

الإذاعة المصرية ، وأما أهم تلك الحقائق فانه يتمثل فى أن ما استنه قراء مصر من طريقة لتجويد القرآن وقراءته قد اكتسبت أرضاً جديدة وأسماعاً متزايدة ، لقد تجلت الحقيقة الأخيرة وتمثلت فى أنصع صورة على أرض العراق فى عام ١٩٤٨م ، فى ذلك العام ذهب الشيخ أبو العينين شعيشع والشيخ عبد الفتاح الشعشاعى الى العراق لإحياء مأتم الملكة عالية ، وهى زوجة الملك عبد الله غازى ، ملك العراق الذى توفى فى ١٩٣٩/٤/٤م ، ووالدة الملك فيصل الثانى ، ملك العراق الذى قتل فى أحداث ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨م ، ولندع العالم العراقى الدكتور حسين على محفوظ يصف لنا ما حدث فى مأتم الملكة العراقية ، يقول العالم العراقى عن ذلك : " وجاءنا قارئان من مصر لإحياء ليالى المأتم : الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى والشيخ أبوالعينين شعيشع ، فأعجب الناس بهما إعجاباً شديداً استحال الى محاكاة وتقليد للأداء المصرى ، وهجر القراء العراقيون طريقتهم المأثورة " (د. محمود الطناحى : الشيخ مصطفى إسماعيل وقراء مصر ، الهلال ، يوليه ١٩٩٢م ، ص ٤٣) .

اعتمدت الإذاعة فى عام ١٩٤٤م نظاماً جديداً لتقديم تلاوات الشيخ أبوالعينين شعيشع فى برامجها ، حيث جعلت تلك التلاوات تتوالى مرة فى صباح الأحد من أسبوع ثم تعقبها تلاوة أخرى فى مساء الثلاثاء من الأسبوع التالى ، وكان تعاقب تلاوات الشيخ فى تلك الفترة طبقاً لما اتبعته الإذاعة من نظام ، وهو نظام كان يقضى بتعاقب القراء فى الصباح والمساء على تلاوة آيات القرآن الكريم وطبقاً لترتيب السور فى المصحف ، وبما يعنى أن قارئاً فى ذلك العهد لم تتح له فرصة لتسجيل ختمة مجودة كاملة .

كان البث المباشر فى النصف الأول من عقد الأربعينات شيئاً

نادراً فى برامج الإذاعة ، وبالرغم من ذلك كانت الإذاعة تبث وعلى الهواء بعض الاحتفالات الدينية من مساجد أو قصور بالقاهرة ، وقد كانت أول تلاوة تبثها الإذاعة للشيخ أبو العينين شعيشع فى إحدى المناسبات هى التلاوة التى قدمتها له الإذاعة فى صبيحة أول أيام عيد الأضحى المبارك لسنة ١٣٦٣هـ (الأحد ١٩٤٤/١١/٢٦م) ، وبعد إذاعة صلاة العيد وتكبيراته من مسجد الفتح بالقاهرة (الراديو المصرى : العدد ٥٠٦ ، ١٩٤٤/١١/٢٥م ، ص ١٢) ، ثم أتبعت الإذاعة ذلك بإذاعة مشاركة أخرى للشيخ أبو العينين فى مناسبة أخرى بعد ثلاثة أسابيع من الأولى ، حيث أذاعت له الإذاعة تلاوة قرآنية من مسجد الإمام الحسين (رضى الله عنه) بالقاهرة عقب صلاة فجر السبت غرة المحرم سنة ١٣٦٤هـ ، وبالطبع كانت المناسبة هى احتفال الإذاعة بعيد الهجرة النبوية الشريفة .

مع ثورة يوليو

كم من الخطايا ألصقها البعض بثورة يوليو، وهى بريئة منها براءة الذئب من دم إبن يعقوب ، ومن ذلك ما ردده البعض فى عهد الرئيس الراحل أنور السادات من أن ثورة يوليو منعت إذاعة تلاوات الشيخ أبوالعينين فى الإذاعة ، وذلك بحجة أن الشيخ أبو العينين كان قارئاً للملك فاروق ، وقد تصدى الأستاذ السعدنى رحمه الله لتلك الشائعة بالتكذيب في كتابه «ألحان السماء»، حيث أكد أن الشيخ أبو العينين لم يكن قارئ الملك ، وأكد الأستاذ السعدنى على أن من يستحق لقب قارئ الملك هو الشيخ مصطفى إسماعيل (ص ٦٧) ، وقد عاد الشيخ أبو العينين شعيشع الى شائعة المنع هذه مرة أخرى فى حديث ذكرياته الذى أعده عبد الحفيظ سعد ونشر بصحيفة " الأهرام المسائى " فى شهر

رمضان الماضى (١٤٣٠هـ)، فقال الشيخ عن ذلك : " كثر الكلام حول علاقاتى بثورة يوليو وأنهم منعونى من القراءة لأنى كنت قارئ الملك فاروق ، ولكن الحقيقة أنا أول قارئ يقرأ للثوار بعد قيام الثورة ، ونظمت فيها احتفالاً حضره عبد الناصر فى بلدنا بيلا فى بداية عام ١٩٥٣م ، وكنت مشاركاً فيه أنا وعائلتى " (عبد الحفيظ سعد : مذكرات شيخ القراء أبو العينين شعيشع ،الحلقة السادسة ، الأهرام المسائى ، ٢٠٠٩/٩/٨م ، ص ١٢) ، إن فى استعادة بيانات ما كان يذاع للشيخ أبو العينين من تلاوات فى عهد الملك وبعد الثورة ، وذلك من خلال سجلات برامج الإذاعة التى كانت تنشر بمجلة "الراديو المصرى " ، إن فى ذلك ما يدحض تلك الشائعة أو يؤكدها .

وبالرجوع الى سجلات برامج الإذاعة فى عامى ١٩٥١ و ١٩٥٣م ، وبانتقاء بعض أشهر العامين لعقد مقارنة بين ما كانت تذيعه الإذاعة خلالها من تلاوات للشيخ ، ومن ذلك شهر يناير ، ففى عام ١٩٥١م قدمت الإذاعة للشيخ أبو العينين تلاوتين فى يومى الاثنين ١٩٥١/١/٧م والجمعة ١٩٥١/١/٨م ، بينما بلغ عدد ما أذاعته الإذاعة للشيخ أبو العينين من تلاوات فى شهر يناير ١٩٥٣م أربع تلاوات ، أذيعت فى أمسيات الأيام التالية : الثلاثاء ١/٦ الاثنين ١/١٢ الثلاثاء ١/٢٠ والثلاثاء ١/٢٧ ، وفى شهر رمضان سنة ١٣٧٠هـ الذى وافقت غرته يوم الثلاثاء ١٩٥١/٦/٥م ، قدمت الإذاعة أربع تلاوات للشيخ أبو العينين جاءت فى التوقيتات التالية : صباح الثلاثاء ١ رمضان مغرب الثلاثاء ٨ رمضان مغرب الثلاثاء ١٥ رمضان وفجر الجمعة ١٨ رمضان ، بينما بلغ عدد تلاوات الشيخ المذاعة فى شهر رمضان ١٣٧٢هـ - والذى صادف أول أيامه الخميس ١٩٥٣/٨/١٤م خمس تلاوات

، وقد أذيعت تلك التلاوات الخمس طبقاً لما يلى : مغرب الثلاثاء ٦ رمضان مغرب الثلاثاء ١٣ رمضان سهرة الأحد ١٨ رمضان سهرة الثلاثاء ٢٠ رمضان وسهرة الثلاثاء ٢٧ رمضان ، إن ما تبوح به سجلات برامج الإذاعة فى عامى ١٩٥١م و ١٩٥٣م يؤكد على أن معدل إذاعات الشيخ قد زاد بعد الثورة ولم ينقص أو يتوقف بأى حال.

عطاء وتكريم

امتدت رحلة الشيخ أبو العينين شعيشع مع تلاوة القرآن لأكثر من نصف قرن ، ظل فيها خادماً أميناً للقرآن ومتخلقاً بالآداب الواجبة لمن يحمل كتاب الله بين جنبيه ويجمل صوته بترديد آياته ، حيث طاف بكثير من دول العالم ليقرأ للمسلمين أينما حلوا ، كان أول قارئ من نجوم دولة التلاوة يقرأ القرآن خارج مصر ، ثم ترددت تلاواته فى كثير من الدول العربية وفى تركيا وباكستان وإيران والصومال وإنجلترا وفرنسا ويوغوسلافيا ، ليشاهد بعينيه إعجاب الناس بتحزنه الواضح فى التلاوة ، وليحمل من مسئولى البعض من تلك الدول العديد من الأوسمة ، ومن تلك الأوسمة : وسام الاستحقاق من سوريا وسام الرافدين من العراق ووسام الأرز من لبنان (أحمد البلك : أشهر من قرأ القرآن فى العصر الحديث ، ص ٩٩) ، والشيخ أبو العينين هو النجم الوحيد فى دولة التلاوة الذى أهمّه مستقبل التلاوة بمصر ، عندما شاهد رحيل من عاصروه ومن جاءوا بعده من نجوم دون أن تلوح بارقة أمل فى ظهور خلفاء لهم من نجوم جدد ، فمضى يجوب مصر بتكليف من وزارة الأوقاف لاكتشاف مواهب تعوض رحيل النجوم ، فلما أعياه البحث دون جدوى ، أعلنها الشيخ صريحة فى حديث ذكرياته أن عصر الأصوات العظيمة قد ولى وانتهى ، لأن التلوث

والفراخ البيضاء والمعلبات هى السبب فى اندثار الأصوات القوية (عبد الحفيظ سعد : مذكرات شيخ القراء أبو العينين شعيشع ، الحلقة الخامسة ، الأهرام المسائى ، ٢٠٠٩/٩/٧م ، ص ١٠) ، ولكنه مازال يخدم القرآن حتى تاريخ الفراغ من هذا الكتاب ، وذلك من خلال اضطلاعه بمنصب نقيب القراء ورئاسته لمجلس إدارة مسجد الخلفاء الراشدين بحى مصر الجديدة والقريب من منزله ، ومن خلال مشاركته كمحكم رئيسى فى كل ما يعقد من مسابقات لحفظ القرآن أو تجويده فى عديد من المؤسسات والمحافل داخل مصر وخارجها، جهد يبذله الشيخ أبو العينين شعيشع يبتغى به مرضاة مولاه وقربة للقرآن الكريم الذى أحبه وعاش فى ظله طوال عمره ، الذى ندعو المولى أن يجعله مديداً .

الفصل
العاشر



البهتيمي
المغرد بالقرآن

لم يغـرد صـوت بالقـرآن فى عـصـرنا كـمـا غـرد به صـوت الشيخ كامل يوسف البهتيمى، ولم يصدح صوت بأذان الصلاة خلال ذلك العصر كما صدح به صوت هذا القارئ الفذ، حتى أن تلاواته وأذانه للصلاة كثيراً ما تستقطر الدمع من أعين سامعيها، إن المستمع لتلاوات الشيخ البهتيمى وأذانه للصلاة لا يحتاج الى وافر علم أو سابق خبرة، كى يدرك أن تغريد صوته بالآيات والأذان إنما يعود الى اكتمال عنصر الموسيقى فى أدائه.

التجويد والغناء

ظهـرت الموسـيقى وازدهـرت فى كنف الإسـلام بعـد اسـتقـراره بالمدينة المنورة، وقد استمع المسلمون الى بواكير الأنغام فى ثنايا تلاوات الصحابة للقرآن الكريم، حيث تبارى كبار الصحابة من أمثال عبد الله بن مسعود وأبى موسى الأشعرى فى التغنى بآيات القرآن امتثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى قال فى حديث رواه مسلم والبخارى: "ما أذن الله لشىء ما أذن لنبىّ حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به"، وفيما يتصل بذلك أيضاً ما رواه مالك فى الموطأ والنسائىّ فى السنن عن حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اقرءوا القرآن بلحون العرب"، حتى أوحى تغنى ذو الأصوات الحسنة بالقرآن للبعض القول بأن: "قوانين الموسيقى قد لحظت فى القرآن تامة مكتملة"، وهو ما عبر عنه عباس محمود العقاد فى مقالة له بعنوان "ضبط النغم" بقوله: "إن هناك ارتباطاً واضحاً بين علم القراءات

وعلم الإيقاع فى الموسيقى"، لقد شكلت قواعد التجويد وصيغ الأذان وتكبيرات العيدين الأسس الأولية للموسيقى العربية، مما ترتب عليه فيما يقول الأستاذ العقاد فى مقالته المشار اليها أن أكثر واضعى الألحان فى القرن العشرين كانوا من المشايخ، الذين نشئوا أولاً كقراء ثم اشتغلوا بالإنشاد الدينى وانتهوا بالتلحين، ويضرب الأستاذ العقاد أمثلة لهؤلاء المشايخ تضمنت كلا من يوسف المنيلاوى وسلامة حجازى و زكريا أحمد وسيد درويش، ويكشف البحث فى كتب التاريخ والتراجم أن مقولة الأستاذ العقاد السابقة لا تنطبق على مطلع القرن العشرين وحده، وإنما تنسحب على ما سبقه من قرون منذ عرف المسلمون العرب التجويد والإنشاد ثم الغناء والتلحين، ويجئ الدليل على ذلك مما حواه تاريخ ابن إياس المعنون باسم "بدائع الزهور فى وقائع الدهور" من تراجم وإشارات الى قراء حذقوا الإنشاد وحملوا لقب "الواعظ المادح المنشد"، حيث أكسبهم ترتيل القرآن وتجويده نصاعة فى الأداء الصوتى ووضوحاً فى مخارج الألفاظ والحروف، مما أهلهم للتفوق فى أداء المدائح النبوية والموشحات، وقد برزت مجموعة من هؤلاء القراء ممن أجادوا الإنشاد الدينى خلال العصر الذهبى للتلاوة، ومن هؤلاء القراء نذكر الشيوخ على محمود صديق المنشاوى طه الفشنى محمد صديق المنشاوى وكامل يوسف البهتيمى، ولعل الأخيرين أنصعهم أداء وأنداهم صوتاً.

النشأة والتكوين

ولد محمد زكى يوسف الشهير بكامل يوسف البهتيمى فى عام ١٩٢٢م بقرية بهتيم، وهى إحدى قرى محافظة القليوبية التى تعد من ضواحى القاهرة وتبعد بحوالى ثلاثة كيلومترات الى الشمال من حى الأميرية، حفظ محمد زكى القرآن الكريم فى كتّاب

بهتيم، وعرف منذ صباه بجمال صوته، مما أهله لرفع الأذان وقراءة القرآن فى مسجد بهتيم، وعندما أتم الصبى محمد زكى حفظ القرآن فى كتاب بهتيم، ألحقه والده بمدرسة عثمان باشا ماهر بحى القلعة بالقاهرة كما ذكر محمود السعدنى فى كتابه "ألحان السماء" (ص ٩٥)، ومن الواضح أنها كانت مدرسة ابتدائية تهتم بالعلوم الدينية على نسق المدارس الأزهرية المعروفة حالياً، ولما أنهى الفتى محمد زكى دراسته بمدرسة عثمان باشا ماهر، التحق بالأزهر ليستكمل تعليمه، ولكن إعجابه بتلاوات كبار قراء ذلك العصر ملكت عليه عقله وصرفته عن دروس الأزهر، وكانت لمحمد زكى أسبابه الخاصة فى الإعجاب بكل من الشيخ محمد رفعت والشيخ محمد سلامة والشيخ على محمود، فقد بهرته قدرة الشيخ محمد رفعت على التحكم المعجز فى صوته ذى الحجم الضيق والدرجات الموسيقية المتعددة كما يقول الناقد الراحل كمال النجمى، بينما انحصر إعجابه بالشيخ محمد سلامة وبنص تعبير د.خيرى محمد عامر فى : "قدرته الصوتية العالية فى منطقة الجوابات" (د. خيرى محمدعامر : مشايخ فى محراب الفن ، ص ٢١٩)، كذلك فإنه يمكن القول بأن إعجاب محمد زكى بالشيخ على محمود انصب فى جمع الشيخ على محمود وبإتقان ظاهر بين التلاوة والإنشاد الدينى، ولقد قاده إعجابه بالشيوخ الثلاثة الى تتبع تلاواتهم وإبداعاتهم فى مختلف أحياء القاهرة، مما كان له أكبر الأثر فى تكوين ملامح أدائه المتفرد وفصله من الأزهر فى نفس الوقت.

الإذاعة والانطلاق

انطلق صوت محمد زكى يوسف بآيات القرآن فى سهرات القاهرة عند مطلع أربعينيات القرن الماضى، مما أهله للانضمام

الى كوكبة قارئى القرآن بالإذاعة، وينسب محمود السعدنى فى كتابه "ألحان السماء" فضل تقديم محمد زكى بالإذاعة الى أستاذ جامعى والإذاعى المعروف محمد فتحى، وقال السعدنى أن ذلك حدث فى عام ١٩٣٨م، بينما أثبت شكرى القاضى فى كتابه "عباقرة التلاوة" ما قاله الشيخ أبو العينين شعيشع بإن بداية محمد زكى مع الإذاعة تعود الى عام ١٩٤٢ أو عام ١٩٤٣م، ولكن البحث فى سجلات برامج الإذاعة كشف أن التلاوة الإذاعية الأولى له كانت قبل خمس دقائق من السابعة فى صباح الخميس ١٩٤٤/٦/٢٩م، تضمنت التلاوة الأولى لمحمد زكى يوسف ما تيسر له من سورة آل عمران، وذكرت مجلة "الراديو المصرى" فى تقديمها للتلاوة أن قارئها هو الشيخ كامل يوسف وبدون البهتيمى (الراديو المصرى : العدد ٤٨٤ ، ١٩٤٤/٦/٢٤م ، ص ١٥)، بعد ذلك قدمت الإذاعة التلاوة الثانية للشيخ كامل يوسف .وهى من سورة "البقرة" فى صباح السبت ١٩٤٤/٩/٣٠م (الراديو المصرى : العدد ٤٩٧ ، ١٩٤٤/٩/٢٣م ، ص ١٦)، وقد ذكرت المجلة اسم الشيخ كاملاً: كامل يوسف البهتيمى عندما قدمت لتلاوته الثالثة، التى كانت من سورة "النساء" وأذيعت فى صباح السبت ١٩٤٤/١٠/١٤م (الراديو المصرى: العدد ٤٩٩ ، ١٩٤٤/١٠/٧م ، ص ١٦).

قدمت الإذاعة تلاوات القارئ الجديد آنذاك كامل يوسف البهتيمى خلال عام ١٩٤٥م وبصورة متقطعة، وعندما أهل شهر رمضان لسنة ١٣٦٤هـ فى يوم الخميس الموافق ١٩٤٥/٨/٩م، كان الشيخ كامل يوسف قد استقر قبل ذلك بأيام فى مدينة يافا بفلسطين، حيث قدمته محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية من المدينة وطوال شهر رمضان فى تلاوات بثت عبر موجات

المحطة، وخلال إقامته بيافا .. التقى الشيخ كامل يوسف بالملحن وعازف القانون الشهير : أحمد صبرة، لتبدأ بينهما صداقة توطدت عبر الأيام، وقد أثمرت تلك الصداقة عن مزيد من فهم الشيخ لقواعد الموسيقى وأسرارها، مما طبع تجويده لآيات القرآن بطابع فريد لا تخطئه أذن، وأثمرت تلك الصداقة أيضاً عن أذان للصلاة قام بتلحينه أحمد صبرة وأداه الشيخ كامل يوسف، لكن ذلك الأذان لم يذع كما ذكر الكاتب الصحفى محمود عبد السميع فى عدد صحيفة "الأخبار" الصادر فى يوم الأحد ١٩٦٩/٢/٩م.

انطلق صوت البهتيمى بعد بدايته من إذاعتى القاهرة والشرق الأدنى، انطلق عبر كثير من الإذاعات فى سوريا والسودان والهند وإنجلترا وفرنسا، فانبهر الناس برخامة صوته وعذوبة نبراته التى لا مثيل لها بين أصوات كبار القراء فى عصره، وعندما شكلت الإذاعة فى مطلع عام ١٩٥٣م لجنة لاختبار قراء الإذاعة وتصنيفهم، وضعت اللجنة الشيخ البهتيمى فى الفئة الممتازة، تلك الفئة التى كانت تقدم قرآن السهرة فى كل مساء، وذلك بأجر بلغ خمسة جنيهات مقابل تلاوة تبلغ نصف الساعة.

بين التلاوة والإنشاد

اتجه الشيخ البهتيمى منذ بداياته الى الإنشاد الدينى، ربما لتأثره برواد سابقين مثل الشيخين على محمود وطه الفشنى، أو بما تفتح فى وعيه من آفاق موسيقية جراء صداقته لأحمد صبرة، تلك الصداقة التى عبر عنها اشتراك الشيخ البهتيمى بالإنشاد فى برنامج غنائى إذاعى من تلحين أحمد صبرة، وهو البرنامج الغنائى "البانى طالع"، الذى أذيع

لأول مرة فى السابعة والنصف من مساء الثلاثاء ٢٢ رمضان ١٣٧٣ هـ والموافق ١٩٥٤/٥/٢٥م، واشترك فى الغناء بالبرنامج كل من عبد الحليم حافظ ومديحة عبد الحليم، ومن أمثلة جمعه بين التلاوة والإنشاد ما قدمه فى برنامج الإذاعة ليوم عرفة من سنة ١٣٧٢ هـ والموافق ليوم الأربعاء ١٩٥٣/٨/١٩م، حيث قدم فى الثالثة والنصف فجراً ابتهالات دينية، ثم قرأ ما تيسر له من سورة " يوسف " فى السابعة والنصف صباحاً، واختتم اليوم بإلقاء قصائد وتواشيح أذيعت بعد صلاة مغرب ذلك اليوم، هذا وقد أحصى د.خيرى محمد عامر فى كتابه "مشايخ فى محراب الفن" مجموعة من تواشيح الشيخ البهتيمى التى برع فى إنشادها، ومن هذه المجموعة نذكر ما يلى: "الله زاد محمداً تعظيماً" "أهواك يا كعبة الأنوار" و"يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا"، وهى مجموعة تشكل غيضاً من فيض حفظه البهتيمى ورردده فيما كانت تنقله الإذاعات من احتفالات وتلاوات طوال أشهر رمضان خلال الفترة التى اشتهر فيها.

جاء تميز الشيخ البهتيمى فى إنشاده وتجويده من نوعية صوته الذى ينتمى الى فئة الصادح أو التينور، وهى أعلى فئات أصوات الرجال حدة فى التصنيف الغربى لتلك الأصوات، وتنحصر مساحة تلك الأصوات بين عشر وثمانى عشرة درجة من درجات السلم الموسيقى، ومما زاد صوت البهتيمى جمالاً بحة مستملحة تنطلق مع بلوغه منطقة الجواب، ويستطيع القارئ أن يستمع الى تلك البحة التى تشبه التغريد عندما يرفع الشيخ البهتيمى صوته - فيما هو متاح من تسجيلاته الى الدرجات الصوتية العالية فى

منطقة الجواب، ومن أمثلة تلك التسجيلات تلاواته الحية من داخل المساجد لما تيسر له من سور: "البقرة" "الإسراء" "مريم" "طه" "الحج" "المؤمنون" "الفرقان" و"القيامة"، وقد بلغ الشيخ البهتيمى فى تلاوته للآيات من (١) الى (١٧) من سورة "الإسراء" والتى نقلتها الإذاعة من مسجد الإمام البوصيرى بالإسكندرية، بلغ آفاقاً فى التلاوة لم يبلغها قارئ فى عصره، وأشك أن يقترب حتى منها قارئ بعده، ولعل أبلغ ما وصف به أداء الشيخ البهتيمى هو ما قاله طارق خليل فى كتاب "القرآن الكريم ومشاهير القراء" : "وقراءة الشيخ البهتيمى تجد فيها تكامل علم القراءة وحلاوة الصوت ورخامته والرقة فى نقل معانى القرآن الكريم الى الوجدان"(ص ٨٥).

قيام لرحيل

كانت تباشير فجر يوم الخميس ١٩ من ذى القعدة فى سنة ١٣٨٨ هـ والموافق ١٩٦٩/٢/٦م توشك على البزوغ، عندما استيقظ الشيخ البهتيمى فى منزله ليرتل القرآن كعادته قبل صلاة الفجر، فسقط مغشياً عليه كما قالت صحيفة "الأخبار" فى عدد ١٩٦٩/٢/٧م وفارق الحياة، وقد عم الحزن الجميع لرحيله ولما يتم العقد الخامس من عمره، فرثته كل الصحف ونعاه من نعى، وكان ذلك متوقعاً لرجل قالت عنه صحيفة "الأخبار" فى رثائه: "عاش رقيقاً ومات رقيقاً"، وقد عاين الشيخ البهتيمى حب الناس له بعينه وحال حياته، إذ حدث فى مطلع شهر أبريل من عام ١٩٦٤م، أن أخطأ مذيع الربط فى برنامج "صوت العرب" من الإذاعة المصرية حين قدم تلاوة الشيخ البهتيمى بقوله: "المرحوم الشيخ كامل البهتيمى"، ليتوالى فى المساء توافد المئات من أهل

بهتيم ووصول ما يقرب من ثلاثمائة برقية عزاء إلى منزله ، لقد رحل الشيخ البهتيمى وهو فى عنفوان الرجولة، ولكنه خلف لمحبى القرآن ثروة من التسجيلات النادرة لا يجىء بها من عاش أضعاف عمره.

الفصل الحادى عشر



محمود خليل الحصرى

أول المرتلين

لم يحقق الشيخ محمود خليل الحصرى فى دولة التلاوة وخلال عصرها الذهبى شهرة أو شعبية كالتى تحققت لرواد مثل الشيوخ محمد رفعت وعبد الفتاح الشعشاعى وأبو العينين شعيشع، أو كالتى صاحبت مسيرة معاصريه من القراء مثل الشيوخ كامل يوسف البهتيمى ومحمد صديق المنشاوى وعبد الباسط محمد عبد الصمد، ولكنه تفوق على الجميع بكونه أول من سجل القرآن مرتلاً بين قراء عصره، وقد سجله بثلاث روايات هى روايات حفص وورش وقالون، مما جعل إذاعة القرآن الكريم تعتمد وطوال سنوات عدة على تسجيله للروايتين الأوليين، وقبل أن تسجل الإذاعة القرآن مرتلاً بأصوات قراء آخرين.

بين شبرا النملة وطنطا

ولد محمود خليل الحصرى بقرية شبرا النملة فى السابع والعشرين من شهر سبتمبر فى عام ١٩١٧م، وشبرا النملة هى إحدى قرى محافظة الغربية وتقع الى شمال الغرب من مدينة طنطا عاصمة المحافظة، نشأ الصبى محمود ليجد أباه يعمل فى صناعة الحصير، وهو البساط المنسوج من السمار وخوص النخل وما الى ذلك من النباتات وأوراقها، وعندما أتم الصبى الخامسة من عمره، ألحقه والده كدأب عامة المصريين بكتاب القرية، حيث حفظ ما تيسر له من القرآن الكريم، وعندما أظهر الصبى نبوغاً مبكراً فى حفظ القرآن والإلمام بمبادىء العلوم الدينية،

ألحقه والده بمسجد سيدى أحمد البدوى بمدينة طنطا، وقد تميز مسجد سيدى أحمد البدوى بمكتبة تضم الكثير من مراجع علم القراءات، وهو ما أشار اليه الكاتب الكبير عباس محمود العقاد فى مقالة نشرت بعدد ١١/٤/١٩٦٢م من صحيفة "الأخبار" بقوله: "علم التجويد أو علم القراءات، وقد اجتمع من مراجع هذا العلم فى القاهرة وطنطا حيث يحفظ القرآن بالمسجد الأحمدى ما لم يجتمع فى بلد من البلدان الشرقية "، ومن الطبيعى وفى وجود ذلك الفيض من مراجع علم القراءات بالمسجد الأحمدى، أن يجد الطالب صاحب الصوت الجميل الفرصة لحفظ القرآن وإتقانه بأكثر من قراءة واحدة، وكان ذلك بالضبط ما حدث مع الفتى محمود خليل، الذى أتم حفظ القرآن كاملاً بالمسجد الأحمدى، ثم اتجه بعد ذلك لدراسة علم القراءات، حتى أتقن تلاوة القرآن بالقراءات العشر الصحيحة، وهى قراءات الأئمة نافع المدنى وعبد الله بن كثير وأبو عمرو بن العلاء البصرى وعبد الله بن عامر الشامى وعاصم الكوفى وأبو جعفر المدنى ويعقوب الحضرمى وخلف البزار، فلما اجتمع له حسن الصوت مع التبحر فى علم القراءات، بدأ رحلته مع تلاوة القرآن الكريم بين شبرا النملة وطنطا، وكان قد بلغ طور الرجولة فى مطلع العشرينيات من عمره،فطار صيت تلاواته من طنطا وعبر مدن الأقاليم المجاورة ليصل الى القاهرة فى سنوات الأربعينيات الأولى.

القاهرة والإذاعة

مثل الشيخ الحصرى فى شتاء عام ١٩٤٤م أمام لجنة اختبار القراء الجدد بالإذاعة، وهى لجنة تضم الى جانب أعلام الإذاعيين عددا من علماء القراءات مثل شيخ الأزهر وشيخ معهد القراءات بالأزهر وشيخ عموم المقارىء المصرية، وقد أجازت

اللجنة بلا تردد الشيخ الحصرى ليكون من قراء القرآن بالإذاعة، وكان من بين من أجازتهم اللجنة معه كل من الشيخين أحمد أبو المعاطى ومحمد دريالة الخطيب، وجاءت أول تلاوة للشيخ الحصرى من الإذاعة المصرية قبل السابعة من صباح الأربعاء ١٩٤٤/١٢/٢٧م بخمس دقائق (الراديو المصرى : العدد ٥١٠ ، ١٩٤٤/١٢/٢٣م ، ص ١٣)، وانقضى ما يقرب من شهرين حتى قدمت الإذاعة التلاوة الثانية للشيخ الحصرى، والتى أذيعت فى السادسة وخمس وخمسين دقيقة من صباح الخميس ١٩٤٥/٢/٢٢م (الراديو المصرى : العدد ٥١٨ ، ١٩٤٥/٢/١٧م ، ص ١٤)، ولم يقدم الشيخ طوال ما تبقى من عام ١٩٤٥م سوى أربع تلاوات، مما يمكن القول معه بأن الإذاعة دأبت على تقديمه فى العام الأول بمعدل تلاوة واحدة خلال ما يقرب من الشهرين، وقد كان السبب فى ذلك راجعاً الى إقامته بمدينة طنطا، وعندما رحل الشيخ محمد الصيفى عن عالمنا فى شهر سبتمبر من عام ١٩٥٥م، وأقر الشيخ الحصرى بعده كقارىء للسورة بمسجد الإمام الحسين بالقاهرة، نقل الشيخ إقامته الى القاهرة ليكون قريباً من عمله الجديد.

حياته القرآن

تولى الشيخ الحصرى العديد من الوظائف بعد انتقاله الى القاهرة، وقد كانت مؤهلاته لتلك الوظائف تتمثل فى غزارة معلوماته فى القراءات وعلوم القرآن، وهى معلومات اكتسبها خلال دراسته بالمسجد الأحمدى ومن عديد من الكتب والمخطوطات التى صنفت فى هذين الفرعين، وقد أحصى الكاتب أحمد البلك تلك الوظائف فى كتابه "أشهر من قرأ القرآن فى العصر الحديث"، فكانت على النحو التالى: عين مفتشاً للمقارىء المصرية فى عام

١٩٥٧م أقر وكيلاً للمقارئ المصرية فى عام ١٩٥٨م اختير مراجعاً ومصححاً للمصاحف بمشيخة الأزهر فى عام ١٩٥٩م عين شيخاً لعموم المقارئ المصرية فى عام ١٩٦٠م ووقع اختيار وزارة الأوقاف عليه فى عام ١٩٦١م ليكون مستشاراً فنياً بها لشئون القرآن.

حركت الخبرات السابقة التى اكتسبها الشيخ الحصرى فى رحلته مع القرآن الكريم: قارئاً وباحثاً، حركت ميلاً كامناً فى نفسه للكتابة عن تجويد القرآن، ومما لا شك فيه أنه تأثر بأسماء كثيرة صنّفت فى هذا الفرع من علوم القرآن، وأول هذه الأسماء هو أبو مزاحم موسى بن عبد الله بن يحيى بن خاقان الخاقانى (٢٤٨-٣٢٥ هـ)، الذى كان محدثاً ومقرئاً وعاش فى بغداد، وله قصيدة فى التجويد ذكرها شمس الدين الذهبى فى كتابه "تاريخ الإسلام"، فكان من الطبيعى أن يؤلف الشيخ الحصرى مجموعة من الكتب تناول معظمها جوانب علم القراءات، وقد ذكر الكاتب أحمد البلك أسماء بعضها مثل : " السبيل الميسر فى قراءة الإمام أبى جعفر" " رواية الدورى عن أبى عمرو بن العلاء البصرى " " أحكام قراءة القرآن " «القراءات العشر» و«معالم الاهتداء الى معرفة الوقف والابتداء».

لم تمثل الكتب السابقة سوى نزر يسير من فيض ما قدم الشيخ الحصرى للقرآن الكريم، فإذا ما نحينا جانباً تلاواته الإذاعية التى انتظمت وكثرت خلال النصف الثانى من الأربعينيات وما تلاه من سنوات، حتى أن الإذاعة أوقفت فترتى التلاوة الصباحية والمسائية أو إحداهما فى يوم الأحد منذ منتصف الخمسينيات لتلاوات الشيخ الحصرى، وإذا ما ضربنا صفحاً عن ذكر تلاواته فى احتفالات الإذاعة عند مطالع الشهور العربية، والتى كانت تنقل من المساجد

الكبرى بالقاهرة، فإن أهم ما قدمه الشيخ للقرآن يتمثل فى ثلاث ختمات للقرآن مرتلاً سجلها بروايات ثلاث، وهى رواية حفص عن عاصم ورواية ورش عن نافع ورواية قالون والدورى، بالإضافة الى ذلك فإنه سجل ختمة أخرى للمصحف المعلم، ويجىء أخيراً وليس آخراً فيما قدم الشيخ الحصرى للقرآن الكريم، ما استنه عندما كان شيخاً لعموم المقارىء من إيفاد البعض من القراء المصريين لتلاوة القرآن فى دول العالم الإسلامى، وقد حدث ذلك بعد ما لمسه الشيخ من تعطش المسلمين فى الهند وباكستان لسماع القرآن مرتلاً ومجوداً، وكان ذلك خلال مرافقة الشيخ للزعيم الراحل جمال عبد الناصر أثناء زيارته للدولتين فى عام ١٩٦٠م.

مدرسة قرآنية

مما لا شك فيه أن الشيخ الحصرى كان صاحب مدرسة مميزة فى أداء القرآن، فقد كان صوته ينتمى الى الأصوات من فئة الجهير الأول(أو الباريتون فى التصنيف الغربى لأصوات الرجال)، وقد استند صوته كثيراً الى إلمامه الموسوعى بعلوم القراءات، وذلك الى جانب خشية واضحة وخشوع ظاهر طبعا تلاوته المجودة قبل المرتلة، مما جعل عالماً بقدر الشيخ محمود شلتوت: شيخ الجامع الأزهر يقول عن أدائه فيما أثبته الكاتب أحمد البلك : "تملأ قراءته القلوب سكينة وأمناً وطمأنينة، وتفتح أمام أعين سامعيه سبل الهدى والرشاد" (ص ٧٣).

امتدت إشعاعات مدرسة الشيخ الحصرى الى دول كثيرة فى مشارق الأرض ومغاربها، حيث طاف بتلك الدول قارئاً للقرآن وسفيراً له فى مناسبات عدة، ففضلاً عن دولتى الهند وباكستان اللتيّن زارهما فى بداية رحلاته خارج مصر، زار الشيخ كثيراً من الدول العربية مثل المملكة العربية السعودية والكويت وسوريا وقطر والمغرب، وامتدت زياراته لدول العالم من الصين وماليزيا شرقاً وعبر فرنسا وبريطانيا وحتى الولايات المتحدة

الأمريكية فى أقصى الغرب، ليبلغ تأثير مدرسة الشيخ مداه فى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث رتل القرآن داخل مبنى الكونجرس الأمريكى وأذن لصلاة الظهر بمقر الجمعية العامة للأمم المتحدة فى مدينة نيويورك، لقد لامست طريقة الشيخ الحصرى الخاشعة فى التلاوة قلوب الكثيرين، منهم من دخل الإسلام متأثراً بما أحدثته تلاوة الشيخ فى قلبه، وقد ذكر طارق خليل فى كتاب "القرآن الكريم ومشاهير القراء" أن عشرة من الفرنسيين وكذلك ثمانية عشر من الأمريكيين أشهروا إسلامهم على يدى الشيخ الحصرى بعد حفلات تلاوته بفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، وشهدت دولة التلاوة تأثر كثير من القراء بالشيخ الحصرى فى التلاوة، ويعد القارىء السعودى محمد شرف الحلوانى أقرب هؤلاء القراء الى الشيخ صوتاً وأداء، حيث استمعت اليه فى صلاة التراويح بمسجد الملك فهد بمدينة الطائف فى ليلة من ليالى رمضان سنة ١٤١٥ هـ، فأذهلنى التطابق بين صوته وصوت الشيخ، وعندما سألت جارى السعودى فى الصلاة عنه، قال لى الرجل: إنه تلميذ شيخكم الحصرى، تلقى التجويد عنه والكلام للأخ السعودى ورافقه فترة من الزمن، ولعل القارىء يتذكر الآن أن الشيخ الحلوانى كان كثيراً ما يقرأ القرآن فى يوم عرفة وبمسجد نمرة، إن الشيخ الحلوانى لم يكن التلميذ الوحيد فى مدرسة الشيخ الحصرى، حيث أثرت طريقة أدائه الخاشعة فى كثير من القراء بل وهدت ملايين المسلمين الى قراءة صحيحة للقرآن يتقربون بها الى المولى عز وجل.

هذا وقد رحل الشيخ الحصرى عن عالمنا بعد أدائه لصلاة العشاء فى مساء يوم الاثنين ١٩٨٠/١١/٢٤م، رحل رحمه الله راضياً مرضياً بعد ما قدم للقرآن الكريم فى حياة تعلقت بكتاب الله ودارت فى رحابه الزكية.

الفصل الثانى عشر



مصطفى إسماعيل

أعظم من تغنوا بالقرآن

يأتى التغنى بالقرآن فى مقدمة فنون تجويده ، ففى صحيح مسلم وبإسناد عن أبى هريرة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما أذن الله لشئ ما أذن لنبيّ يتغنّى بالقرآن " (الجزء الثانى : ص ١٩٢) ، وقد اقتدى عمر بن الخطاب بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم عندما استمع لقراءة أبى موسى الأشعرى للقرآن ، فقال رضى الله عنه : " من أستطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبى موسى فليفعل " ، والتغنى الذى عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديثه وتبعه فى ذلك عمر بن الخطاب ، يقصد به تحسين الصوت بالتنغيم حال قراءة القرآن ، وقد شهدت دولة التلاوة أعداداً لا حصر لها ممن تغنوا بالقرآن وجملوا به أصواتهم منذ أبى موسى الأشعرى وسالم مولى أبى حذيفة ومروراً بجمال الدين السكسكونى الذى توفى فى سنة ٨٠١هـ وحتى أيامنا هذه ، غير أن أحداً من هؤلاء لم يبلغ الذرى التى حلق فيها الشيخ مصطفى إسماعيل حال تغنية بالقرآن .

البدوى والبداية

ولد مصطفى محمد المرسى إسماعيل فى يوم السبت السابع من يونيو فى عام ١٩٠٥م بقرية ميت غزال من أعمال السنطة بمحافظة الغربية ، كان أبوه الذى يعمل بالزراعة ينتمى الى أسرة ميسورة ، وعندما بلغ الصبى مصطفى السادسة من عمره ، ألحقه والده كدأب معظم أسر الطبقة الوسطى المصرية بكتاب الشيخ عبد الرحمن أبو العينين بالقرية ، حيث تعلم القراءة

والكتابة وحفظ حوالى ربع القرآن ، وعندما مرض الشيخ أبو العينين ، انتقل الصبى مصطفى الى كتاب الشيخ شحاتة غنيم بالقرية أيضاً ، ثم عاد الصبى مصطفى الى كتاب الشيخ أبو العينين بعد شفائه من مرضه ، وقد أتم الصبى مصطفى حفظ القرآن فى قرية ميت غزال وهو فى الثانية عشرة من عمره (عبد الحفيظ سعد : مذكرات الشيخ القارئ مصطفى إسماعيل ، الحلقة الثانية ، الأهرام المسائى ، ٢٠٠٩/٨/٢٣م ، ص ١٦).

كان جد الصبى مصطفى : الشيخ إسماعيل هو أول من اكتشف جمال صوته ، فطلب الجد الى الشيخ إدريس فاخر وهو عالم فى القراءات من أبناء القرية أن يعلمه فن التجويد وأحكام القراءات ، مما استتبع أن يلازم الصبى الشيخ طوال اليوم ، حيث أعاد الشيخ تحفيظه القرآن مرة أخرى ، ليبدأ بعد ذلك فى تلقينه أصول القراءات والتجويد ،وقد قال الشيخ مصطفى إسماعيل عن ذلك فى مذكراته ما يلى : " ظللت مع الشيخ إدريس فاخر حتى انتهيت من القرآن الكريم تجويداً وسمعاً وإعادة ما يقرب من خمسين مرة " (عبد الحفيظ سعد : مذكرات الشيخ القارئ مصطفى إسماعيل ، الحلقة الثالثة ، الأهرام المسائى ،٢٠٠٩/٨/٢٤م ، ص ١٠) ، وجاء انتهاء الشيخ إدريس فاخر من مهمته قبل شهر رمضان ، مما شجع الشيخ على أن يطلب من تلميذه قراءة سورة "ص" تجويداً وترتيلاً فى سهرة رمضانية أقيمت بمنزل الجد : الشيخ إسماعيل ، فكانت سعادة شيخه وأسرته بروعة تجويده ونداوة ترتيله هى ثانى شهاداته ، بعد شهادة إتمام حفظ القرآن فى كتاب الشيخ أبوالعينين ، وقد استتبع ذلك قيام الشيخ إسماعيل بمنح الشيخ إدريس فاخر حلاوة (أو هدية) إتمام حفيده حفظ وتجويد القرآن ، والتى

تضـمنت طـربوشـاً (أى غطاء للـرأس وزعبـوطـاً (وهو ثوب يشبـه الجلباب) وعمّة وجبّة وحذاء ! (المصدر السابق) .

جاءت لحظة التحول الأولى فى حياة الفتى مصطفى إسماعيل عندمـا صـحب جـده ذات يوم فى زيارة لمدينة طنطا ، وكـان ذلك قرابة مطلع عشرينيات القرن العشرين أو قبله بقليل ، فلما ذهب الجد وحفيده لأداء صلاة الظهر فى مسجد حسين بك العطيفى القريب من ميدان الساعة الشهير بمدينة طنطا ، راقت للجد فكرة الاستماع الى صوت حفيده فى ذلك المسجد ، فطلب منه أن يقرأ عُشراً من القرآن قبل صلاة الظهر ، فبهر صوت الفتى مصطفى أسماع المصلين بالمسجد ، وكان بينهم أحد طلبة المعهد الأحمدى بمسجد سيدى أحمد البدوى بطنطا ، الذى اقترح على الجد أن يلحق حفيده الموهوب بالمعهد ، كى يتعلم ويدرس علوم القراءات وفنون التجويد ، وفى طنطا بدأت بواكير موهبة الفتى مصطفى إسماعيل الذى دخل فى طور الشباب فى تلاوة القرآن بالتفتح ، حيث درج على قراءة القرآن بالمسجد الأحمدى بعد صلاة العشاء ، فذاع بين الناس فى طنطا الحديث عن جمال صوته وروعة تلاوته ، مما جعل الدعوات تنهال عليه لقراءة القرآن فيما يقام بالمدينة من احتفالات ومناسبات ، وقد حانت لحظة التحول الثانية فى مسيرة الشيخ مصطفى إسماعيل مع إحدى تلك المناسبات ، تمثلت تلك المناسبة فى مأتم السيد حسين القصبى : عضو مجلس الشيوخ عن طنطا ، والذى وافته المنية فى اسطنبول ونقل جثمانه الى مصر ليدفن ببلده طنطا ، فى ذلك المأتم ... قرأ الشيخ مصطفى إسماعيل وهو فى السادسة عشرة من عمره مع بعض مشاهير القراء من أمثال الشيخ حسن صبح والشيخ محمد السيسى ، ليلتها ... امتلأ سرادق العزاء

بالحضور من جميع مديريات مصر يتقدمهم الزعيم سعد باشا زغلول والأمير محمد على إبن الخديوى توفيق وكثير من باشوات ذلك العهد ، فانتزع الشيخ مصطفى إعجاب الحضور واستحسانهم ، مما جعل القارئ الكبير الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى وكان من الحضور بالعزاء يقول عن القارئ الجديد : ولد صوته جميل (المصدر السابق) .

كان عزاء المرحوم حسين القصبى فاتحة ما تحقق للشيخ مصطفى إسماعيل من مجد فى مسيرته بدولة التلاوة ، ففيه قفز أجره الى عشرة جنيهات كاملة فى ليالى العزاء الثلاثة (عبد الحفيظ سعد : مذكرات الشيخ القارئ مصطفى إسماعيل ، الحلقة الرابعة ، الأهرام المسائى ،٢٠٠٩/٨/٢٥م ، ص ١٠) ، ومن بعده احتل الشيخ مصطفى إسماعيل موقعاً فى طليعة كبار قراء الإقليم من أمثال الشيخ محمد السعودى والشيخ محمد العقلة فى طنطا والشيخ عبد الرحمن الدروى فى المنوفية والشيخ منصور الشامى الدمنهورى فى البحيرة ، وشكل تألقه فى إحياء عزاء المرحوم حسين القصبى مسوغاً لعائلة أخرى من عائلات طنطا كى تطلب من الشيخ مصطفى إسماعيل أن يشترك مع إمام القراء الشيخ محمد رفعت فى إحياء مأتم كبير لهم ، حيث بدأت بين القارئين الكبيرين أواصر صداقة ، وقد تأكدت تلك الصداقة بتكرار اشتراكهما فى إحياء المناسبات بالقاهرة ، وذلك بتعدد الدعوات التى وجهت للشيخ مصطفى إسماعيل للمشاركة فى مناسبات جرت بأحياء القاهرة المختلفة ، وجاءت أول تلك الدعوات فى مطلع الثلاثينيات ، وكانت أسرة الحمامصى بحى المغربلين هى صاحبة الدعوة ، وطبقاً لما رواه الشيخ مصطفى إسماعيل فى مذكراته أو ذكرياته ، فإن الشيخين درويش

الحريرى وسيد موسى كانا بين المستمعين الى تلاوته فى سهرة أسرة الحمامصى ، ومما تذكره الشيخ مصطفى إسماعيل من أحداث تلك الليلة حديث الشيخين الحريرى وموسى الى الحاضرين فى السهرة : " لو أنتم سّميعه بجد ، تعالوا اسمعوا الرجل ده واحكموا على صوته " (عبد الحفيظ سعد : مذكرات الشيخ القارئ مصطفى إسماعيل ، الحلقة الخامسة ، الأهرام المسائى ، ٢٠٠٩/٨/٢٦م ، ص ١٠) ، بدأ الشيخ مصطفى إسماعيل تلاوة القرآن بعد منتصف الليل بنصف ساعة وأنهاها بعد أذان الفجر فى الثالثة والنصف صباحاً !، وكانت تلك الليلة بمثابة شهادة ميلاد لنجم جديد فى دولة التلاوة ، وكانت نصيحة الشيخ درويش الحريرى للقارئ الشاب في تلك الليلة أن يستقر بالقاهرة ، ليستزيد من علوم القراءات والتجويد ، ومن ثم ليلج الى عالم الشهرة والأضواء فى العاصمة ، وقد عمل الشيخ مصطفى بنصيحة الشيخ الحريرى ، حيث استأجر منزلاً بحى المغربلين الذى شهد انطلاقته الأولى بالقاهرة ، ليكون مسكنه الأول فى العاصمة -وكما ذكر الكاتب والناقد كمال النجمى فى كتابه الرائع عن الشيخ مصطفى إسماعيل- هو المنزل رقم ١٨ فى حارة العنانى بحى المغربلين.

من المغربلين إلى عابدين

عندما استقر الشيخ مصطفى إسماعيل فى أوائل أربعينيات القرن الماضى بالقاهرة ، كانت دولة التلاوة تنقسم الى فئتين أو طبقتين من القراء ، تضم الفئة أو الطبقة الأولى مشاهير قراء الإذاعة وهم الشيوخ : محمد رفعت على محمود محمد الصيفى عبد الفتاح الشعشاعى محمد فريد السنديونى منصور الشامى الدمنهورى عبد العظيم زاهر طه الفشنى

ومحمد عكاشة ، بينما جمعت الفئة أو الطبقة الثانية من تبقى من القراء الذين كانوا فى بداية مدارج الشهرة ، ومن هؤلاء نذكر الشيوخ : على حزين   عبد الرحمن الدروى   مدين منصور مدين محمود عبد الحكم   عبد الرحمن عبده   عبد الرحمن الحصرى عبد السميع بيومى ومحمود محمود هاشم ، وإلى جوار تلك الكتيبة من القراء المجيدين ممن أثروا دولة التلاوة فى أوج عصرها الذهبى بأصواتهم وفنونهم المتميزة ، كانت هناك مجموعة من أنبغ المنشدين فى تاريخ الإنشاد الدينى بمصر، وهى مجموعة تتلألأ فيها أسماء شيوخ مثل : على محمود   درويش الحريرى   سيد موسى   محمود صبح وطه الفشنى ، وبالرغم من ذلك أحدث صوت الشيخ مصطفى إسماعيل ثورة عند ظهوره بين تلك الكوكبة من الموهوبين ، فقد كان صوت الشيخ فى نهاية الثلاثينيات ومطلع الأربعينيات فى أوج قوته وجماله وتألقه ، فمن حيث المساحة ... كان صوت الشيخ مصطفى إسماعيل مترامياً يمتد على أكثر من ديوانين كاملين ، والديوان هو سلم موسيقى يتكون من ثمانى درجات موسيقية ... أدناها قرار النغمة وأعلاه هو الجواب ،فإذا ما استند صوت باذخ المساحة كصوت الشيخ مصطفى إسماعيل الى قدرة فائقة فى الانتقالات المقامية ، فإن فى وسعه أن يصنع الأعاجيب ، ولينظر القارئ هنا إلى ما قاله الناقد الكبير : كمال النجمى عن المقدرة الأخاذة والتلوين النغمى لصوت الشيخ مصطفى إسماعيل، قال النجمى : " وقد سمعته مرة يتحزّن فى تلاوته ، فسمعت نغمة (الصبا) المعروفة بالحزن فى الألحان العربية ، تنبعث من حنجرته كأنها منغمسة فى دموعه ، ثم بلغ آيات تقتضى الحماسة فى الأداء ، فإذا بنغمة (الراست) تنفجر كقرع الطبول ، فانتقل الشيخ الفنان القدير من الحزن

والوداعة الى القوة والحماسة فى طرفة عين ا" (كمال النجمى : أصوات وألحان عربية ، ص ١٧٥) ، على أن هذا الصوت الجميل لم تشبه سوى شائبة واحدة .. لولاها لبلغ الكمال ، وتتمثل تلك الشائبة فى ضعف أراضى ذلك الصوت وهى درجاته الأدنى عند طبقة القرار ، وهو ما يلحظه المستمع للشيخ فى بداية تلاواته ، حيث تلم بنبرات صوته بعض الخشونة وهو مازال بعد فى درجات قرار صوته ، وإن هى إلا بضع آيات يتلوها فى دقائق معدودات ، حتى ينصقل صوته ويجلجل فى درجات جوابه، وعندما يبلغ الشيخ مصطفى إسماعيل منطقة الجواب من صوته ، فانه يقدم عرضاً مبهراً لكيفية التلاوة طبقاً للأصول الشرعية مع استخدام مقامات الموسيقى العربية فى تمازج لا يتكرر ، مما يمكن القول معه بأن تنقلات الشيخ مصطفى إسماعيل المقامية فى تلاواته هى بمثابة عنقود من المقامات يصافح آذان مستمعيه بكل ما انطوت عليه الموسيقى العربية من جزالة ووقارا.

لم يكن ما جاء به الشيخ الشاب القادم من طنطا ليسرّ البعض من مشاهير قراء منتصف الأربعينيات ، فقد راع ذلك البعض حصد القارئ الجديد لإعجاب المستمعين فى كل مكان قرأ به ، ولكنه مضى يقرأ فى محافل القاهرة ويكسب فى كل يوم مزيداً من الشهرة ، حتى جاءت لحظة التحول الحاسمة فى مسيرته مع نقل الإذاعة لأولى تلاواته ، وقد تحدث الكاتب الكبير الراحل كمال النجمى عن مناسبة هذه الإذاعة الأولى ، فقال أنها حدثت فى أوائل عام ١٩٤٣م وبثت من مسجد الإمام الحسين بالقاهرة ، وقال الأستاذ النجمي - رحمه الله - أن إذاعة الشيخ مصطفي إسماعيل الأولي جاءت فى ثنايا احتفال أقامته رابطة القراء (كمال النجمى : الشيخ مصطفى إسماعيل من رابطة القراء إلى

القصر الملكى ، المصور ، العدد ٤٤٧٩ ، ٢٠١٠/٨/١١م ، ص ٢٠-٢١)، وبالبحث فى سجلات برامج الإذاعة التى نشرت بمجلة " الراديو المصرى " ، وجد أن المناسبة الوحيدة التى أحيتها رابطة القراء فى أوائل عام ١٩٤٣م ، هى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ، الذى نقلته الإذاعة فيما بين التاسعة وخمس دقائق وحتى منتصف ليل الأحد أول ربيع الأول من سنة ١٣٦٢هـ والموافق ١٩٤٣/٣/٧م ، ونوهت مجلة " الراديو المصرى " فى الصفحة الحادية عشرة من عددها رقم (٤١٦) الصادر فى ١٩٤٣/٣/٦م بأن قراء ذلك الاحتفال هما الشيخان محمد الصيفى وعبد الفتاح الشعشاعى ، غير أن مناسبة أخرى قامت الإذاعة بنقل وقائعها فى توقيت مقارب لاحتفال رابطة القراء بالمولد النبوى الشريف ، من المرجح إن لم يكن من المؤكد أنها المناسبة التى شهدت الإذاعة الأولى للشيخ مصطفى إسماعيل ، ونعنى بتلك المناسبة احتفال الإذاعة بذكرى رحيل الملك فؤاد الأول ، والتى نقلتها الإذاعة على الهواء مباشرة من سرادق أقيم بجوار مسجد الرفاعى بالقاهرة ، وقد نوهت إدارة الإذاعة عن الحفل على الصفحة السادسة من العدد رقم (٤٢٣) من مجلة" الراديو المصرى " الصادر فى ١٩٤٣/٤/٢٤م، وجاء فى ختام تنويه الإذاعة عن الحفل الآتى : " وسيتلو فيه أساطين المقرئين فى الساعة التاسعة من مساء اليوم " ، وهو ما يجعل احتمال ارتباط إذاعة الشيخ الأولى باحتفال ذكرى الملك فؤاد الأول الأغلب أو الأرجح .

بدأت الإذاعة منذ يوم الخميس أول رمضان من سنة ١٣٦٤هـ الموافق ١٩٤٥/٨/٩م -ولأول مرة - فى نقل تلاوات القرآن الكريم التى يقدمها كبار القراء فى سرادق أقيم بساحة قصر رأس التين بالإسكندرية (الراديو المصرى : العدد

٥٤٢ ، ١٩٤٥/٨/٤م ، ص ١٣) ، وفى السنة التالية وهى سنة ١٣٦٥هـ التى صادفت غرة شهر رمضان فيها يوم الاثنين ١٩٤٦/٧/٢٩م ، نقلت الإذاعة السهرات القرآنية التى أقامها القصر أيضاً من سرادق أقيم أمام قصر رأس التين (الراديو المصرى : العدد ٥٩٣ ، ١٩٤٦/٧/٢٧م ، ص ١١) ، وجاءت أول إذاعة لسهرات قرآنية من أمام قصر عابدين بالقاهرة مع بداية شهر رمضان لسنة ١٣٦٦هـ ، والذى وافقت غرته يوم السبت ١٩٤٧/٧/١٩م (الراديو المصرى : العدد ٦٤٣ ، ١٩٤٧/٧/١٢م ، ص ٢٣) ، وقد كان الشيخ مصطفى إسماعيل بعد إذاعته الأولى بين من استعان بهم رجال القصر الملكى من قراء فى إحياء تلك الليالى الرمضانية، وقد تملك الناس هوس الاعجاب بتلاوات النجم الجديد في دولة التلاوة عقب استماعهم اليه عبر الإذاعة وفى السرادق الملكى ، مما رفع من أسهمه فى دولة التلاوة ولدى القصر الملكى ، حتى أنه عندما أشتكى لمراد باشا محسن : ناظر الخاصة الملكية ، مما يعانيه من حرارة الجو فى مسكنه بحى المغربلين ، فإن مراد باشا محسن استضاف الشيخ فى جناح بفندق شبرد ، وكان القصر الملكى يستأجر ذلك الجناح طوال العام باسم الملك ، وقد ظل الشيخ مصطفى إسماعيل مقيماً بذلك الجناح وفى ضيافة القصر الملكى منذ شهر رمضان لسنة ١٣٦٦هـ (يوليو ١٩٤٧م) وحتى مطلع عام ١٩٥٢م ، عندما انتقل للإقامة بشقة أستأجرها فى حى الزمالك بالقاهرة (عبد الحفيظ سعد : مذكرات الشيخ القارئ مصطفى إسماعيل ، الحلقة السابعة ، الأهرام المسائى ، الجمعة ٢٠٠٩/٨/٢٨م ، ص١٠) .

معارك القراء

أضرم إعجاب القصر الملكى والناس بالشيخ مصطفى إسماعيل نيران الغيرة فى نفوس بعض القراء ، وذلك لإحساس هؤلاء بأن النجم الجديد سوف يحتكر الإعجاب والأضواء فى دولة التلاوة لنفسه ، فانطلقوا يهاجمونه فى المجالس والأحاديث ، فمن قائل بأنه يضحى بقواعد التلاوة الشرعية على مذبح التنغيم والتطريب ، وإلى قائل يؤكد أنه يهمل معالم الوقف والابتداء فى تلاواته ، فيتصدى لهؤلاء المهاجمين علماء ثقات ، ومن هؤلاء المدافعين عن الشيخ الدكتور محمود الطناحى الذي تصدي رحمه الله فى مقال بعدد يوليه ١٩٩٢م من مجلة " الهلال " لدحض ما قال به البعض من إهمال الشيخ لمعالم الوقف والابتداء ، حيث قال الدكتور الطناحى :" نعم إنه كان يقف أحيانا على غير وقف لتصوير معنى ، كما وقف على قوله تعالى (فلما رأينه أكبرنه) وليس موضع وقف ، ولكنه حين وصل بعد ذلك تلا الجملة السابقة ، فيكون وقفه هذا أشبه بالوقف لانقطاع النفس ، وهو جائز " .

امتد هجوم بعض القراء على الشيخ مصطفى إسماعيل واتسع ، حتى لقد بلغ بأحدهم حد التقدم ببلاغ فى أحد أقسام الشرطة ، حيث أتهم الشيخ فى البلاغ بسوء التلاوة والخروج على ما أقره علماء القراءات من أسس للتلاوة الشرعية (كمال النجمى : الغناء المصرى ... مطربون ومستمعون ، ص ١٦٨) ، ويمكن القول بأن ذلك الهجوم ربما يكون سبباً على الأقل فى واحدة من مشكلتين هامتين أثرتا فى مسيرة الشيخ فى دولة التلاوة ، إن لم يكن ذلك الهجوم هو المسبب الوحيد لهاتين المشكلتين ، وتتلخص المشكلة الأولى فى تأخر اعتماد الشيخ مصطفى إسماعيل كقارئ بالإذاعة

، بينما تتمثل الواقعة الثانية فيما صحب اعتماد الشيخ لقراءة السورة بالجامع الأزهر من صخب وعراك ، حتى أن ذلك الاعتماد لم يتم إلا بعد تدخل القصر الملكى ! ، تتعدد الأسباب فى المشكلة الأولى ، وإن كان يمكن القول بأنها تنحصر فى سببين . أولهما هو محاربة البعض له والدس لدى المسئولين فى الإذاعة بالمقولات السابقة عن إسرافه فى التطريب وإكثاره من الخروج على قواعد التلاوة الشرعية ، بينما يعود السبب الثانى الى الشيخ مصطفى إسماعيل نفسه ، وهو ما عبر عنه فى حديث ذكرياته بقوله : " وكنت أسأل نفسى : أقرأ أزاى فى الإذاعة والمدة لا تتجاوز نصف ساعة ؟ ، قبل أن يسخن صوتى يطلبون منى أن أتوقف ، فكنت بأرفض أن أذهب للإذاعة ، لأننى كنت أشعر أننى لن آخذ راحتى فى القراءة ": (عبد الحفيظ سعد : مذكرات الشيخ القارئ مصطفى إسماعيل ، الحلقة السادسة ، الأهرام المسائى ، الخميس ٢٠٠٩/٨/٢٧م ، ص ١٢) ، وأيا ما كان السبب الحقيقى لتأخر اعتماد الشيخ مصطفى إسماعيل بالإذاعة ، فإن المصادر تتضارب أيضاً حول التاريخ الصحيح لذلك الاعتماد ، فبينما يذكر أحمد البلك فى كتابه " أشهر من قرأ القرآن فى العصر الحديث " أن ذلك الاعتماد كان فى عام ١٩٤٤م ، فإن شكرى القاضى يؤكد فى كتابه " عباقرة التلاوة " أن تاريخ اعتماد الشيخ بالإذاعة يرجع الى عام ١٩٤٨م ، ولجلاء هذا التضارب ... فإن الرجوع الى سجلات برامج الإذاعة المصرية خلال سنوات الأربعينات يعد هو الوسيلة الوحيدة المتاحة لذلك ، حيث كشفت مراجعة أعداد مجلتى " الراديو المصرى " و " الإذاعة المصرية " التى صدرت فى الفترة بين عامى ١٩٣٨م و ١٩٤٩م ، كشفت عن عدم وجود أية إشارة الى تلاوات إذاعية للشيخ مصطفى

إسماعيل فيما بين عام ١٩٣٨م وحتى الأسبوع الأول من شهر فبراير فى عام ١٩٤٩م ، ثم جاءت الإشارة الأولى الى بدء الإذاعة فى تقديم تلاوات الشيخ على شكل إعلان احتل أعلى الصفحة السادسة عشرة من عدد مجلة " الإذاعة المصرية " رقم (٧٢٥) والصادر فى ١٩٤٩/٢/٥م ، كان نص الإعلان الذى تضمن صورة للشيخ مصطفى إسماعيل كما يلى : «عاد الى الميكروفون» ، بعد غيبة طويلة ، القارئ المعروف الشيخ مصطفى إسماعيل ، استمعوا اليه يتلو آى الذكر الحكيم فى برامجنا هذا الأسبوع " ، والمعنى هنا بعبارة " عاد الى الميكروفون " الواردة فى أول الإعلان هو التذكير بالتلاوات التى بثتها الإذاعة للشيخ مصطفى إسماعيل من قصر عابدين فى شهر رمضان من سنوات سابقة ، وفى نفس الصفحة التى حوت الإعلان السابق ، نوهت المجلة فى برنامج يوم الجمعة ١٣ ربيع الثانى سنة ١٣٦٨هـ (١٩٤٩/٢/١١م) الى أن الشيخ سيتلو القرآن فى الخامسة من مساء ذلك اليوم ولمدة أربعين دقيقة ، لم تنوه المجلة عن السورة التى ستكون منها تلك التلاوة ، ولكنها ذكرت أن الشيخ مصطفى سوف يرفع أذان صلاة المغرب بعد انتهائه من التلاوة فى الدقيقة التاسعة والثلاثين من بعد الخامسة من مساء ذلك اليوم ، ثم توالت الإشارات الى تلاوات الشيخ مصطفى إسماعيل الإذاعية على صفحات الأعداد اللاحقة من مجلة " الإذاعة المصرية " ، على أن الإشارة الى أول تلاوات الشيخ مصطفى إسماعيل المهمة بالإذاعة المصرية ، قد جاءت بالعدد رقم (٧٦٣) من مجلة " الإذاعة المصرية " والصادر فى ١٩٤٩/١٠/٢٨م ، حيث جاء بالصفحتين الثانية عشرة والثالثة عشرة من عدد المجلة المشار اليه تنويها عن حفل دينى ستنقله الإذاعة بمناسبة الهجرة

المشرفة ، وذكرت المجلة أن بين قراء الحفل الذى سوف يقيمه إتحاد القراء (الأستاذ الشيخ مصطفى إسماعيل) هكذا وبالنص ، ثم أوردت المجلة برنامج الحفل الذى ستنقله الإذاعة فى مساء الجمعة ١٩٤٩/١١/٣م بالصفحتين السادسة والعشرين والسابعة والعشرين من العدد المشار اليه قبلاً ، قالت المجلة أن الحفل سيبدأ بتلاوة قرآنية من الشيخ كامل يوسف البهتيمى ، ثم تتلوها كلمة عن الهجرة وقصائد وتواشيح من الشيخ أبى العلا أحمد النديم ، وأما ختام الحفل فانه سوف يتكون من تلاوتين قرآنيتين للشيخين محمود على البنا ومصطفى إسماعيل ، كان ذلك الحفل بمثابة إشهار لصلح تم بين إتحاد القراء والشيخ مصطفى إسماعيل ، وبعد سنوات طوال من الحرب الخفية والمعلنة التى شنها بعض أعضاء الاتحاد على الشيخ مصطفى إسماعيل ، وأما واقعة إقرار الشيخ مصطفى إسماعيل كقارئ للسورة بالجامع الأزهر ، فقد شهد تقدم الشيخ لذلك المنصب فى عام ١٩٤٦م تكالب كثرة من القراء مدعومة بتوصيات من شيوخ ووجهاء وحتى أمراء ، بالإضافة الى تحامل واضح من شيخ المقارئ المصرية : الشيخ على الضبّاع تجاه الشيخ مصطفى إسماعيل ، ولم يُقَرّ الشيخ مصطفى إسماعيل كقارئ للسورة بالجامع الأزهر إلا بعد أن رفع شكواه مما لحقه فى التقدم لهذه الوظيفة الى السكرتير الخاص للملك فاروق : د. حسين حسنى باشا ، لتتقلب وزارة الأوقاف رأساً على عقب بعد محادثة هاتفية بين سكرتير الملك ووزير الأوقاف ، وقد جرى توبيخ الشيخ عبد الله المراغى : مدير المساجد فى مكتب سكرتير الملك ، وكان ذلك بسبب التباطؤ فى إصدار قرار تعيين الشيخ مصطفى إسماعيل كقارئ للسورة بالجامع الأزهر ، وبالرغم من سابق تلاوته للقرآن بالقصر الملكى

(عبد الحفيظ سعد : مذكرات الشيخ القارئ مصطفى إسماعيل ، الحلقة الحادية عشرة، الأهرام المسائى ، الثلاثاء ٢٠٠٩/٩/١م ، ص ١٠) .

مسيرة العطاء

طاف الشيخ مصطفى إسماعيل بالعديد من دول العالم ... قارئاً للقرآن وحاملاً لنوره الى المتشوقين اليه فى مشارق الأرض ومغاربها ، وقد تحدث الشيخ عن ذلك فى حديث ذكرياته فقال : " وكنت أذهب أقرأ كثيراً فى لبنان كثيراً جداً ، وقرأت شهر رمضان بالكامل فى ليال ما بين بيروت وحلب ودمشق ، كما أننى قرأت فى فرنسا وأمريكا وكندا ودول آسيا " (عبد الحفيظ سعد : مذكرات الشيخ القارئ مصطفى إسماعيل ، الحلقة الثانية عشرة ، الأهرام المسائى ، الأربعاء ٢٠٠٩/٩/٢م ، ص ١٠) ، ومن تلاوات الشيخ مصطفى إسماعيل النادرة فى دمشق ، ما نقلته إذاعتا دمشق والقاهرة خلال عهد دولة الوحدة بين مصر وسوريا وفى العشر الأواخر من شهر رمضان لسنة ١٣٧٩هـ ، حيث بثت إذاعة دمشق عبر موجات البرنامج العام لإذاعة القاهرة فى الثالثة والنصف من صباح يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر رمضان (١٩٦٠/٣/١٢م) وعلى الهواء من المسجد الأموى بدمشق تلاوة للشيخ مصطفى إسماعيل، ثم تبعتها إذاعة القاهرة وبعد انتهاء تلاوة الشيخ مصطفى إسماعيل- بنقل تلاوة أخرى للشيخ محمود على البنا من المسجد الحسينى بالقاهرة عبر موجات إذاعتى القاهرة ودمشق.

امتدت رحلات الشيخ مصطفى إسماعيل لتلاوة القرآن الى دول عديدة منها فرنسا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا وماليزيا وباكستان وتركيا وجميع الدول العربية بما فيها فلسطين

المحتلة ، حتى أنه قرأ فى المسجد الأقصى بمدينة القدس مرتين ، أولاهما فى عام ١٩٦٠م ، بينما كانت الثانية فى صبيحة أول أيام عيد الأضحى المبارك لسنة ١٣٩٧هـ ، وهو يوم الأحد ١٩٧٧/١١/٢٠م ، ومما هو جدير بالذكر أن زيارة الشيخ الثانية لمدينة القدس حدثت عندما سافر فى معية الرئيس الراحل أنور السادات خلال زيارته التاريخية لإسرائيل.

تكريم ورحيل

كرم الشيخ مصطفى إسماعيل فى عديد من الدول التى زارها ، ويذكر الشيخ ذلك فى حديث ذكرياته بقوله : " وحصلت على أعلى الأوسمة من لبنان وسوريا ومن العديد من الدول الأسيوية ، كما حصلت على وسام الجمهورية من الدرجة الأولى من الرئيس عبد الناصر ، وحصلت منه على وسام الجمهورية مع أم كلثوم وعبد الوهاب فى عام ١٩٦٢م " (عبد الحفيظ سعد :مذكرات الشيخ القارئ مصطفى إسماعيل ، الحلقة الثانية عشرة ، الأهرام المسائى ، الأربعاء ٢٠٠٩/٩/٢م ، ص١٠) ، إن ما ذكره الشيخ مصطفى إسماعيل فى سياق الفقرة السابقة من حديث ذكرياته عن تاريخ حصوله على وسام الجمهورية يحتاج الى تدقيق أكثر ، وذلك لتعارض ما قال به عن الوسام الذى منحه إياه الرئيس جمال عبد الناصر - رحمه الله وتاريخ المنح مع ما أثبته البعض ، فقد ذكر أحمد البلك فى كتاب " أشهر من قرأ القرآن فى العصر الحديث " أن تاريخ منح الشيخ مصطفى إسماعيل وسام الجمهورية يعود الى يوم الاحتفال بعيد العلم فى عام ١٩٦٥م (ص ٦٦) ، وقد تبعه شكرى القاضى فى ذلك ، حيث أثبت نفس التاريخ فى كتابه " عباقرة التلاوة "(ص٧٥)، إلا أن البحث عن حقيقة ذلك الأمر فى المتاح من مصادر تلك الفترة أسفر عن عدة حقائق ، أولها أن من كرم فى احتفال الدولة بعيد العلم لعام ١٩٦٢م والذى عقد فى يوم السبت ١٩٦٢/١٢/١٥م ، قد بلغ عددهم ١٣٣ عالماً وأديباً وفناناً ، ولم يكن الشيخ مصطفى إسماعيل من بينهم ، وتمثلت

العلاقة الوحيدة للشيخ بعيد العلم فى ذلك العام فى تلاوته للقرآن عند افتتاح الحفل ! (الأهرام : الأحد ١٩٦٢/١٢/١٦م ، ص١) ، وترتبط ثانى الحقائق بما قاله الشيخ عن حصوله على وسام الجمهورية مع كل من أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب ، حيث اتضح أن تكريم أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب بمنحهما وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى وليس وسام الجمهورية قد حدث فى يوم السبت الموافق ١٩٦٠/٣/٢٦م (وهو آخر أيام شهر رمضان لسنة ١٣٧٩هـ) ، وبالطبع و كما هو معروف أن هذا الوسام لم يمنح لأحد غيرهما فى عام ١٩٦٠م ، ومنحه الرئيس جمال عبد الناصر للمرة الثالثة والأخيرة فى ١٩٧٠/٣/١٤م للفنان فريد الأطرش ، وأما آخر الحقائق التى باحت بها الوثائق فانها تتعلق بالتاريخ الحقيقى لتكريم الرئيس جمال عبد الناصر للشيخ مصطفى إسماعيل ، وهو ما يتضح من الخبر التالى الذى نشر بالصفحة الأولى من عدد صحيفة " الأهرام " الصادر فى يوم الجمعة ١٩٦٥/١٢/١٧م ، جاء الخبر تحت العنوان التالى : " الرئيس يمنح وساماً للقارئ الشيخ مصطفى إسماعيل بمناسبة عيد العلم ، وهذه أول مرة يمنح فيها الرئيس وساماً لأحد المقرئين بمناسبة هذا العيد " ، كان الوسام الممنوح للشيخ هو وسام العلوم والفنون ، هذا وقد أهدى الرئيس جمال عبد الناصر قلادة الجمهورية فى نفس الاحتفال (احتفال عيد العلم لعام ١٩٦٥م) لكل من أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب ، وفى اليوم التالى للاحتفال بعيد العلم فى عام ١٩٦٥م ، وهو الأحد ١٩٦٥/١٢/١٩م ، صدرت صحيفة " الأهرام " وهى تحمل صورة الشيخ مصطفى إسماعيل بالصفحة الثانية عشرة ، وأوضحت الصورة الشيخ وهو يتسلم الوسام من الرئيس عبد الناصر وقد ظهر معهما فى الصورة كبير الأمناء : صلاح الشاهد .

امتدت رحلة الشيخ مصطفى إسماعيل مع تلاوة القرآن لقرابة نصف القرن، حيث ملأ الدنيا بإشراقات تلاواته التى حفظت بعض الأيدى من الهواة والإذاعة القليل منها ، بينما طوت يد الإهمال وبحار اللامبالاة كثرتها الغالبة ، فمن هذه التلاوات نتذكر هنا التسجيل

النادر الذى قدمته إذاعة القرآن الكريم فى بداية السبعينيات من القرن الماضى لتلاوته من الآية الأولى وإلى الآية التاسعة والعشرين من سورة " الحج " ، وليستمع الآن من يريد أن يضع يده على مكامن العظمة فى أداء الشيخ مصطفى إسماعيل الى تلاوته للشطر الأول من الآية رقم (١٧) من سورة " الحج " ، حيث يقدم الشيخ فى تلاوته لقول الله عز وجل : " إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة "، يقدم عرضاً باهراً لتجويد القرآن مصحوباً بالانتقالات النغمية مع التحول بين قراءات مختلفة ، إن التسجيل المتداول الآن لهذه التلاوة ، والذى يتم تسويقه من خلال شركة الصوتيات التابعة لاتحاد الإذاعة والتليفزيون المصريين ، يملأ هذا التسجيل النادر قلب المستمع اليه بالحسرة على زمن المواهب الذى ولى وأنصرم ، ليتركنا فريسة للغربان وقراء المقابر!.

لم يتخلف الشيخ مصطفى إسماعيل عن دعوة وجهت اليه لتلاوة القرآن ، وجاءت آخر دعوة تلقاها فى حياته من محافظة دمياط ، حيث طلب منه أن يقوم بتلاوة آى الذكر الحكيم فى مسجد البحر بمدينة دمياط قبل صلاة الجمعة فى يوم الجمعة ٢٢ المحرم سنة ١٣٩١هـ والموافق ١٩٧٨/١٢/٢٢م ، فاستقل الشيخ سيارته فى صباح ذلك اليوم من قرية ميت غزال حيث كان يقيم وتوجه الى دمياط ، وعندما كان الشيخ يقطع الطريق من ميت غزال الى دمياط ، كان الرئيس الراحل أنور السادات مجتمعاً فى مبنى محافظة دمياط مع رؤساء وممثلى النقابات المهنية فى محافظتى دمياط والدقهلية ، بينما كان الشيخ مصطفى إسماعيل يهيئ نفسه لتلاوته الأخيرة بعد وصوله الى مسجد البحر ، كان موكب الرئيس السادات يطوف بشوارع دمياط حتى أفضى الى المسجد ، وعندما انتهت شعائر صلاة الجمعة ، خرج الرئيس السادات ليواصل جولته بالمدينة على وقع ترديد الجماهير للهتاف الشهير : " بالروح ... بالدم ... نفديك يا سادات " (الأهرام : السبت ١٩٧٨/١٢/٢٣م ، ص ١) ، ولتمرق فى أعقاب موكب الرئيس

سيارة الشيخ فى طريقها الى الإسكندرية ، حيث دهمته بعد وصوله الى داره فى حى رشدى بالإسكندرية جلطة فى المخ (عبد الحفيظ سعد : مذكرات الشيخ القارئ مصطفى إسماعيل ، الحلقة الثانية عشرة، الأهرام المسائى ، الأربعاء ٢٠٠٩/٩/٢م ، ص ١٠) ، وقد نقل الشيخ بعد إصابته بالجلطة الى وحدة ناصر للعلاج المركز بالمستشفى الجامعى بالإسكندرية ، كما تحدثت بذلك صحيفة " الأهرام " فى الخبر المنشور عن مرض الشيخ بعدد الأحد ١٩٧٨/١٢/٢٤م ، لم يلبث الشيخ طويلاً بوحدة العلاج المركز ، حتى أصابه نزيف بالمخ عقب دخوله المستشفى بيومين ، ولتصعد روحه الى بارئها بعد ظهر يوم الثلاثاء ٢٦ المحرم من سنة ١٣٩١هـ (١٩٨٧/١٢/٢٦م) ، (الأهرام : الأربعاء ١٩٧٨/١٢/٢٧م ، ص ١)، وقبل عصر يوم الخميس ١٩٧٨/١٢/٢٨م ... دفن جثمان الشيخ مصطفى إسماعيل بمسجده فى قرية ميت غزال ، وذلك بعد تشييع جنازته من مسجد عمر مكرم بالقاهرة عقب صلاة الظهر ، وليسدل الستار على المشهد الأخير فى مسيرة أعظم من تغنوا بالقرآن بين قراء العصر الذهبى لدولة التلاوة ، ولقد نعته أقلام كثيرة ، لكن أبلغ نعى له هو ما سطره الكاتب الصحفى كمال الملاخ فى الصفحة السادسة عشرة من عدد الأربعاء ١٩٧٨/١٢/٢٧م من صحيفة " الأهرام " ، وجاء الآتى فى ختام نعى الملاخ للشيخ مصطفى إسماعيل : " كان الشيخ مصطفى إسماعيل يقتنى مكتبة موسيقية كبيرة ، ويجيد العزف على العود والبيانو والكمان ، فقد كان من رأيه أن مرتل القرآن لا بد أن يتعلم الموسيقى والنغم ، رحم الله الشيخ مصطفى إسماعيل ، فقد كان قارئاً كبيراً ومن أدق القارئين إحساساً بمقامات الألحان العربية " .

الفصل
الثالث
عشر



محمود علي البنا

صوت الأرض الطيبة

اتفق أهل المنوفية جميعا وكثير من المصريين على تسمية هذا الإقليم من الأرض المصرية باسم الأرض الطيبة ولتلك التسمية سببان لا ثالث لهما يجئ أولهما من موقع المحافظة فى أخصب بقاع دلتا النيل ويتمثل ثانيهما فى عظم اهتمام أهلها بالقرآن وحفظه وهو اهتمام تنبئ به كثرة مكاتب تحفيظ القرآن التى تنتشر فى ربوع المنوفية ويعبر عن ذلك الاهتمام أيضا تعدد مرات فوز أبناء المحافظة فى مسابقات حفظ القرآن التى ينظمها الأزهر ووزارة الأوقاف لقد أنعكس ذلك الاهتمام فى كثرة كبار القراء من أبناء المنوفية الذين نذكر منهم كل من الشيوخ : عبد الرحمن الدروى عبد العزيز على فرج محمد محمود الطبلاوى شعبان عبد العزيز الصياد ومحمود البجيرمى إلا أن أشهر هؤلاء القراء من أبناء المنوفية وأفضلهم تعبيرا فى تلاواته عن روح الأرض التى أنبتته هو الشيخ محمود على البنا .

نشأة قرآنية

شهدت قرية شبراباص فى يوم الجمعة السابع عشر من شهر ديسمبر عام ١٩٢٦م ميلاد طفل أسماه والده محمود كان الوالد على البنا يحلم كأبناء قريته وقرى المنوفية برؤية ابنه محمود شيخا أزهريا ولما كانت شبراباص وهى إحدى قرى مركز شبين الكوم وتقع الى الغرب من مدينة شبين الكوم تضم مكتبا (أو كتّابا) لتحفيظ القرآن شأنها فى ذلك شأن قرى كثيرة فى المنوفية فإن على البنا وزوجته ألحقا ولدهما محمود وهو بعد فى الخامسة

بمكتب الشيخ موسى بالقرية وقد خيل للأب والأم أنهما بإلحاق ابنهما بمكتب القرية يهبانه لحفظ القرآن .

أتم الفتى محمود على البنا حفظ القرآن الكريم فى مكتب الشيخ موسى ولما يبلغ العام الثانى عشر من عمره ولما أراد على البنا إلحاق ابنه بعد ذلك بالمعهد الدينى فى شبين الكوم فإن صغر سن الفتى محمود على البنا حال دون ذلك حيث كان شرط القبول بمعهد شبين الكوم الدينى هو ألا يقل عمر المتقدم للدراسة بالمعهد عن اثنى عشر عاماً بينما نقص عمر الفتى محمود على البنا عند التقدم لمعهد شبين الكوم بستة أشهر عن الثانية عشرة، وذلك كما جاء فى حديث الشيخ قبل وفاته بأشهر قليلة الى الإذاعى عمر بطيشة فى البرنامج الإذاعى : " أهل القرآن " وإزاء رفض قبول الابن بمعهد شبين الكوم القريبة من شبراباص اصطحب على البنا ابنه الى مدينة طنطا حيث ألحقه بمعهد المنشاوى الدينى الملحق بمسجد المنشاوى القريب من المسجد الأحمدى وذلك لأن معهد المنشاوى لم يكن يضع شرطا للسن عند قبول المبتدئين من طلبته كان الفتى محمود قد بدأ فى تجويد القرآن بقريته وبعد أن أتم حفظه فلاحظ معلم التجويد وهو غير الشيخ موسى معلم الحفظ أن تلميذه يتمتع بصوت جميل وفى معهد المنشاوى بمدينة طنطا .. عرف عن الفتى محمود مقدرته على تقليد كبار قراء العصر من أمثال الشيخ محمد رفعت والشيخ محمد السعودى قارئ المسجد الأحمدى بطنطا وقارئ آخر يدعى الشيخ شفيق أبو شهبة وقد قال الشيخ البنا عن ذلك فى حديثه المشار اليه مع الإذاعى عمر بطيشة أنه كثيرا ما كان يسعى مع زملاء الدراسة بمعهد المنشاوى لسماع تلاوات المشاهير من القراء فى طنطا ثم يعود الى المسكن ليبدأ فى تقليد من استمع اليهم من قراء وزملاؤه بين معجب ومصحح لتقليده وقد امتد تقليده الى محمد عبد الوهاب وأم كلثوم فيما يرددان من أغنيات والشيخ طه الفشنى فيما

يردد من موشحات وأذكار من هنا .. وعندما ذاع اسم القارئ الصغير بين الناس فى طنطا بدأت مرحلة الانتشار الجماهيرى تلك المرحلة التى كان يذهب فيها مدعوا لإحياء مناسبات زملائه وأصدقائه وبعض المعارف وهى مناسبات كانت تتوزع فيما بين طنطا وما حولها من قرى .

مكث محمود على البنا طالبا بمعهد المنشاوى ثلاث سنوات وقد نجح خلال تلك السنوات فى اجتياز المواد المتصلة بالقرآن وتجويده وفشل فى تحقيق النجاح فى المواد الدراسية الأخرى وقد عزا هو شخصيا ذلك -فى حديث الذكريات مع عمر بطيشة الى انهماكه فى متابعة تلاوات من يفد الى طنطا من كبار القراء وفى إحياء ما يدعى اليه من سهرات وقد دفع تعثره الدراسى مراقب معهد المنشاوى الشيخ حسين معوض ليقترح عليه أن ينتقل الى المعهد الأحمدى الملحق بمسجد سيدى أحمد البدوى كى يدرس علوم القراءات وفنون التجويد ومن ثم ليتخرج بعد ذلك كقارئ للقرآن وقد راق اقتراح الشيخ معوض للفتى محمود الذى بدأ يدخل فى طور الشباب حيث كان عمره يناهز الخامسة عشرة، وقد ساعده انتقاله الى المعهد الأحمدى على التحرر من أسر تقليد كبار القراء حيث عمل ما تلقاه بالمعهد الأحمدى على يد الشيخ إبراهيم سلامة عن أحكام القراءات وفنون التجويد عمل ذلك على صقل موهبته وإبراز مواطن جمال صوته وإكساب تلاوته شخصية مميزة لا تخطئها أذن هذا وقد دامت فترة دراسته بالمسجد الأحمدى لعامين ليذهب صيت تلاواته بين الناس حتى وصل القاهرة .

القاهرة والإذاعة

لم يعرف قارئ فى العصر الذهبى للتلاوة الشهرة قط خارج القاهرة لذلك حزم القارئ الجديد محمود على البنا متاعه عند منتصف الأربعينيات وانتقل الى القاهرة ومنذ بداياته بالقاهرة ارتبط بجمعية الشبان المسلمين وهنا فإن أسبابا متعددة ساقها

البعض لتفسير ذلك الارتباط ولكن الجميع اتفقوا ومعهم الشيخ البنا نفسه - على أن بداية قبول الشيخ بالإذاعة حدثت فى احتفال الجمعية برأس السنة الهجرية الواقع فى عام ١٩٤٨م وقد أقيم الاحتفال بدار أوبرا القاهرة ونقلته الإذاعة المصرية على الهواء وبالبحث فى أرشيف الإذاعة المصرية لم نجد لتلك الرواية التى سردها الشيخ البنا من الذاكرة وبعد ما يقرب من أربعين عاما - فى حديثه مع عمر بطيشة ونقلها بعد ذلك آخرون، لم نجد إشارة واحدة عن ذلك الاحتفال فى برامج الإذاعة التى كانت تنشر وبدقة آنذاك فى مجلة "الإذاعة المصرية" حيث أوضح البحث أن غرة المحرم لسنة ١٣٦٨ هـ وافقت يوم الثلاثاء الثانى من نوفمبر عام ١٩٤٨م وكانت الاحتفالات التى نقلتها الإذاعة فى ذلك اليوم من مسجدى الأمام الحسين والأزهر الشريف ، ولم يكشف البحث عن أى حفل نقلته الإذاعة فى تلك المناسبة وأقامته جمعية الشبان المسلمين إن النتيجة الحالية للبحث عن حفل جمعية الشبان المسلمين لا تعد تشكيكا فى رواية الشيخ البنا لأن الذاكرة لا يعول عليها كما نعلم ومن الجائز بل والمؤكد أن الحفل جاء فى عام آخر وأن رقم العام قد التبس على الشيخ فى حديثه لكن البحث السابق كشف عن بداية الشيخ البنا الحقيقية مع الإذاعة حيث جاءت تلك البداية فى السابعة من صباح يوم السبت ١٤ ربيع الثانى سنة ١٣٦٨ هـ والموافق ١٩٤٩/٢/١٢م وقد تلا الشيخ خلال نصف ساعة ما تيسر له من سورة "طه" (الإذاعة المصرية : العدد ٧٢٦ ، ١٩٤٩/٢/١١م، ص١٦) وجاءت التلاوة الثانية للشيخ البنا من الإذاعة فى السابعة من صباح الثلاثاء ١٩٤٩/٣/١م وتضمنت ما تيسر له من سورة "الروم" (الإذاعة المصرية : العدد ٧٢٨ ،١٩٤٩/٢/٢٥م ، ص١٦) وأما تلاوته الإذاعية الثالثة التى أذيعت فى السادسة والنصف من مساء الخميس ١٩٤٩/٣/١٧م فأنها شملت ما تيسر له من سورة "الأحقاف" (الإذاعة المصرية : العدد

٧٣٠ ، ١٩٤٩/٣/١١م ، ص٢٣).

الأرض والصوت

مما لاشك فيه أن للبيئة تأثيراً فى الصوت ويعد صوت الشيخ البنا خير دليل على هذه المقولة فقد كان صوته جميلا كجمال موطنه الذى تكسوه الخضرة على مدار العام وتميزت تلاواته برقة انتقلت اليه من أهل لا يعرفون إلا الود والتراحم وطبع الخشوع والدقة قراءته لآى الذكر الحكيم وهو ما اكتسبه من قوم يحرصون على حفظ القرآن وإتقان تلاوته كان صوت الشيخ البنا ينتمى الى فئة الجهير الأول (أو الباريتون فى التقسيم الغربى لأصوات الرجال) وهو صوت واضح القرار وناصع الجواب صوت يجيد تصوير معانى ما يردد من آيات فى إطار من فهم واضح لموسيقى الآداء وهو فهم اكتسبه من دراسة للموسيقى والتواشيح مع الشيخ درويش الحريرى مما أعطى لتلاواته جرسا خاصا لا تخطئه أذن مستمع ، إن أجمل وأدق ما قيل عن تلاوة الشيخ البنا للقرآن هو ما تحدث به القارئ الكبير الشيخ مصطفى إسماعيل ، حيث قال رحمه الله فى معرض حديثه عن علاقته بالشيخ البنا ما يلى : " وكان عمى الشيخ محمود على البنا حروفه حلوة ويقرأ (كويس) ، وأكثر من يجيد قراءة الحروف بشكل مبدع ، العين من (حقه) والقاف من موضع مختلف ، وكان محدد حروفه بشكل كبير قوى وعامل شغل قوى ورائع " (عبد الحفيظ سعد : مذكرات الشيخ القارئ مصطفى إسماعيل ، الحلقة الثامنة ، الأهرام المسائى ، ٢٠٠٩/٨/٢٩م ، ص ١١) .

جاء ظهور الشيخ البنا فى دولة التلاوة مع تألق قراء كبار مثل الشيوخ محمد رفعت عبد الفتاح الشعشاعى منصور الشامى الدمنهورى -مصطفى إسماعيل عبد الرحمن الدروى أبو العينين شعيشع عبد العظيم زاهر وغيرهم وقد لفت صوت الشيخ البنا انتباه الجميع منذ بدايته الأولى فقدمته الإذاعة فى

برامج المناسبات الخاصة ومن ذلك أنه كان أول قارئ فى برنامج الإذاعة للاحتفال بذكرى وفاة الملك فؤاد الأول ذلك البرنامج الذى غطى كامل إرسال الإذاعة فى يوم الخميس ١٩٤٩/٤/٢٢م وكانت مشاركة الشيخ البنا فى البرنامج بتلاوة ما تيسر له من سورة " آل عمران" فى السابعة من صباح ذلك اليوم (الإذاعة المصرية : العدد ٧٣٥ ، ١٩٤٩/٤/١٥م ، ص٢٤).

نجاحات ومآثر

حقق الشيخ البنا فى رحلته مع القرآن عديداً من النجاحات التى لا مجال هنا لحديث مفصل عنها فمن عمله كقارئ للسورة فى عدد من كبريات المساجد مثل المسجد الأحمدى بطنطا ومساجد الملك والرفاعى والحسين بالقاهرة ومرورا برحلاته الى كثير من الدول الإسلامية والعربية وتجمعات المسلمين فى بقاع شتى ، وإضافة الى تسجيله القرآن فى ختمتين إحداهما مجودة والأخرى مرتلة ، وانتهاء بتكريمه من الدولة بمنح اسمه وسام العلوم والفنون وتعيينه كوكيل لأول مجلس لنقابة قراء مصر كانت تلك النجاحات مرادفة لعديد من المآثر التى عرفت عنه ومنها تواضعه الشديد وعدم تكالبه على جمع المال على أن أطيب مآثره تتحصر فى أمور ثلاثة أولها إنشاؤه لمجمع إسلامى فى مسقط رأسه بقرية شبراباص ويتكون المجمع من مسجد ودار لتحفيظ القرآن ومكتبة ويتمثل الأمر الثانى فى أنه كثيرا ما أحيا مآتم الفقراء ودون مقابل وأما الأمر الثالث فانه يتعلق بالوفاء حيث ظل الشيخ البنا مواظبا على إحياء ذكرى الزعيم الراحل جمال عبد الناصر فى كل عام حتى لقى وجه ربه راضيا مرضيا لما قدمه للقرآن فى يوم السبت الموافق للعشرين من شهر يوليو عام ١٩٨٥م .

الفصـل
الرابع
عشر



عبد الباسط عبد الصمد

سفير القرآن

لم يكن محمد عبد الصمد سليم حماد : الرجل البسيط من أرمنت ـ فى أعماق صعيد مصر ـ ليشطح به خياله فى ذلك اليوم من عام ١٩٢٧م ، يوم أن بُشر بابنه المولود : عبد الباسط ، أن هذا الطفل الذى ولد بإحدى الدور المتواضعة فى نجع المراعزة بمدينة أرمنت القابعة على الضفة الغربية للنيل وإلى الجنوب الغربى من الأقصر بحوالى خمسة عشر كيلو متراً ، سيكون له شأن فى قابل الأيام ويلقى تكريم الملوك والرؤساء ، ويصبح ذلك المولود الذى بشر به محمد عبد الباسط سليم : سفير القرآن فى عصره وكل العصور .

بين أرمنت وقنا

أتم الصبى عبد الباسط حفظ القرآن الكريم فى كُتاب الشيخ الأمير بأرمنت وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره ، ولما كان صوت الصبى جميلاً ... فإنه حاول منذ بداياته مع حفظ القرآن أن يجوده أيضاً ، فبدأ بتقليد قراء السورة بمساجد أرمنت الجامعة ، ثم خدمه الحظ بنزول عالمين فى علوم القراءات وفنون التجويد بأرمنت وبالقرب منها كما ذكر الكاتب أحمد البلك ، فأخذ الصبى الموهوب القراءات السبع عن الشيخ محمد سليم حمادة الذى جاء من سوهاج ليستقر فى أرمنت ، وأما أصول التجويد فقد حذقها الصبى عبد الباسط على يد الشيخ سعودى الذى ترك مسجد قايتباى بالقاهرة ليستقر فى قرية أصفون المطاعنة القريبة من أرمنت (أحمد البلك : أشهر من قرأ القرآن فى

العصر الحديث ، ص ١١٤ - ١١٩) ، وهكذا اكتملت للصبى الموهوب أدوات القارئ الجيد لآيات القرآن الكريم ، فبدأ القارئ الصغير طريق احتراف التلاوة فى بلدته أرمنت ، ومنها طار صيته الى مدن وقرى مديرية قنا ، فانطلق يغرد بآيات القرآن بصوت سحر أسماع الناس بكل مكان قرأ فيه ، فقد جمع فى صوته أطراف العذوبة والطفولة والقوة فى مزيج لا يتكرر ، وعندما رغب والده فى إلحاقه بالقسم الإبتدائى من معهد قنا الدينى بعد افتتاحه قرابة نهاية الثلاثينات من القرن الماضى ، فإن عمره الذى قارب الثالثة عشرة - كما ذكر الناقد والكاتب كمال النجمى - حال دون ذلك ، لأن عمر الشيخ الصغير - وطبقاً للوائح المعهد - كان قد تخطى حدود السن المسموح بها للقبول فى المعهد (كمال النجمى : الغناء المصرى .. مطربون ومستمعون ، ص٤٢٤ - ٤٣٣) ، فتفرغ الشيخ الصغير لتلاوة القرآن فى الحفلات والمناسبات فى جميع مديريات الصعيد .

فى رحاب الطاهرة

حل الشيخ عبد الباسط بالقاهرة مطلع صيف عام ١٩٥٠م تسبقه شهرته بالصعيد ، ولكن أهل العاصمة لم يكونوا قد استمعوا بعد الى صوت القارئ الجديد ، حتى جاءت المناسبة فى مولد السيدة زينب رضى الله عنها فى تلك السنة ، عندما عمل بعض الحضور ممن ترامت الى مسامعهم شهرته بالصعيد ، والذين ربما كانوا أيضاً من أبناء الصعيد المقيمين بجوار الطاهرة ، عمل هؤلاء على تقديم الشيخ عبد الباسط ليقرأ فى إحدى ليالى المولد ، فبهر الشيخ القادم من أعماق الصعيد الحضور بخصائص بدايات صوته المتفردة ، تلك الخصائص المتمثلة فى حدة صوته الفائقة التى تجعله يبدو كصوت طفل صغير ،

بالإضافة الى طول نفس لا يجاريه فيه أحد ، مما جعله ينفرد بين قراء عصره بالقدرة على قراءة سورة " الفاتحة " كاملة وفى نفس واحد ، وعندما انتهى الشيخ من تلاوته فى تلك الليلة والناس بين مصدق ومكذب أذنه فيما سمع ، كانت شهادة ميلاد واحد من أعظم القراء قد كتبت بآهات مستمعى تلك الليلة .

الوصول إلى الإذاعة

كان من الطبيعى أن يترامى الى مسامع الإذاعة ما صنعه الشيخ عبدالباسط فى حضرة الطاهرة ، فأرسلت إدارة الإذاعة من استدعى الشيخ أثناء إقامته بالقاهرة ليمثل أمام لجنة اختبار القراء الجدد ، فأجازته اللجنة وأدرجته فى قراء الفئة الأولى ممن كانت تلاواتهم تذاع صباحاً فى بداية إرسال الإذاعة ، وجاءت التلاوة الأولى للشيخ عبد الباسط من إذاعة القاهرة فى السابعة من صباح الأربعاء ٢٠ جمادى الثانى من سنة ١٣٧٠هـ والموافق ٢٨ مارس سنة ١٩٥١م (الإذاعة المصرية : العدد ٨٣٦ ، ١٩٥١/٣/٢٤م ، ص ٢٥) ، حيث قرأ الشيخ فى نصف ساعة ما تيسر له من سورة " فاطر " ، لقد استند هذا التحديد الدقيق لتاريخ التلاوة الإذاعية الأولى للشيخ عبد الباسط الى بحث شاق فى سجلات برامج الإذاعة التى نشرت بمجلة " الإذاعة المصرية " وبصحيفة " الأهرام " ، وأذيعت التلاوة الثانية للشيخ عبدالباسط -وهى ما تيسر له من سورة " الأنفال " - فى الساعة السادسة وخمس وأربعين دقيقة من صباح الثلاثاء ١٣ شوال ١٣٧٠هـ الموافق ١٧ يوليو ١٩٥١م ، هذا وقد نوهت الإذاعة المصرية عن تلك التلاوة بنشر أول صورة للشيخ عبد الباسط بالصفحة الثانية والعشرين فى العدد رقم (٨٥٢) من مجلة " الإذاعة المصرية " والصادر فى ١٩٥١/٧/١٣م ، وجاء تحت الصورة التعليق التالى :

" الشيخ عبد الباسط عبد الصمد .. ٦,٤٥ صباح الثلاثاء " ، وعندما سافر الشيخ عبد الباسط فى ركب الحج لتلك السنة (١٣٧٠هـ / ١٩٥١م) سبقته شهرته الى أرض الحجاز ، فتشرف بتلاوة القرآن الكريم فى الحرمين : المكىّ والمدنى ، وعندما التقى الشيخ خلال الحج بالعاهل السعودى : الملك عبد العزيز آل سعود ، أهداه العاهل الكبير طاقماً للزى السعودى ، وعقب عودة الشيخ الى القاهرة بعد أدائه لمناسك الحج ، نشرت مجلة " الإذاعة المصرية " بالصفحة رقم (٢٤) من عددها رقم (٨٨٤) الصادر فى ١٩٥٢/٢/٢٣م صورة له بالزى السعودى الذى أهداه اليه عاهل السعودية ، وكان تعليق المجلة على الصورة بالنص التالى : " الشيخ عبد الباسط محمد عبد الصمد بالزى العربى الذى أهداه اليه جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، استمع اليه الساعة ٧,٠٠ صباح الخميس (٢٩ إبريل ١٩٥٢ م) يرتل آى الذكر الحكيم " ، وكانت تلك هى التلاوة الثالثة للشيخ من الإذاعة ، وتضمنت ما تيسر له من سورة " الكهف " ، وهكذا توالت إذاعات الشيخ عبد الباسط الصباحية ، وتراوحت أيام تلك الإذاعات الصباحية - خلال ما تبقى من عام ١٩٥٢م من شهور - بين السبت والأربعاء ، وما أن أهل عام ١٩٥٣م ... حتى أقر الشيخ قارئاً للسورة بمسجد الإمام الشافعى بالقاهرة ، وظل قارئاً للسورة بمسجد الإمام الشافعى حتى عام ١٩٨٥م ، عندما انتقل ليأخذ مكان المرحوم الشيخ محمود على البنا فى قراءة السورة بمسجد الإمام الحسين بالقاهرة (طارق خليل : القرآن الكريم ومشاهير القراء ، ص ٤٨) .

سفير فوق العادة

شكلت الإذاعة فى أوائل عام ١٩٥٣م... لجنة لاختبار قراء القرآن بالإذاعة ، وكان من مهام تلك اللجنة وضع نظام دقيق

لتلاوة القرآنية بالإذاعة ، وذلك إضافة الى تصنيف القراء
لمعتمدين الى فئتين : ممتازة وأولى ، ومن المهم أن نذكر هنا
سماء المعتمدين فى تلك الفترة من قراء الإذاعة ، ومن هؤلاء
نذكر الشيوخ : عبد الفتاح الشعشاعى - منصور الشامى
الدمنهورى - عبد العظيم زاهر - محمد فريد السنديونى - محمد
عكاشة - مصطفى إسماعيل - محمود خليل الحصرى - محمود
عبد الحكم - مدين منصور مدين - محمود على البنا - محمود
محمود هاشم - محمد مصطفى الشرقاوى - عبد الرحمن الدروى
. محمد السعودى - كامل يوسف البهتيمى - محمد قنديل و عبد
لسميع بيومى ، هذا وقد وضعت اللجنة الشيخ عبد الباسط فى
الفئة الممتازة والتى كانت تقرأ قرآن السهرة فى الساعة التاسعة
من مساء كل يوم ، وقدر أجر قراء هذه الفئة بخمسة جنيهات
لتلاوة التى يبلغ زمنها نصف الساعة ، ومنذ عام ١٩٥٣ ...
ارتبط قرآن سهرة يوم السبت من إذاعة القاهرة بصوت الشيخ
عبد الباسط المميز.

أصبح الشيخ عبد الباسط منذ ذلك العام (١٩٥٣م) مطلوبا
فى جميع بقاع الأرض لسماع آيات القرآن الكريم بصوته
الساحر وكانت سفرته الثانية بعد سفرته الأولى للمملكة
العربية السعودية الى الجمهورية السورية فى شهر رمضان
لسنة ١٣٧٤هـ - الذى وافقت معظم أيامه شهر مايو من عام
١٩٥٥م حيث أحيا الشيخ ليالى الشهر الكريم بتلاوة آى الذكر
الحكيم فى المسجد الاموى بدمشق وإلى يومنا هذا تفرج
خزانات الهواة ومكتبة الإذاعة بين الحين والآخر عن البعض من
نفائس تلاواته فى ذلك الشهر ثم صاحب الشيخ زميله الجديد
فى الفئة الممتازة من قراء الإذاعة وابن الصعيد مثله : الشيخ

محمد صديق المنشاوى فى رحلة الى اندونيسيا فى نفس العام (١٩٥٥م) حيث تبارى الموهوبان الكبيران فى ترتيل آيات الذكر أمام الآلاف من الاندونيسيين الذين جاءوا سعيًا لتشنيف آذانهم وعمارة قلوبهم بالتلاوة الساحرة من المبدعين الكبيرين .

امتدت رحلات الشيخ عبد الباسط التى قرأ فيها القرآن لعموم المسلمين فيما بين مشارق الأرض ومغاربها حتى لا نجد قارئًا فى العصر الحديث قرأ القرآن فى هذا العدد من الدول على مستوى العالم فمن اندونيسيا فى أقصى الشرق .... ذهب الشيخ ليقرأ لملايين المسلمين فى ماليزيا وباكستان والهند وفى العالم العربى ...قرأ تقريبا فى كل الدول من العراق وحتى المغرب

ولعل يما ذكره الشيخ للإذاعى والإعلامى على فايق زغلول فى العدد رقم (١٣٢٢) من مجلة "الإذاعة " الصادر فى ١٦/٧/١٩٦٠م عما ناله من أوسمة حتى تاريخ الحديث .... ما يعبر عما زاره من دول ولقيه من تكريم فقد ذكر الشيخ عبد الباسط لعلى فايق زغلول انه يحمل خمسة أوسمة بيانها كالتالى :- وسام الاستحقاق السورى من الدرجة الثانية وسام الإخلاص السورى من الدرجة الأولى وسام من لبنان وسام من اندونيسيا ووسام الكفاءة من المغرب (على فايق زغلول : من علوى للشريفين ، الإذاعة ، العدد ١٣٢٢ ، ١٦/٧/١٩٦٠م ، ص ٣٦-٣٧).

لم تقتصر قراءات الشيخ عبد الباسط على دول الشرق والعالم العربى وإنما امتدت الى شتى بقاع المعمور من الأرض وأينما وجد المسلمون فقد أحيا ليلتين قرآنيتين على مسرح " الاماندييين " بباريس كما ذكر طارق خليل فى كتاب " القرآن الكريم ومشاهير القراء " وقد أمضى شهرا فى جنوب إفريقيا

يقرأ القرآن للمسلمين من أهلها، وزار من الدول الإفريقية أيضا الصومال ونيجيريا والسنغال وأوغندا وطار الى الولايات المتحدة الأمريكية ليقرأ لمسلميها على امتداد أربع عشرة ولاية كما ذكر الكاتب احمد البلك فى كتابه " أشهر من قرأ القرآن فى العصر الحديث "، وهكذا عمل الشيخ عبد الباسط وبدأب لا يعرف الكلل وخلال مشواره الطويل مع تلاوة القرآن... على أن يصل القران بصوته الى المسلمين المعجبين به فى شتى بقاع الأرض فكان وبحق سفيراً فوق العادة لكتاب الله .

صوت عظيم

يجمع كل من تصدوا لتحليل تلاوات الشيخ عبد الباسط على تميّز صوته وتفرد أدائه وعن ذلك يقول الناقد الراحل كمال النجمى : "وإذا نظرنا الى صوت الشيخ عبد الباسط فى قمة نضجه، بين أواسط الستينيات وأواخر السبعينيات بدت لنا صورة تكوينه السهل الممتنع فى مساحته الممتدة المتألقة من طبقة التينور الغنائى "(كمال النجمى : المصدر السابق) والتينور هو أعلى وأصدح أصوات الرجال ثم يبحر الأستاذ النجمى فى عباب صوت الشيخ فيزيد حديثه عن ذلك الصوت إيضاحا بقوله : " كان صوته بمقاماته الخمسة عشر يرتل القرآن ترتيلا عارضا على مستمعيه معانيه وألفاظه عرضا طيبا وكان كثير التحزن فى قراءته دائم التعريج على نغمة الصبا الحزينة يلون بها قراءته مهما كان المقام الاصلى الذى يقرأ فيه» (كمال النجمى : المصدر السابق) لقد أوتى الشيخ صوتا كاملا مما جعل بعض من حاوروه من كتاب وصحفيين يعرج فى حديثه لسؤال الشيخ عن العلاقة بين الغناء والترتيل فكان رد الشيخ أن رخامة الصوت هى الشىء المشترك فقط بينهما فبينما والحديث مازال للشيخ عبد الباسط الغناء غير مقيد بأحكام ويستطيع المطرب أن يتصرف كيف شاء ، فإن الترتيل تقيده أحكام لا يمكن أن يتعداها

المقرئ (على فايق زغلول : المصدر السابق) وبالرغم من ذلك ... فقد كان الشيخ فى بداية شهرته وربما بسبب وسامته وأناقته الملحوظة هدفا لمداعبات بعض الصحف حتى أن بعض الصحف والمجلات أطلقت عليه لقب "الشيخ عبد الباسط براندو "، وكم استاء الشيخ من هذا اللقب ولكنه - ولأنه تخلق بما يقرأ من كلام الله -لم يدر بخلده يوماً أن يقاضى من أطلقوا عليه هذا اللقب ، ولكن رده على تلك المعابثات كان من جنس خلقه حيث شرع فى بناء مسجد كبير ببلدته: أرمنت وعندما اكتمل بناء المسجد الكبير الذى بلغت تكاليف إنشائه مبلغا قدر بعشرين ألفاً من الجنيهات افتتحه شيخ الأزهر آنذاك الإمام الأكبر د.محمد الفحام فى يوم الجمعة الموافق ١٩٧١/١/٨م وقد نقلت الإذاعة على الهواء مباشرة وقائع صلاة الجمعة فى ذلك اليوم والتى بدأت بتلاوة لآى الذكر الحكيم قدمها الشيخ مصطفى إسماعيل (الأهرام : من غير عنوان ١٩٧١/١/٥م ص ١٠).

لقد خلف الشيخ عبد الباسط ثروة من التلاوات الفذة التى أظهرت مكامن عظمة صوته حتى أن المقام يضيق بذكر أمثلة لها ولكننى لن انسى ما حييت تلاوته المعجزة فى سنوات الخمسينات من القرن الماضى لسورة "الحاقة " التى كان يبدأ بها تلاوته من قصار السور وقد ترك الشيخ ثلاث ختمات للقرآن الكريم : الأولى مجودة والثانية مرتلة برواية حفص عن عاصم والثالثة مرتلة برواية ورش عن نافع لقد رحل الشيخ عبد الباسط عن دنيانا بعد رحلة طويلة مع المرض وعقب صلاة عصر يوم الخميس ٣٠ نوفمبر من سنة ١٩٨٨م ولكن ما قدمه للقرآن خلال قرابة نصف قرن جعل منه أكثر الأصوات التى تجملت بتلاوة القرآن قربا الى قلوب الملايين ... التى أحبته وعشقت تلاوته حاضراً وغائباً.

الفصل الخامس عشر



محمد صديق المنشاوي

مسك الختام

لأسباب من ظاهرها عندى ميلى الغريزى للحزن والشجن ومن خفيها عشق والدي - رحمه الله - لتلاوات القاريء الشيخ محمد صديق المنشاوي، وجدت نفسى متعلقا منذ طفولتي بصوت الشيخ محمد صديق المنشاوى لا أفضل عليه أحداً من قراء الكوكبة اللامعة الذين جملوا أصواتهم بتلاوة آيات الذكر الحكيم وأضاءت تلاواتهم قلوب المصريين وعموم المسلمين فى عقد الخمسينات من القرن الماضى إن أحدا لم يجعلنى أبكى حال سماعى للقرآن كما أبكانى الشيخ محمد صديق المنشاوى بتلاواته لآيات عديدة من سور كثيرة.

الميلاد والتكوين

ولد محمد صديق السيد تائب المنشاوى فى ٢٠يناير من عام ١٩٢٠م بالمنشاة من أعمال جرجا (محافظة سوهاج حاليا) وكان والده الشيخ صديق المنشاوى قارئا مشهورا ومعاصرا لرواد التلاوة فى مطالع القرن العشرين من أمثال الشيوخ: أحمد ندا و منصور بدار و على محمود و محمد رفعت وعبدالفتاح الشعشاعى وغيرهم وقد شاهدت الشيخ صديق واستمعت الى بعض تلاواته فى سنوات طفولتى وصباى خلال خمسينات القرن العشرين بمدينة قوص كذلك كان والد الشيخ صديق وجد الشيخ محمد محفظا للقران بالمنشاة بل إن عم الشيخ محمد وهو الشيخ أحمد السيد كان قارئا ذائع الصيت فى صعيد مصر (أحمد البلك : الشيخ صديق المنشاوى ... أمين القرآن، أكتوبر ، العدد ٦٦٤ ، ١٩٨٩/٧/١٦م ، ص ٣٢ - ٣٣) هكذا شبّ

الفتى محمد صديق بصوته الجميل الذى يحمل رنة حزن شفيف لا تخطئه أذن...... فى بيت نذر كل من فيه نفسه لخدمة القرآن وقراءته فأتم حفظ القرآن وهو فى الحادية عشرة من عمره على يد محفظ شهير بالمنشاة يدعى الشيخ محمد النمكى ثم سافر الى القاهرة بعد ذلك فى معية والده ليستكمل ما رأى الوالد أنه ينقصه من علوم القرآن الكريم فتلقى علوم التجويد والقراءات على يد الشيخين محمد أبو العلا ومحمد سعودى (أحمد البلك : المصدر السابق) ، وقد أخذ الشيخ محمد صديق أصول الإنشاد الدينى عن والده الشيخ صديق والذى كان واحدا من المنشدين المبرزين (فى برنامج اليوم : الإذاعة المصرية ، العدد ١٠٠٤ ، ١٢/٦/١٩٥٤م، ص٤٥) ، ولينطلق بعد ذلك من خلال الليالى والمناسبات الدينية فى مديريات الصعيد التى كان يحييها بالإنشاد الدينى وتلاوة القرآن الكريم حتى ذاعت شهرته فى جميع مدن الصعيد.

الشهرة والإذاعة

انعكس المنهج الفكرى للشيخ صديق على مستقبل ابنه الأكبر الشيخ محمد فقد كان الأب عازفا عن الشهرة والسعى وراء المال مما جعله اقرب الى الزهاد والمتصوفين حتى انه لم يذهب ليقرأ القرآن بالقاهرة وبعد أن ذاعت شهرته فى كل الصعيد -إلا مرة واحدة فى عام ١٩٥٠م ، عندما ذهب ليشارك فى إحياء ليالى مأتم الشيخ محمد رفعت (محمود السعدنى : ألحان السماء ، ص ٩٤) ، فشب الابن على منهج أبيه وعمل بإحياء الليالى والمناسبات الدينية فى مدن الصعيد كمنشد وقارئ للقرآن فاجتذب صوته المميز الذى اجتمعت فيه عناصر القوة والعذوبة واتساع المساحة التى تبلغ حوالى ديوانين كاملين اجتذب ذلك الصوت الفريد أسماع الناس فى مدن الصعيد وقراه فتعلقت به القلوب واشتد عليه الطلب لإحياء الليالى والمناسبات الدينية

حتى جاء شهر رمضان من سنة ١٣٧٣هـ والذى صادف صيف عام ١٩٥٣م ، حيث كان الشيخ محمد الذى بلغ من العمر آنذاك أكثر من ثلاثة وثلاثين عاما مقيما بمدينة إسنا لإحياء ليالى الشهر الكريم بقراءته الساحرة لآيات الذكر الحكيم وفى إحدى ليالى رمضان من تلك السنة هبطت إسنا بعثة إذاعية جاءت لتنقل وقائع ليلة رمضانية من تلك المدينة القابعة قرب الحدود الجنوبية لمحافظة قنا إلى أسماع كل المصريين كانت الإذاعة فى تلك الأيام الأولى من عمر ثورة يوليو ١٩٥٢م قد اختطت لنفسها نهجاً جديدا فى العمل قوامه الذهاب الى الناس بحثاً عن الدرر المدفونة فى القرى والنجوع البعيدة عن أضواء العاصمة ، وترفيها عن الشعب الذى عانى طويلا من الحرمان الروحى والمادى فى تلك الليلة ولد نجم جديد فى دولة قراءة القرآن عندما سمع الناس من القارئ الجديد عجبا .

كثر الحديث عن القارئ الجديد فى القاهرة مما حدا بالأستاذ محمد أمين حماد -المدير العام للإذاعة المصرية -أن يبعث فى طلبه ليجلس الشيخ القادم من المنشاة يسبقه الصيت الحسن ويحيطه إعجاب المستمعين أمام لجنة اختبار القراء الجدد فى الإذاعة فقد كانت الإذاعة تدار- آنذاك - وفق ضوابط صارمة تضمن انتقاء الأجود ليذاع على الناس تكونت تلك اللجنة فى أوائل عام ١٩٥٣م من تسعة أعضاء هم :- فضيلة الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء (رئيسا) الدكتور محمد عبدالله دراز(عضو المجلس الأعلى للإذاعة) الشيخ عبد الفتاح القاضى (شيخ معهد القراءات بالأزهر)- الشيخ على محمد الضباع (شيخ عموم المقارئ المصرية) الأستاذ عبد الوهاب حمودة (أستاذ الإلقاء بكلية الآداب) الأستاذ عبد الحميد يونس (مراقب عام البرامج العربية بالإذاعة) الأستاذ محمود حسن إسماعيل (مراقب البرامج الثقافية بالإذاعة)

الأستاذ محمد حسن الشجاعى (مستشار الموسيقى و الغناء بالإذاعة) والأستاذ محمد محمود شعبان (مراقب التنفيذ بالإذاعة) اختبرت تلك اللجنة مائة وعشرين قارئا فى موسم (١٩٥٣ ١٩٥٤م) وأجازت منهم مجموعة من أبدع الأصوات التى تجمّلت بقراءة القرآن نذكر من هذه المجموعة الشيوخ :- محمد صديق المنشاوى محمود الحصرى محمود على البنا منصور الشامى الدمنهورى عبدالرحمن الدروى محمود عبدالحكم وكل الفئة القليلة من الأصوات التى حملت طابع الفترة المتصف بالموهبة والإحكام والرصانة وحده الشيخ محمد صديق المنشاوى الذى صنفته تلك اللجنة (الرهيبة) فى الفئة الممتازة من القراء والفئة الممتازة هى التى كانت تضم مجموعة قراء فترة المساء ، تلك المجموعة التى كانت تذاع تلاواتها فى التاسعة من كل مساء ضمت تلك الفئة الممتازة القراء الشيوخ :- مصطفى إسماعيل طه الفشنى عبدالباسط عبدالصمد أبو العينين شعيشع عبد الفتاح الشعشاعى محمد صديق المنشاوى كامل يوسف البهتيمى وأما بقية من أجازتهم اللجنة من قراء للقرآن الكريم فى الإذاعة فقد أدرجوا جميعا فى الفئة الأولى وهى الفئة التى تضم قراء الصباح (هل تريد أن تتلو القرآن فى الإذاعة ؟ : الإذاعة ، العدد ١٠٩٨، ١٩٥٦/٣/٣١م ، ص ٢٤ - ٢٥) ، جاءت التلاوة الأولى للشيخ محمد صديق المنشاوى من إذاعة القاهرة فى التاسعة من مساء الأحد ١٢ شوال سنة ١٣٧٣هـ الموافق ١٣ يونيو ١٩٥٤م (برنامج الأحد ١٣ يونيو ١٩٥٤ م: الإذاعة ، العدد ١٠٠٤ ، ١٩٥٤/٦/١٢م، ص ٤٥) وكانت تلك التلاوة لما تيسر له من قصار السور، ثم تبعتها التلاوة الثانية فى التاسعة من مساء الأربعاء ٢٩ شوال سنة ١٣٧٣هـ والموافق ٣٠ يونيو ١٩٥٤م ومنذ هذا التاريخ .... ارتبطت تلاوة الشيخ بيوم الأربعاء حتى صار وبحق " صديق الأربعاء ".

قارئ مثالى

اجتمعت فى صوت الشيخ محمد صديق عناصر القوة والعذوبة والإحساس بقدر وافر من كل عنصر مما جعل من صوته حالة نادرة فى دولة قراءة القرآن بمصر والعالم الإسلامى خلال القرن المنصرم ويتضح لنا عنصر القوة فى صوته من النهج الذى إختطه لتلاواته وبالأخص الحىّ منها (أى الذى يكون فى حضور المستمعين) ويتخلص هذا النهج فى افتتاحه التلاوة من طبقة صوتية منخفضة ، وقد حبا الله الشيخ صوتا سليما بالغ العذوبة مقتدر على الأداء فى طبقات أو مناطق الصوت الثلاث وهى القرار والوسط والجواب ثم يتنامى الأداء ويتصاعد بحدّة صوته من خلال قراءة بضعة آيات لا تجاوز الآحاد حتى إذا بلغ احدّ الأصوات فى طبقة الجواب من صوته ..... استمر عليها فى كل التلاوة ليبرز من خلال الامتدادات الصوتية عند الدرجات الأعلى من النغمة التى يقرأ منها مدى ما يتمتع به صوته من قوة ولنأخذ مثلا هنا تلاوته المعجزة لما تيسر له من سورة "يوسف" والتى يتضح من أصوات المستمعين أنها سجلت فى إحدى الدول العربية وان كنت أرجح أنها بالمملكة العربية السعودية بدأ الشيخ تلاوته من أول السورة وحتى الآية السابعة بأداء متصاعد يقفز فيه من الدرجة الى الدرجة الأعلى من درجات سلم النغمة او المقام الذى يقرأ فيه فإذا استوى عند الدرجة أو الصوت السابع للمقام وهو يقرأ الآية السابعة : " إذ قالوا ليوسف وأخوه أحبّ الى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلال مبين " استمر على تلك الدرجة التى تمثل ضغطاً هائلا على حجابه الحاجز لا يهبط الى ما دونها إلا قليلا وحسب القارئ اليوم أن يستمع لصوت الشيخ (التينور) وهو يقرأ من الآية التاسعة عشرة فى سورة "يوسف" من تلك التلاوة وينصت الى ترجيعاته الحادة لقول الله عز وجل : " وجاءت سيارة فأرسلوا

واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة "
ويتوقف عند علامة الوقف فى الآية وطبقا للرسم العثمانى
للقرآن الكريم ليتيقن القارئ أن الشيخ قد حباه الله صوتا من
اقوى وأجمل ما عرفت دولة قراءة القرآن من أصوات .

وتجئ عذوبة صوت الشيخ محمد صديق من نصاعة تصويره
ونطقه لحروف الكلمات يخرجها من مخارجها المتعددة ناصعة
الصفات مبهرة الجرس مستوفية ما اتفق عليه علماء الصوت
واللغة من شروط وقواعد وليصبح الشيخ مستوفيا لصفات
القارئ المثالى التى قال عنها الناقد الكبير كمال النجمى : "
القارئ المثالى يعتنى كل العناية بإبانة الحروف وتمييز بعضها
من بعض ، وإظهار التشديدات ، وتوفية الغنات ، وإتمام الحركات
وتفخيم ما يجب تفخيمه من الحروف ، وترقيق ما يجب ترقيقه،
وقصر ما يجب قصره ، ومد ما يتفق مده والوقوف على ما يصح
الوقوف عليه " (كمال النجمى : أصوات وألحان عربية ، ص ١٧٤)
، إن المجال يضيق عن ذكر أمثلة للمخارج المضيئة للحروف عند
الشيخ ولكن نطقه للهمزة فى مطالع الكلمات الداخلية من
الآيات يعد أمرا باهرا لا يسمع عند غيره ، وأما الإحساس فى
تلاوة الشيخ ... فإن الحديث فيه يطول ، ولضيق المجال يمكن
القول بأن إحساس الشيخ بما يقرأ يعد الأثمن بين مواهبه ، ينبع
الإحساس فى تلاوة الشيخ من اعتماده على المقامات الموسيقية
ذات الأرباع الصوتية مثل البياتى والراست والحجاز والصبا ،
وهى مقامات يسهل من خلالها التعبير عن المشاعر والعواطف
فإذا كان الشيخ يقرأ آية من آيات الوعيد او العذاب فإن نغمة
الصبا تصلح للتعبير عن عاطفة الحزن أو الخوف وليستمع اليه
من يريد أن يتبين ذلك وهو يقرأ الآية رقم (٦١) من سورة "
الشعراء " :" فلما تراءا الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون "
ليلمس المستمع بإذنه كيف صور الشيخ بصوته ومن خلال التلوين

النغمى ما أصاب قوم موسى من روع عندما قارب جيش فرعون على اللحاق بهم وفى تلاوته التى لا يجئ الدهر بمثلها لسورة " الرحمن " فإن تمثيله الصوتى لجملة " وردة كالدهان " من الآية رقم (٣٧) :" فإذا أنشقت السماء فكانت وردة كالدهان " لا يتكرر لقد كان إحساس الشيخ بما يقرأ من آيات كتاب الله عميقا مما أسبغ طابعاً من الحزن الشفيف على كل تلاواته.

حب جارف

اجتذب طابع الحزن المغلف لأداء الشيخ محمد صديق لآيات القرآن قلوب المستمعين اليه فى مشارق الأرض ومغاربها إن الحكايات حول تعلق القلوب والآذان بتلاواته لا حصر لها ولكنى سأكتفى من هذه الحكايات باثنتين أولاهما نشرتها مجله " الإذاعة " فى صورة خبر فى باب " أخبار تهمك " كان نص الخبر كما يلى : " الإذاعة المصرية ... تلقت كتابا من (مستمع انجليزى) بلندن يبدى إعجابه بصوت الشيخ محمد صديق المنشاوى فى تلاوة القرآن الكريم وقد أشّر السيد مدير الإذاعة على هذا الكتاب بتسجيل أسطوانة لفضيلته وإرسالها هدية للمستمع المذكور مع تحيات الإذاعة " (أخبار تهمك : الإذاعة ،العدد ١١٠٧، ١٩٥٢/٦/٢م ،ص ٤٩) وأما ثانية الحكايات فقد كنت شاهدا عليها فى مدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية فى احد أيام صيف عام ١٩٩٥م ففى عصر ذلك اليوم كنت استمع الى صوت الشيخ محمد صديق فى شريط أردت شراءه من معرض للصوتيات ملحق بإحدى محطات تموين السيارات بالوقود وكان صوت الشيخ ينساب فى أرجاء المحطة من خلال سماعات خارج المعرض فإذا بى أرى شيخاً يقارب السبعين أو يجاوزها ..... تضئ وجهه لحية بيضاء لا اثر للسواد فيها غادر الشيخ السعودى سيارته مسرعا الى معرض الصوتيات قال الشيخ للبائع الذى كان يختبر صوت الشريط الذى طلبته : هل

عندكم شـرائط للمنشـاوى ؟ فلمـا أجـابه البـائع بنعم قـال له الشيخ السعودى : أعطنى كل ما عندك للمنشاوى!.

عبـر البسطـاء من الناس فى مشارق الأرض ومغـاربهـا عن حب عظيم لصوت الشيخ وتلاواته ، وهو ما يلمسه المتابع الآن لتداول تسجيلاته بين أجيال لم تعاصره ولم تشهد إعجاز تلاواته بأعينها ، وجاء التقدير الرسمى للشيخ متوافقاً مع مشاعر الناس نحوه ، حيث منح وسام الاستحقاق السورى من الطبقة الثانية بعد إحيائه لبـعض ليـالى شـهـر رمضـان من سنة ١٣٧٥هـ بتـلاوة القـرآن فى بعض أشهـر المساجد السورية ، والتى نذكر منها المسجد الأموى ومسجد مصطفى لالا باشا بمدينة دمشق ، هذا وقد أنعم بنفس الوسـام كل من الشيـخـين عبدالفتـاح الشعشـاعـى وأبو العـينين شعيشع (أخبار تهمك : الإذاعة ، العدد ١١١٣ ، ١٩٥٦/٧/١٤م ، ص ٤٧) ، وعندما زار الشيخ محمد صديق أندونيسيا بصحبة الشيخ عبد الباسط عبد الصمد فى عام ١٩٥٥م ، كرم الرئيس الاندونيسى أحمد سوكارنو الشيخين بمنحهما وسام الاستحقاق من الطبقـة الأولى (محمـد الشندويلى : سفـراء القـرآن ، اللواء الإسـلامى ، العـدد ١١٩٠ ، ٢٠٠٤/١١/١١م ، ص ١٢) ، وكـان آخر ما أهدى إلى اسم الشيخ محمد صديق المنشاوى من أوسمة ... وسـام الاستـحقـاق المصرى من الطبقـة الأولى، عندمـا كـرم الرئيس محمد حسنى مبارك اسم الشيخ فى الاحتفال بليلة القدر خلال سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م (شكرى القاضى: المصدر السابق ، ص١١١) .

ثروة قرآنية

خلف الشيخ محمد صديق المنشاوى على قصر عمره – ثروة رائعـة من التـلاوات القـرآنية فـقـد أتم ختـمـه للمصـحف المرتل برواية حفص عن عاصم ،وهى الختمة التى تقدمها الآن " إذاعة

القرآن الكريم " من القاهرة وجميع الإذاعات والفضائيات الإسلامية وتنتشر تسجيلات الشيخ للمصحف المجود بين إذاعات العالم الإسلامى ومقتنيات الهواة ومن بينها تسجيلات لحفلات بلغت فيها تجليات الشيخ شأوا عظيما من التوفيق والإجادة نذكر من هذه التسجيلات تلاواته لسور: (يوسف ١ - ٢٧) -(مريم :١-٤٠) - (الأنفال : ١-١٧) - (الروم : ٧ - ٥٤) - (ق : ١٦- ٤٥) و(الرحمن :١-١٧)-(الزخرف : ٦٨-٨٩ والدخان : ١-٨) وقصار السور، وهى تسجيلات أخذ بعضها فى مساجد بالقاهرة وبعض المدن المصرية وأخذ المتبقى منها الأخر فى دول إسلامية منها المملكة العربية السعودية وسوريا وليبيا وقد تمكنت إحدى شركات الصوتيات السعودية مؤخرا -وبعد جهد استمر لسنوات -من أن تطرح المصحف المجود كاملا بصوت الشيخ فى الأسواق .

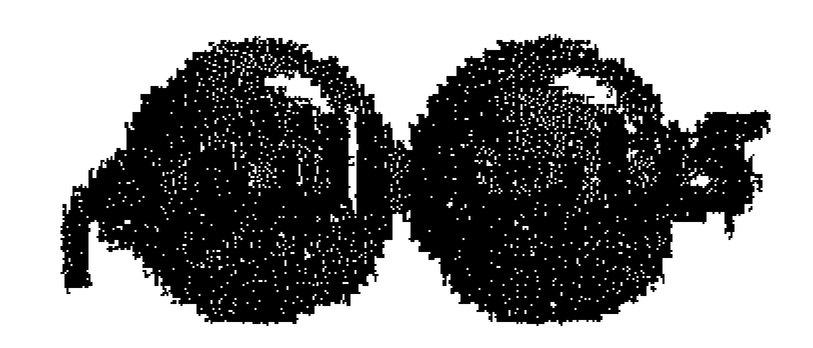
رحيل ثم انهيار

كان الظلام حالكاً فى ليلة السبت الواحد والعشرين من شهر يونيو لسنة ١٩٦٩م فقد وافقت الليلة مساء الرابع من شهر ربيع الأخر لسنة ١٣٨٨هـ ليتحالف البدر الوليد مع شروط تقييد الإضاءة المطبقة فى تلك الأيام من حرب الاستنزاف كنت ليلتها فى منزل الأسرة بقوص حين انطلق صوت الشيخ محمد صديق من إذاعة القاهرة فى الثامنة يقرأ قرآن السهرة دهش السائرون فى الشوارع المظلمة يتخبطون فى خطواتهم وتعالت الأصوات تسأل : ماذا حدث حتى تخطئ الإذاعة ؟ فقد كان قارئ السبت هو الشيخ عبد الباسط عبد الصمد بينما تعود الناس أن يصافح مسامعهم صوت الشيخ محمد صديق فى مساء الأربعاء من كل أسبوع ولم تطل بالناس الحيرة والتساؤلات حتى صك سمعهم نعى الشيخ يقرأه مذيع الليلة فى أعقاب التلاوة لقى الشيخ محمد صديق المنشاوى وجه ربه فى يوم الجمعة ١٩٦٩/٦/٢٠م، وهو لم يتم بعد التاسعة والأربعين من عمره

وذلك عقب عملية بسيطة أجراها لاستئصال اللوزتين وكما ذكرت صحيفة "الجمهورية" بعد رحيله (الجمهورية : الأحد ١٩٦٩/٦/٢٢م ، ص٦)، جاء الرحيل المبكر للشيخ محمد صديق المنشاوى ليكون نذيرا ببدء تقوض أركان دولة التلاوة فقد سبقه الى الرفيق الأعلى بأسابيع قليلة القارئ الفذ الشيخ كامل يوسف البهتيمى الذى رحل عن عالمنا فى يوم ١٩٦٩/٢/٦م وبتوالى رحيل النجوم من قراء القرآن الكريم زحفت الى الإذاعات والتليفزيونات والفضائيات نوعية جديدة من القراء من المقلدين أو من ذوى المواهب المتوسطة ممن لا يصلحون إلا لقراءة القرآن فى سرادقات العزاء أو فى مساجد القرى والمدن البعيدة عن العاصمة إن من يستمع الآن الى أصوات قراء أيامنا هذه ممن يلحق بأسمائهم لقب " قارئ بالإذاعة والتليفزيون " يشعر بالأسى والحزن عند مقارنته لتلاوات المحدثين من القراء بتجليات النجوم من نوعية " صديق الأربعاء ".

الفهـــــرس

صدر عن



- الحريم والسلطة - سلمى قاسم جودة - أغسطس ٢٠٠٥.
- نجيب محفوظ والإخوان المسلمون - مصطفى بيومى - سبتمبر ٢٠٠٥.
- المسلمون فى الصين - د. عبد العزيز حمدى - أكتوبر ٢٠٠٥.
- ملكة تبحث عن عريس - رجاء النقاش - نوفمبر ٢٠٠٥.
- الحب والضحك والمناعة - د. عبد الهادى مصباح - ديسمبر ٢٠٠٥.
- عبقرية المسيح - عباس محمود العقاد - يناير ٢٠٠٦.
- كتاب الحب - يسرى الفخرانى - فبراير ٢٠٠٦.
- كلمات للضحك والحرية - على سالم - مارس ٢٠٠٦.
- قضية سيدنا محمد - محمود صلاح - أبريل ٢٠٠٦.
- فوبيا الإسلام فى الغرب - د. سعيد اللاوندى - أبريل ٢٠٠٦.
- زمن سيدى المراكبى - مجموعة قصص لأكثر من كاتب - مايو ٢٠٠٦.
- حكاية ابن سليم - على عيد - يونيو ٢٠٠٦.
- إبليس - عباس محمود العقاد - يولوى ٢٠٠٦.
- فكرة - مصطفى أمين - أغسطس ٢٠٠٦.
- ثقافة المصريين - فؤاد قنديل - سبتمبر ٢٠٠٦.
- احجز مقعدك فى الجنة - جمال الشاعر - أكتوبر ٢٠٠٦.
- "إسكندرية شرقا وغربا" و"عمدة عزبة المغفلين" - محمد محمد السنباطى ورضا سليمان - نوفمبر ٢٠٠٦.
- مع ابن خلدون فى رحلته - د. خالد عزب ومحمد السيد - ديسمبر ٢٠٠٦.
- الراقصون على النار - محمود النواصرة - يناير ٢٠٠٧.
- تأملات فى العقل المصرى - طارق حجى - فبراير ٢٠٠٧.
- دفاعاً عن المرأة - د. جابر عصفور - مارس ٢٠٠٧.
- كان زمان يا مان - سمير الجمل - أبريل ٢٠٠٧.
- عماد مغنية الثعلب الشيعى - مجدى كامل - مايو ٢٠٠٧.
- تنوير طه حسين - سامح كريم - منتصف يونيو ٢٠٠٩.
- اللحظات الأخيرة فى حياة جمال عبد الناصر - عمرو الليثى - يوليو ٢٠٠٩.
- المغنى والحكاء - فاطمة ناعوت - منتصف يوليو ٢٠٠٩.
- مبروك لولو حامل - د. سامى هاشم - اغسطس ٢٠٠٩.
- رحلتى الى الله - عادل حمودة - سبتمبر ٢٠٠٩
- ثقافتنا بين الوهم والواقع - طارق حجي - اكتوبر ٢٠٠٩
- حاجز الخوف - محمود النواصرة - نوفمبر ٢٠٠٩
- فتيات للفرجة فقط - عزت السعدني - منتصف نوفمبر ٢٠٠٩
- المعاني فى الاغاني - سليمان الحكيم - ديسمبر ٢٠٠٩
- المتعاقدون - تحية وداع للحمير - منتصف ديسمبر ٢٠٠٩
- اسوق الغمام - احمد الشهاوى - يناير ٢٠١٠
- المصريون الجدد - سلمي قاسم جودة - منتصف يناير ٢٠١٠
- يوسف وهبى. السيرة الاخري لاسطورة المسرح. د. لوتس عبد الكريم - فبراير ٢٠١٠
- الضعف الجنسى والانجاب. د. عادل أبوطالب. منتصف فبراير ٢٠١٠
- تصبح على خير ايها الحزن. سهام ذهني - مارس ٢٠١٠
- بشر تحت الطلب - حنان ابو الضياء - منتصف مارس ٢٠١٠

- عقارة الجسد - صلاح عبد السيد - ابريل ٢٠١٠
- الصيدلي الاكلينيكي - د. احمد عبد العزيز - منتصف ابريل ٢٠١٠
- عمارة الأضرحة - محمد عبد السلام العمري - مايو ٢٠١٠
- توتة توتة بدأت الحدوتة - سماح أبوبكر عزت - يونيو ٢٠١٠
- الشوارع فى الرواية المصرية. هالة فؤاد. يوليو ٢٠١٠
- النبي محمد فى الأدب المصري. اغسطس ٢٠١٠
- مقومات النجاح فى الحياة. د. كلير فهيم. سبتمبر ٢٠١٠
- فى الليل تتعدد الظلال. محمد جبريل. أكتوبر ٢٠١٠
- متاعب الحمل والولادة. د. عماد اليماني. منتصف اكتوبر ٢٠١٠
- خلف الستار.. وجه اخر لافغانستان. خالد منصور. نوفمبر ٢٠١٠
- أوهام الحب والزواج. د. ايمن حامد. منتصف نوفمبر ٢٠١٠
- كناري. أحمد الخميسي. ديسمبر ٢٠١٠
- اتصل في وقت لاحق. زينب عفيفي. يناير ٢٠١١
- وسريرهما أخضر. محمد البساطي. فبراير ٢٠١١
- العرب ومحرقة اليهود - ترجمة د. رمسيس عوض - يونيو ٢٠٠٧.
- رحلات بنت قطقوطة - يوليو ٢٠٠٧.
- أسئلة الحب الصعبة - يسرى الفخراني - أغسطس ٢٠٠٧.
- مصر القديمة فى عيون حديثة - جمال بدوى - سبتمبر ٢٠٠٧.
- ١٠٠ سنة سينما - عزت السعدني - أكتوبر ٢٠٠٧.
- رقص الطبول - ترجمة محمد إبراهيم مبروك - نوفمبر ٢٠٠٧.
- ياقلب مين يشتريك - سعيد الكفراوى - ديسمبر ٢٠٠٧.
- شيطان فى بيتى - عزت السعدني - يناير ٢٠٠٨.
- الملكة فريدة وأنا - د. لوتس عبد الكريم - فبراير ٢٠٠٨.
- صورة المرأة المسلمة فى الإعلام الغربي - د. فوزية العشماوى - مارس ٢٠٠٨.
- صكوك الغفران الأمريكية - معصوم مرزوق - أبريل ٢٠٠٨.
- أجمل قصص الحب من الشرق والغرب - رجاء النقاش. مايو ٢٠٠٨.
- حصاد الذاكرة - أحمد إبراهيم الفقيه - يونيو ٢٠٠٨.
- سرى الصغير - مكاوى سعيد - يوليو ٢٠٠٨.
- روكا والملك - عبد القادر محمد على - أغسطس ٢٠٠٨.
- الفسطاط عاصمة مصر الإسلامية - د. خالد عزب - سبتمبر ٢٠٠٨.
- من علم محمداً هذا - جلال السيد - سبتمبر ٢٠٠٨.
- نفايات إسرائيل البشرية - فؤاد حسين - أكتوبر ٢٠٠٨.
- سوق الجمعة - فؤاد قنديل - أكتوبر ٢٠٠٨.
- أمريكا فى مفترق الطرق - د. حمدى صالح - نوفمبر ٢٠٠٨.
- مصطفى محمود.. سؤال الوجود - د. لوتس عبد الكريم - ديسمبر ٢٠٠٨.
- زائرة الأحد - عبد الرشيد الصادق محمودي - يناير ٢٠٠٩.
- امرأة على الحافة - د. سعاد جابر - منتصف يناير ٢٠٠٩.
- لماذا؟ - شريف الشوباشى - فبراير ٢٠٠٩.
- الريفى - يوسف أبورية - مارس ٢٠٠٩.
- زمن جميل مضى - د. جابر عصفور - أبريل ٢٠٠٩،
- أيام مع الولد الشقى - سامى كمال الدين - منتصف أبريل ٢٠٠٩.
- نزول النقطة - جمال الغيطانى - مايو ٢٠٠٩.
- حكايات من بلاد غريبة - فتحى الجويلى - منتصف مايو ٢٠٠٩.
- ما ليس يضمنه أحد - خيرى شلبى - يونيو ٢٠٠٩.

بطاقة فهرسة

محمود، نبيل حنفى .
نجوم العصر الذهبى لدولة التلاوة /نبيل حنفى محمود
ط١ ـ القاهرة : دار أخبار اليوم ، ٢٠١١
٢٠٥ ص ، ٢٠ سم . – (كتاب اليوم)
تدمك ٠٩٧٧٠٨٩٧١٧٥
١ ـ المقرئون المصريون
٢ ـ القرآن – القراءات
أ – السلسلة
٩٢٢,٢٨

رقم الإيداع : ١٣٤٧٢ / ٢٠١١

الترقيم الدولى: I . S . B. N

977-08-97175



ثلاجات كريازى مقاستها
من جوه مش من بره ..
كريازى
١٨ قدم
صادكو
الوكيل الوحيد
١٩١٤٠
مراكز الخدمة و الصيانة ١٩٠٩١



تحذير هام
!!!!!!

هتلاقى المصيف
فى أجمل شواطئ الأسكندرية

أمتلك
بتشوف
فندقية
سينما



هتلاقى السكن
فى أجمل ربوة بهضبة المقطم بحى الأشجار



هتعيش زى الملوك .. داخل أجمل مينى كمبوند
أستمتع بالخدمة الفندقية .. وسمارت هوم ..
والهدوء .. من تراس شقتك هتشوف حمام
السباحة .. وحديقة ٢ فدان .. واختار المساحة
اللى تناسبك من فيلات وشقق سكنية

كل ده
بمقدم ١٥٠٠٠٠ جنيه
وقسط شهرى ٣٠٠٠ جنيه

لو عايز تستثمر
ادفع ٩٩٠٠٠ جنيه فقط
وامتلك
محل بالمول التجارى بالمصرية بلازا بالأسكندرية
واحصل على عائد شهرى ٢٥٠٠ جنيه من خلال
الإيجار بنظام الفرينشايز

المالك: الشركة المصرية للتنمية وإدارة المشروعات

p://www.almasrya.org

للاستعلام
القاهرة: ٢٢٨٧٣٣٣٢/٢٦٧١٧٠٨٨/٢٦٧١٨٩٦٠ / ٠١٢١٦١٦٠١٢
٠١٥٢٠١١٣١٣٠ / ٠١٢٢٨٢٥٨٧٣/ ٠١٠٧٧٠٢٨٢٣/ ٠٨٧٥٠٦٧
الإسكندرية: ٠١٢٢٩٣٧٠١٥ / ٠١٢٥٩٦٣٢٢٥١



الثمن:
٨ جنيهات